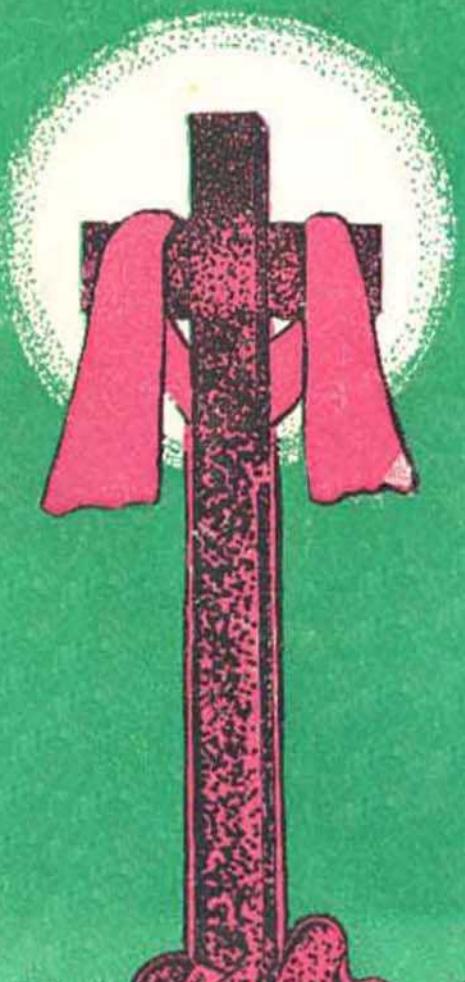


الْمَقْرُونُ



حَدَثَ بِرْ جَسْ

سر التقوى

بالاجماع عظيم هو سر التقوى

تأليف

جعفر بحر بن





حبيب جرجس

مَقْدِّمة

« سر التقوى » سفر نفيس ومجموعة ثمينة من الاختبارات الروحية العميقه والنظارات الفاحصه الدقيقه ، تسمى بالمرء للمثل الأعلى وتحلق به في سماء المجد ، وقد جاء اسمه خير معبر عما يحويه . يسعد كل مسيحي أن يقتنيه فيجد بين ثناياه طريق القضية ويلمس سبيل التقوى وهو خير ما تعز به كل مكتبة مسيحية .

ومكتبة المحبة جريا على سنتها التي سارت عليها منذ نشاتها في خدمة الكنيسة بتقديم الكتب النافعة ونشر المؤلفات المفيدة وتزويد شعبنا المحبوب بما ينفعهم في الحياة الروحية ويشتتهم على العقيدة الارثوذكسيه ، تعيد طبع هذا الكتاب الثمين الذي نال اعجاب الكثرين فاللهم في طلبه وتقواه الى الحصول عليه بعد ان نفذت طبعاته السابقة .

وهانحن نقدمه في ثوب قشيب مطبوعاً طبعاً جيداً على ورق مصقول ومجلداً تجليداً متيناً .

وننتهز هذه الفرصة لنسجل الشكر لطيب الذكر المتنيع الأستاذ الكبير حبيب جرجس لتعزيزاته لنا باعادة طبع مؤلفاته القيمة . نحي الله نفسه الطاهرة في فردوس النعيم وكافية على خدماته الجليلة التي قدمها لخير الكنيسة وشعبها .
واننا بنعمة الرب وببركته سنعمل دائماً على تقديم كل ما هو نافع ومفيد من الكتب الروحية لخدمة الكنيسة وخير النفوس وللهنا الجد إلى الأبد آمين ؟

مكتبة المحبة

الفصل الأول

يسوع هو الباب والطريق والحق والحياة

قال رب « ان الذى لا يدخل من الباب الى حظيرة الخراف بل يطلع من موضع آخر فذاك سارق ولص ، أنا هو الباب ان دخل بي أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى » (يو ١٠ : ٩) « أنا هو الطريق والحق والحياة . ليس أحد يأتي الى الآب الا بي » (يو ١٤ : ٦) « أنا الكرمة وأنتم الأغصان ، الذي يثبت في وانا فيه ، هذا يأتي بشمر كثير ، لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » (يو ١٥ : ٥) .

هذا هو كلام رب وهو الحق بعينه ، فلا تستطيع الدخول الى حياة النعمة الا من هذا الباب ، ولا تقدر ان تسلك وتسير في طريق الفضيلة الا اذا سرت في هذا الطريق . تضل ان لم يجعل يسوع نصب عينيك . فليكن هو الباب الذي تدخل منه ، والطريق الذي تسلكه ، والحق الذي تتبعيه، والحياة التي تتطلبهما وتحياها . لا تحول نظرك عنه ولا تمل بقلبك الى شيء آخر غيره .

لما هاجت الحيات السامة على بني اسرائيل في البرية ، أمر رب موسى ان يصنع حية نحاسية ويرفعها ، وكل من لدغته حية ينظر الى الحية النحاسية فيبرأ حالاً من سماها ، ولم يكن ذلك الا رمزاً الى يسوع فادينا الذي علق الصليب « وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الانسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية » (يو ٣ : ١٤ و ١٥) . ها أنت في برية هذا العالم الملوء بالحيات الكثيرة الميتة ، ولكن ان نظرت الى يسوع تنجز من كل داء ، وما دمت متطلعاً الى يسوع لا يصيبك شر ، ولا تقدر الحياة القديمة اى ابليس على ضرك ، فوجه نظرك الى يسوع ، أحدق بعينيك وتطلع بنظر عقلك وأشتعل بكل قلبك في التأمل

فِي جَمَالٍ يَسْوَعُ ، فَتَسْتَنِيرُ بِضَيَاءِ الْحَقِّ الْأَزْلِيِّ ، وَيَسْتَخْرِجُ
قَلْبَكَ وَلِبَكَ بِشَعَاعِ النُّورِ الْأَلَّهِيِّ ، فَتَعُودُ أَبْهِي جَمَالًا مِنَ الشَّمْسِ ،
وَتَجِدُ بَابَ النِّعَمَةِ مَفْتُوحًا إِمَامَكَ ، وَطَرِيقَ الْحَيَاةِ سَهْلًا لَدِيكَ .

وَكَمَا قَبْلَتِ الرَّبِّ يَسُوعُ اسْلُكَ فِيهِ ، وَسَرَّ عَلَى نُورِهِ وَاتَّكَلَ
عَلَى بَرِّهِ ، وَلِيَكُنْ أَيْمَانُكَ بِهِ وَطِيدًا وَاثِبَتْ فِيهِ ، أَجْعَلْهُ نَصِيبَ
رَاحْتَكَ وَمِيرَاثَ خَلَاصَكَ وَعَرَبَوْنَ مَجْدَكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ ، وَقُلْ
مَعَ الرَّسُولِ بُولِسَ « لِيَ الْحَيَاةُ هِيَ الْمَسِيحُ » (فِي ۱ : ۲۱)
« لَأَنِّي مَتَّ بِالنَّاسِمُوسَ لِلْنَّاسِمُوسِ لِأَحْيَا اللَّهَ ، مَعَ الْمَسِيحِ صَلَبْتُ فَاحْيَا
لَا إِنَا بِلِ الْمَسِيحِ يَحْيَا فِي ، فَمَا أَحْيَاهُ إِلَّا فِي
الْجَسَدِ ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الْإِيمَانِ إِيمَانَ ابْنِ اللَّهِ الَّذِي أَحْبَبْتُ
وَأَسْلَمْ نَفْسَهُ لِأَجْلِي » (غَلَ ۲ : ۲۰ وَ ۱۹) .

الفصل الثاني

يسوع لنا كل شيء في كل شيء

طف كل مكان وأبحث في كل جهة ، فانك لا تجد شيئاً يعزيك ويملا قلبك رجاء وفرحاً وسأواناً وعدوبة غير يسوع وحده، لا تجد أبداً أحلى من عذوبة يسوع ولا ألطف من حديثه، ولا أرق ولا أسمى من كلامه . حضوره مفرح ومؤانسته لذيدة ومستطابة وفتانة للعقل وساحرة للأدباب ، سلامه وافر وتعزيته عجيبة . ما أجمل تردداته على القلب ، وما أحلى زياراته للنفس، هناك في الباطن ينادي أحباءه ومن ذاق هذه اللذة مرة لا يعود يستطيع من بعدها لذة ، لأنه يسبى العقل بعذوبته الفاتنة ، ويسترق القلب برقة صوته ، ومن تمعن بنجواه لا يسلو أبداً الدهر حلوة سلوانه . يسوع نبع الحياة الأبدية . يسوع مفيسن البركات واللذات الحقيقية . يسوع هو الذي يفعم القلب فرحاً وخشعوا ، يسوع هو عمانوئيل الله معنا ، يسوع هو القوت السماوى والطعام الروحى ، هو شجرة الحياة التي من يأكل منها لا يموت بل يحيا إلى الأبد ، هو الشراب العذب الذي من يشرب منه لا يعطش أبداً . اسمه سلاح فى وقت الحرب ، وترس منيع يتقوى به الخطر والضيق ، هو أشعة نور تستطع فى الظلمة المظلمة . هو مرهم تعزية فى كوارث الحياة وألامها المرة، هو عكاز تستند عليه الشيخوخة ، وحسن أمين تحصن فيه الشبيبة ، ومركبة نورانية يركب فيها الأطفال فى النعمة ، طبيب هو ودواء لذوى الأსقام ، وهو عنون للمجريبين ومعز للحزانى .

باطل كل شيء ان لم يكن يسوع فيه مبدأ ونهائته ، باطلة العبادة ان لم تكن فى يسوع وباستحقاق يسوع ، باطلة العظات ان لم يكن المقصود منها يسوع باطلة التلاوة والمذاكرة والحديث ان لم يكن مركزها يسوع ، باطلة العذوبة والسلوان والراحة ان لم تتبع فى يسوع وحده ، باطل كل شيء ان لم يكن يسوع فيه ، باطل كل أمر ان لم يتكرر فيه اسم يسوع مرات متواتلة . القلب الذى لا يدخله يسوع يكون قاسياً، والرؤاد الذى لا يذوب حباً فى يسوع يكون جاماً ، والعواطف التى لا تحن انعطافاً

ولا تنن شوقا الى يسوع هي مائته ، لا حياة الا في يسوع
وبيسوع وحده .

فما أجمل اسمك يايسوع وما أعزبه ! ضوء توقده
الحبة ، وقت دسم يستذهب القلب ، انه لاسم جليل وعظيم
يفيض عنوبة وسلوة ، ويقطر جلاً ويسيل دعة وكمالا ، ان
فؤادى لا يستذهب شيئا ان لم يكن اسمك المحبوب فيه . ولا
يستحسن تأليفا ان لم يجد اسمك مرسوما في كل سطوره . كل
طعام من لحنكى ان لم يملح بهذا الملح ويسبك عليه هذا الزيت ،
اسمك يشجع ويعزى في الضيق ، وينير ظلام المخاطر ، حتى في
ساعة الموت يخلص كل من يدعوه به . فيقابلني دع كل انسان
يتمتع بما يشاء وبين يحب ويهدى ، وتعال انت تتمتع بسلوتك
وعزائك هذا ، اذ لا يفرحك غيره ولا تجد اللذة الا فيه وباطل
كل شيء سواه .

اهيا الحبيب دع كل شيء وتمسك بيسوع وحده ، لأنه لنا
عون في كل شيء ، وبه نتال كل شيء ، فهو الكل ، اذا ملكته
ملك كل شيء ، ان كنت مريضا واردت الشفاء فهو الطبيب
وذات الدواء ، ان شكت من مرارة الحياة فهو يحول لك كل
شيء الى سعادة لا تنتهي وعدوبية لا ينطق بها ، ان كنت مثقلًا
بأوزار الخطيئة فهو برک تكتسى به وتتقدم الى الآب فلا يرى فيك
شيئا من العيوب ، لأن في دمه تختفي آثامك وفي آلامه لا تظهر
عيوبك ، ان كنت ضعيفا والتنتست العون فهو ذات القوة التي
لا تنتهي ولا تحد ، ان خشيت الموت فهو الحياة ، ان ارتشيت
البلوغ الى السماء والوطن الحقيقي فهو الطريق والحق والحياة ،
ان افتقرت فهو الغنى ، ان التمسك الطعام فهو القوت الحى
الباقي الى الابد ، ان خفت الظلم فهو النور الحقيقي الذي
يضيء في الظلمة . ان طمت عليك الأمواج وترأكت عليك الأنواء
فيده تتنشلوك ويمينه تضبطك ، كما انتضل بطرس من الغرق وهو
بين تيارات البحار وغمرات لجوء الأمواج . عينه تحرسك وتلاحظك
في كل طريقك ، يده تهديك وسلامه يرشدك ، وكل ما تشتهيه
وتربيده وترغبها وتلتمسه وتحث عنده وتحتاج اليه تجده مذخرا في
يسوع كنز النعم وينبع كل خير وسعادة أبدية .

الفصل الثالث

عنوية محبة المسيح

طوبى لمن يدرك حب يسوع وسعيد من يذوق عنوته « ذوقوا وانظروا ما اطيب الرب ، طوبى للرجل المتوكل عليه » (مز ٣٤ : ٨) محبة العالم كلها غرور وخداع، ومحبة يسوع وحدها ثابتة، صادقة ، أمينة، هادئة، رصينة ، لا تتغير ولا تتقلب الى الدهر ، كل ما في الخليقة زائل ماله الى العدم أما يسوع فهو ازلى أبدى لا يتغير ، هو المستحق المحبة وحده دون كل الخليقة بأسرها . أحب يسوع فوق كل شيء، فوق كل خليقة فوق كل عنوية، فوق كل رجاء ترجوه، فوق كل سلوة تشعر بها، أحبه كما أحبك ، أحبه بلا قياس ، أحبه حباً غير متناه ، مغبوط من يصل الى عمق هذه المحبة، وويل لمن يفضل شيئاً مهما كان على محبة يسوع ، من انسكت محبة الله في قلبه صار سعيداً وحصل على كل شيء ، من يحب يسوع يصير معه واحداً وتصرير السماء سماءه والملائكة ملوكه ويملك معه الى الابد .

أيتها المحبة المقدسة محبة يسوع الفاتنة ، الا فليشتعل لهيب نارك في قلبى ، ولتفند سهامك وتخترق فؤادى واحشائى ، فان فنائى فيك أحب الى من الوجود بدونك ، ان كل السعادة في الاستغراق بالكلية في بحر هذا الحب ، فذوبى وأفنى يانقسى وأسبح ياقلبي في مياه هذه المحبة الصافية . يا لها من نار مقدسة ، نار محبة لا توصف ، يا لها من عنوية لا ينطق بها . محبة الله نار مقدسة محرقة ومذيبة ، ولكنها منعشة ولذيدة ومرطبة للروح ، انها تحرق وتذيب الشر ، تنقى القلب وتتنفسه وترفعه الى العلاء . أيتها المحبة النقية تعالى ، واسكني ، واستريحى في قلبى ليستريح تلبي فيك ، ادخلينى الى مرعاك الخسيب . أضبئ . أشرقى ، أرتقى ، استعرى ، أروى غليلى .

بردى ورطبي لوعة اشواقى التائفة اليك، اضبطينى بيدك وقربينى
نحوك ، لأنى اشتاق الى الوصول اليك ، لقد جرحتى سهم من
سهامك ، فلا يبرأ دائى ولا يشفى غليل قلبي ولا يهدأ روع
فؤادى ، ولا تسكن النيران المشتعلة والتأججة فى احسانى الا
بنفاد كل سهامك فى . ياملكة الفضائل وسلطانة القلوب ، يامن
تملكين بالعدل والسعادة فى يمينك ، أملكى عقلى وقلبي وفؤادى
وشعورى واحساسى ، استولى وتسلطى على كل ما فى وحولى
كل عاطفة فى اليك ، اننى بكليتى فىك ، حتى لا احس ولا اشعر
الا بك فوق كل شيء وفي كل شيء *

الفصل الرابع

تطهير القلب واعداده لسكنى يسوع

ان الصوف فى مبدأه يقبل التشكيل باى لون اردته ، هكذا
الفضيلة التى يعتادها الانسان فى ابان شبابه ، هى كالفجر
الdal على انبلاج صبح بهى ، ان نفسك كجنة شهية ، فنطافها
وأعدها لقبول النعمة حتى تصلح لسكنى يسوع . أوصد باب
نفسك تلقاء كل أفعى خبيثة لئلا تبث سمها فى قلبك ، احرص
عليها من الذتاب ، اسهر عليها فتتموا وتزهرا وتمتلئ اثمارا
شهية ورائحة زكية ، فيأتى يسوع ويتردد فيها ويتخاذها مسكنًا
لجلاله الأقدس .

ان زارك ضيف عزيز ذو مقام سام هيأت له مكانك ،
وأعددت له منزلك ، ونظفت كل ما فيه ورتبت سريرك وأحضرت
أوان ثمينة لأنقة بمقامة ومعزته عندك ، وبخرت كل أدوات البيت
بروائح عطرية . فهل يليق ان يزورك الملك ويدخل منزلك، وبيتك
لا يزال قدرًا تعلوه الأوساخ وتسكن فيه الحشرات والعنكبوت
وتتصاعد منه الروائح الكريهة . ان نفسك هي بيتك والضيف
الكريم هو الملك عمانوئيل « الله معنا » فهل يمكن ان تدعوه
ويحل فيك هو وجميع ملائكته ، وقلبك لا يزال ملتصدقاً بذنس
العالم ، وروائح الخطية تفوح منه ، والأرواح الخبيثة والأفكار
الشديدة تصدر عنه .

نق قلبك أولاً . نظفه وأسهر عليه محترساً ، صنه من
نجاسات العالم وشهواته ، رش عليه رياحين الفضائل وعطره
بعطارات النعمة ، وحينئذ تقدر ان تدعوا العريس السماوى ليرقد
عليه كسرير أحضر (نش ١ : ١٦) لا تدع رائحة العالم تدخل
مخدع قلبك ، طوبى لك ان هيأت ذاتك ليسوع ، ما اسعدك ان
زينت نفسك وتعهدتها واعدتها لسكنى العريس الالهى والختن
السمائى يسوع المسيح . شفى وتعيس من يترك نفسه فى حماة الاثم ،

تعلوها الأدران وتمتلئ بالأشواك والمعاطب ، الشعالب ترعها
ووحوش البر تسكنها ، والذئاب وبنات آوى تدوسها وتفسدها .

احترس ولا تدع العالم يغرك والشهوات تخدعك، لا ترتبض
ان يجاورك ويسكن فى قلبك غير يسوع وحده ، ومتى هيأت فى
قلبك مكانا له يأتي اليك ويريك سلوانه الروحى وتعزيته الداخلية،
ويمنحك سلاما يفوق كل عقل، ويبك فرحا داخليا لا ينطق به ،
ويعاشرك معاشرة لا تجد الاذ منها ، فهيهىء اذن قلبك لاستقبال
هذا العرييس لكي يوافيك ويسكن فيك لأنه قال « الذى عنده
وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى ، والذى يحبنى يحبه أبى ،
وانا أحبه وأظهر له ذاتى . ان أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه
أبى واليه نأتى وعنده نصنع منزلنا » (يو ٢١: ١٤ و ٢٢) .

لا تدع قلبك يتعلق بشيء . ليملكه يسوع وحده ، ليكن هو
عندك الكل ، ليكن هو مركز ابحاث نفسك ، ومتى ملك يسوع
قلبك وملكته أنت فى داخلك حينئذ تكون قد ملكت كل شيء
وحصلت على السعادة الحقيقية ، ولا تعود تحتاج الى شيء لأنك
مالك الذى بيده كل شيء ، كل ما فى العالم يزول ويؤول الى
الفناء ، ولكن يسوع لا يتغير ولا يزول ولا يشيخ ولا ينتهى .

يسوع المسيح هو هو امسا واليوم والى الأبد (عب ٨: ١٣)

الفصل الخامس

يسوع يشبع النفس

افتتح مخدع قلبك ليدخل يسوع فتجد فيه الراحة الكاملة لأنك ياطل كل شيء بدونه ، أنك لا تجد من يخفف عنك أثقال الحياة سواه ، فيه تجد السعادة وعنه الحياة الأبدية وسلامة الضمير . ان كنت فقيراً فانه يغريك بغناء ، أو مريضاً فيشفيك من أعضل أمراضك ، أو حزيناً فيسكب عليك من دهن الفرح والابتهاج ، ويمسح كل دمعة من عينيك . أو جائعاً فيشبعك من خيراته ، أو عرياناً فيكسوك ثوب بر لا يبلى ولا يتensus ، او متضايقاً فيفرج كربتك ويحول لك كل مرارة الى تسلية ، وكل شقاء الى سعادة ، وكل تعب الى راحة ، وكل نوح الى فرح . اذا كنت فقد الأعزاء ، فهو لك نعم الرفيق ، بل هو الصديق الودود ، لا يتغير ولا يفني الى الأبد ، ان كنت تخشى الموت يسير معك في الطريق و يجعل لك ذلك اليوم فجر الحياة الأبدية ، فلذ به لا تغمرك اللجج ولا تفتح عليك الهاوية فاما ، لا تضرك الشمس بالنهار ولا القمر بالليل . اذا طمت عليك الأنواء أو هبت عليك الرياح والعواصف فلا تمسك ، لا تدرك الظلمة بل تمشي في النور ، فتمسك به ولا ترخه ، أحبه فيصونك ويحفظك من كل شر وأذى ، أسرع وافتح قلبك ليسوع ، لا تتأخر ولا تتلوان ، ها هو مقبل اليك ، فاستعد للقاء ، لا تتصامم عند سماع صوته ، ولا تقس قلبك لئلا تندم حين لا ينفعك الندم .

ها انا بنعمتك يارب مستعد ، فتعال لأنى لا ارتاح الا فيك ، قلبى يئن فى صارخا طالبا حضور ، وكل ما فى ينتظر قدومك يا سيدى

قال الرب : انى قريب من الذين يدعونى . قلت اطرح ذاتى عند قدميك انا عبدك يايسوع صالح متضرعاً ان ترحمنى وتقرحنى وتعزىنى،هونا قلبى افتحه لتدخل فيه وتملاه من لذاتك غير الموصوفة .

الفصل السادس

تهيئة النفس ذاتها لسكنى العريس الالهي

أحبي يانقني النعمة وابغضي الخطية ، أتبعد النور وأتركى
الظلام ، تنبهى ، تيقظى ، قومى ، استثيرى ليشرق الرب عليك نور
الصباح المبهج ، اغمض عينيك عن خداعات العالم وغورو الحياة ،
سدى آذنك عن تملقات الخطيبة ، أوسعى مكان قلبك لفرح الروح ،
افتحى أبوابك ليدخل النور الازلى باشعة الحق ، فيعزىك ويفرحك
ويتنزع حزنك واكتئبك ويوهلك للخلاص ويعطيك عريون الراحة والحياة
الأبدية ويحجب عنك ظلمة الخطيبة وشوكة الموت وقوة ابليس والجحيم
افحصي قلبك بتأن وفتى ضميرك بتدقيق كى ينكشف كل خفى مستور
فيك لتطريدك بنعمه الروح ، وحيثنت تفتحين ببابك لسلام الله الفائق كل
عقل ، المنتظر الدخول اليك ليسعدك ويسنك الراحة والسلام
والعنودية الفتنة العقول والألباب . يهطل كالطار نعمته عليك ويسرق
بنوره فى قلبك ، ويضيء باشراقه حولك فيستير داخلك وتكونى حرمة
من عبودية الخطيبة . اطركى الوحوش الرديئة من قلبك ، وانقضى غبار
الاثم من مسكنك ، وهىئى المسكن للعرис المقبل ليأتى ويسكن معك ،
انتظريه بسرور وبهجة ، بعد قليل يأتي اليك ، انتظريه سبق قربى
ولا يبطئه .

انظرى يانقنى وتطلعى ، تنصرتى هلا تستمعين صوته المفرح ، ها
هو آت ببهائه فى مرکبة قوته وجلاله بين هناف شجى ! ما اجمله
وابهى سناء طلعته ، ها قد أقبل العريس فاخرجى للقائه ! أقبل
ياالهى تعال يامخلصى « تعال إليها الرب يسوع » (رو ٢٢ : ٢٠)
ليقبلنى بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر . لرائحة أدهانك الطيبة
اسmek دهن مهراق . لذلك أحبتك العذارى ، اجدبى وراءك فتجرى .
ادخلنى الملك الى حجاله . نبتهج ونفرح بك . نذكر حبك أكثر من

الخمر ، بالحق يحبونك » (نش ١ : ٢ - ٤) « كاللتفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبي بين البنين . تحت ظله اشتاهيت أن اجلس، وثمرته حلوة لحلقى . أدخلنى الى بيت الخمر وعلمه فوقى محبة، أسدونى بأفراص الزبيب . انعشونى باللتفاح فانى مريضة حبا . شماله تحت رأسي ويمينه تعانقنى » (نش ٢ : ٣ - ٥) « حبيبي لى وأنا له . الراعى بين السوسن . الى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال » (نش ٢:٦ و ١٧)

الفصل السابع

تكريس القلب ليسوع

لست لنفسك ، وإنما أنت الله الذي أبدعك وصورك كما أنت ، بكل ما عندك وفيك ولديك إنما هو من الله، فمن العدل أن تحيا مجده . إن من خلقك يريدك ، والذى صنعته يطلب قلبك، فكرس له ذاتك وسلم له قلبك . قال الرسول «أنتم لستم لأنفسكم ، لأنكم قد اشتريتم بثمن عمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هي الله » (أكوا ٦: ٢٠) . كرس قلبك ليسوع خصوصا فى إبان شبابيك فتفتح وتسر طول أيام حياتك ، وتكون فى شيخوختك سعيدا ، لأنك تكون قد الدخرت لنفسك فرح الروح ، وسكنينة القلب ، وهدوء الضمير ، وقهرت شهواتك وميولك ، وما تدخره من شيء فى سني حياتك الأولى يكون لك خيرا مدى حياتك .

لأجل صليب الرب، ولأجل احتقر ، ولأجل سلم نفسه، فسفرا دمه، وقد أشرك فى مجده وأوحدك فى ذاته ، فماذا ترد للرب من أجل كل حسناه (مز ١١٦ : ٣) . انه لا يريد منك شيئا سوى قلبك ، وبهما أعطيته عدا ذاتك لا يقبله ، ولا يرضي به، هو غنى عن عطاياك ، ولكنك يريدك أنت ذاتك ، فسلمه وحده قلبك فأنت خليقة، فإذا أعطيته ذاتك فلست بالمتفضل أو المنعم عليه بشيء ، فكل شيء له . وإن سلمته قلبك فقد أسلمت كل شيء عنك ، رغائبك ، ميولك ، عقلك ، فكرك ، أرادتك ، حواسك ، وكل شيء تشعر به أو تحسه فى ذاتك . إن أعطيته قلبك لا يغتصبه منك ، بل يأخذه ويظهره ، وحينئذ تعود مررتها اليه متصلة به ، وكل أفكارك عنده ، فإذا أنت مرتبط سعيد ، شأن كل متحد معه ومرتبط به . فإذا كان قد وهبك ذاته فهل يصعب عليك أن تسلمه ذاتك وقلبك ، لا تبق لنفسك شيئا ، بل ليكن كل شيء الله وحده ، سلم ذاتك تتل ربيحا أوفر وجزاً أعظم ، هو ملكوت السموات . اعط نفسك الله ، فتملأه الله نفسه .

إن تكريس القلب ليسوع يجب عليه السير في اثر خطواته ،

والسلوك في طريقه ، والركوض إلى محبته وشفقته ، حنانه وغيرته .
تواضعه وطهارته ، ويقتضي منك أن تكون سجينة الصدق والغفران
لأعدائك ، وشيمتك الشجاعة والأمانة والجرأة ، والانتصار للحق .
ومساعدة المتضايقين والمنكوبين ، وتكون لك شركة مع الله . وبالجملة
يكون لك روح المسيح لتحيا له لا لذاته لأنه « مات لأجل الجميع كي
يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل الذي مات لأجلهم وقام ،
(٢٤ : ٥) .

حين تقدم قلبك ، وتكرسه الله تعالى ، تعلن بذلك لذاته فقط
بل كل ما لك وفيك وعنده هو من حقوقه تعالى ، وليس لك أن
تدعى بحق لذاته مطلقاً فليس لك حق في نفسك ، ولا في عقلك ، لا
في فكرك ولا في ارادتك ، لا في عواطفك ، ولا في انفعالاتك ، ولا
في جسمك ، ولا في أي عضو من أعضائك . لا حق لك في لسانك ،
ولا في يديك ، ولا في قدميك . لا حق لك في حواسك أو في نظارك أو في
سمعك ، أو في شمك وذوقك ولمسك ، اذ قد انكرت نفسك ونسبيت كل
ما يخص ذاتك ، وزهدت في كل شيء وصرت ملكاً لله وحده فأجعل
يسوع وحده غرضك إلى الأبد ، لا تنتظر إلى السعادة في سواد
وأتخذه مخلصك ورئيس إيمانك ومكملاً ملتصقاً به وحده ، متوكلاً عليه
دون سواد ، لتكن نفسك طوع ارادته في كل شيء ، دون أن يكون
لنك ارادة في شيء ، يعاملك بمقتضى مشيئة ، سواء أفرحك أم أحزنك ،
رفعك أم أخفضك كيف شاءت مسرته ، فأنك ملك له وطوع يعينه وكل
شيء كائن له كما يشاء .

أعلم أيضاً أن جسدك هو مسكن الروح القدس ، وأيس آلة للشهوات .
فيجب أن تستخدم كل قواك لمجد الله ، تستخدم قدميك وتسعى بهما
لعمل الخير والرحمة ، ويديك لفعل الاحسان ، وعينيك ارؤية الرائسين
والمحاجين ، وأذنيك لسماع أنين المنكوبين والمكلومين . ولتكن كل شيء
فيك واسطة لتمجيد الله . قال رسوله « لا تقدموا أعضاءكم آلات
أثم الخطية بل قدموا ذواتكم الله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات
بر الله » (رو ٦ : ١٢) لتكن الذاكرة خزانة لكلمة الله ، والعقل
والفكر والضمير والمخيلة والوجودان والقرة الحاكمة فينا كلها مكرسة
للله ، مسخرة لمجد الأقدس .

الفصل الثامن :

عدم تعلق القلب بالعالم

لا تدع قلبك يميل الى الدنيا ويقتتن بحبها ويتعلق بآباطيلها .
بل تخلص من كل هوى ، وكن حراً . ليكن كل شيء عندك في العالم
كانه لا شيء . قال الرسول : « فاقول هذا أيها الاخوة ان الوقت
منذ الان مقصى . لكي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم . والذين
يبيكون كأنهم لا يبيكون . والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون . والذين
يشتتون كأنهم لا يملكون . والذين يستعملون هذا العالم كأنهم
لا يستعملونه . لأن هيئة هذا العالم تزول » (أحوال ٢٩:٧ - ٣١) .

من جعل الرب نصيه ، وذاق حلاوة الايمان به، وشعر بسلوانه
واشرب قلبه من حبه ، لا يستطيع بعد ذلك محبة العالم ولا يتعلق
بما فيه . أمعن في البحث فانك لا تجد انساناً شفف بالعالم ونال
السعادة . هبك امتلكت كل شيء ، ووضعت قلبك على كل شيء ،
ليس كغيرك من ذلك القبر ، ومثواك الرمس ، المست تنزل اليه معرى
من كل شيء ، تستوى في ذلك مع أكثر الناس فقراً ، وأشدهم بؤساً ؟
جرد ذاك اذن من كل تعلق دنيوي تستمتع بالراحة وتشعر بسلوان
لذيد ، ما اتعس الساعة التي فيها يتعلق قلبك بالعالم ، وما أشد
نكدها وكرها . تشعر بثقل وتعب وتحس بهم وقلق كثير ، ما أسعد
الوقت الذي فيه تفك في الله وتجعله نصيك ، اذن تكون في راحة
واطمئنان وينأى عنك الغم والهم ، وبفارقك الملل والضجر فلا تدع
اذن بهرج الدنيا وزخرفها يكران صفوك وسعادتك .

ان طريق العالم ضيق على رحبه ، لأنه لا يشبع للانسان رغبة ،
ولا يكف له شهوة . اما طريق يسوع فرحب ومفرح ولذيد ، وسعيد
من يسير فيه . قف بعيداً عن العالم ولا تلتقي الى زخرفة بهرجه
وغروره . ان العالم يخاطبك بالرقعة ريكلمك بالمالينة والملاظفة ،

ويناديك بالحب ، ويغريك بالخداع ولكنه كاذب وغاش غرور يربك الحياة زهرة نضرة ، حتى ان اقدمت بيديك تقطفها لا تجد سوى الشوك . فثبت رجاءك فى يسوع . وأرج السعادة الأبدية فيه وحده فيعاف قلبك التعلق بأمور العالم . ماذا يعطيك العالم ازاء ما يهبه رب . ليس فى العالم شيء يستحق المحبة أكثر من يسوع . وليس من شك أن ما فيه زائل ومحفوظ بالتجارب والآلام . والعالم كله قد وضع فى الشرير (أيو ٥ : ١٩) . أن بغضك لأمور العالم لصعب من أي محاربة . فلا تخف ولا تجزع فى الابتداء . ولا تلن قناتك اذا اجتنبك العالم الى محبته . بل حارب وتأضل وتجنب مشتكياتك . تناس كل آلامك ، ول يكن مثلك كمثل السفينة تشق عباب البحار ولا تحصل اليها المياه . « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم . ان أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب . لأن كل ما في العالم شهوة الجسد . وشهوة العيون . وتعظم المعيشة . ليس من الآب بل من العالم . والعالم يمضى وشهوته واما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد » (أيو ٢ : ١٥ - ١٧) .

مالك ايها القلب تجد في أثر السعادة في هذه الحياة وانت تعلم ان ليس فيها سعادة ولا سلام ؟ انها لأوهام وأباطيل تدعوك الى محبة العالم ، فتجعل الحياة شقاء لا يفارقك فيها القلب والألم ، ولا يزول عنك الهم والقلق . ابحث وفتشر هل تجد شيئاً يستحق ان تتعلق بهاديه وتتمسك بأسبابه . هل ترى ما هو اجرد بحبك الخالص غير يسوع ، فلا تضع قلبك على شيء في هذا العالم ، لا على الأمور فقد يفسدها الصدا وينخرها السوس ويسرقها اللصوص ، فضلاً عن انه ليس في استطاعة مادة حقيقة اشياع نفس خالدة مخلوقة على صورة الله ، ولا على الأولاد فريما اخترمتمهن المنية ، واستأشر بهم الموت ، تاركين لك الحسرة والشقاء ، ولا على كرامة انت فيها فانها لا تدوم ، لأن الزمان قلب . ولا على الأصدقاء فقد يغير الزمان قلوبهم ، وليس في استطاعتهم خلاصك . حقاً ان آمال الحياة باطلة وكلها اكدار . فالتفت الى يسوع وحده ، ول يكن تعلقك به دون غيره ، فهو وحده الذي يشبع نفسك ويسد كل احتياجاتك بحسب غناه في المجد ، وهو لا يدعك تخور عند الضيق ، ولا يهلك وقت الحزن ولا ينساك في الشدة ولا يترك في الهم ، يكون لك في كل زمان ومكان حصنًا حصيناً وحزراً منيعاً ، لأنه هو هو أمس واليوم والى الأبد . لا تتكل على انسان مهما كانت صداقته ومحبته لأن كل بشر

ضعيف وكل انسان سيندوق الموت ، لا تجزع ولا تحزن اذا عادك انسان ، سواء اكان محبوبا عندك او عدوا لك ، فان الانسان متغير كالربيع ومتقلب كالزمان . اجعل كل ثقتك في يسوع وليكن اعتمادك عليه وحده فليس لأحد في الدنيا راحة وما أنت الا غريب في هذه **الدنيا** .

فيما نفسي لا تزالين في غم وشقاء ولن تبارحك التعاسة والاكتئاب ولن تكفك دموعك ان لم تستريح في الله وحده في كل شيء وفوق كل شيء .

الفصل الناجع

عدم محبة العالم للوصول الى الله

ان شئت ان تكون سعيداً كاملاً ويحل الله في قلبك . فاحتقر كل ما في العالم من الشهوات الباطلة والنزوات الدنيئة . جانب النعيم الدنيوي واللذة البشرية ، اعتبر كل ذلك شيئاً مزدرى به، ومتى شعرت بمرارة لذات العالم الباطلة . تذوقت تعزيزات يسوع الحلوة وأستطبت لنتها . لا تستطيع أن تتحقق بعين إلى فوق ، وبالآخر إلى أسفل ، لا يمكنك ان تذوق محبة الله وأنت متمسك بعد بمحبة العالم ، لا تقدر أن تتمتع بالروحيات وأنت منعطف إلى الجسديات . احتقر وأبغض وأرفض كل شهوة دنيئة من صميم قلبك . ولتسيرح نفسك في الله وحده ، استحصل من نفسك حب الخليقة فتهيء في قلبك مكاناً لأنطباع الحب الالهي فيه . ان الله لا يرتضى بقلب نفسه حب العالم وحلت فيه شهواته الرديئة أن يكون مسكنًا له يحل فيه . كيف تتلذذ بصوت الله في ضميرك وأنت مسلم قيادك إلى العالم يزعج قلبك بأصواته المفزعه . اعلم ان الرب يريد قلبها نقياً كاملاً خالياً من حب العالم لا متدانساً به ولا مائلاً إليه حتى يستائز به وحده وتنطبع فيه صورته .

الفصل العاشر

بطلان العالم وكل ما فيه

تأمل في الخلقة وتبصر فيما فوقك وتحتاك . أرجع البصر يميناً وشمالاً تر خلائق لا تحصى وكائنات لا عدد لها . هذه كلها خلقت من العدم وسيأتي يوم ترجع فيه إلى العدم مرة أخرى . أرأيت تلك الأجسام النضرة . وهاتيك العيون النجلاء . وذلك اللسان الفصيح . وذلك الوجه الصبور . وشاهدت الأقدام السريعة الحركة . والأيدي النشيطة . هذه كلها سوف تأتي عليها ساعة تبحث عنها فلا تجدها . فستتحول إلى تراب وتصير إلى رماد . وتعود إلى العدم كما كانت .

أينما وجهت فكرك وأيام تأملت بعقلك في كل أجزاء الوجود . لا تجد شيئاً ثابتاً بل تجد كل شيء باطلة وبقبح الربيع . وما العالم إلا كقصبة خضراء . تسر الناظر بجمال ظاهرها وتبعي العين بنضارتها ورونقها . حتى إذا كسرتها وجدتها فارغة وجوفاء . وكالأناء الفارغ متى قرعته سمعت طنينه . هكذا العالم متى اختبرته وجربته ظهر لك بطلانه .

كل ما في الوجود زائل : الجاه ، الغنى ، المجد ، اللذات ، وسائل الأشياء التي يزدهي بها الإنسان ويحصل عليها ، إن هي إلا باطلة وبقبح الربيع ، لأنها سوف تنتهي وتزول ، ولابد أن يتركها الإنسان طوعاً أو كرها . وكل شيء باطل : باطل الاعتماد على العالم ، باطل طلب الكرامات ، باطل هو حب السمعة والصيت ، باطل هو السعي وراء الأباطيل ، وكل ما هو موجود لا بد أن يزول ، لأن العناصر لابد أن تسترد جزيئاتها ، أين آباءنا ؟ أين الملوك ومن شادوا القصور ؟ أين الفلسفة والحكماء ؟ أين العلماء والمخترعون ؟ أين القواد العظام والأبطال الجبارية الذين أذلوا العباد ودخلوا البلاد ؟ أين المالك العظيمة والدول القديمة ؟ لقد ابتلعت الماوية هؤلاء كلهم وذركتهم المنية .

هل استطاع احد ان يحمل همه شيئاً مما كان يفخر به في هذه
الحياة ؟ هل يقدر الملك الجالس على عرشه ان يقول عند موته هلمي
معي ايتها القصور التي شيدتك ! ورافقني يامجدى في سفرى الى
طريق الابدية، من من الأغنياء صحب معه درهما واحدا ، أو عبدا من
عيده . أملك ما شئت وتنعم كيما أردت وأعلم انه لا بد أن يأتيك
يوم تخرج فيه من العالم ويدك فارغة . « عريانا خرجت من بطن
أمي وعريانا أعود الى هناك » (أي ١ : ٢١) « لأننا لم ندخل العالم
شيء ووناضح أننا لا نقدر أن نخرج منه شيء » (أي ٦ : ٧)
« كما خرج من بطن أمه عريانا يرجع ذاهبا كما جاء ولا يأخذ شيئاً
من تعبه فيذهب به في يده » (جا ٥ : ١٥) ان الزمان ماضيه
وحاصره ومستقبله لا يشعر بالبقاء ولا بد له من الفناء . فالماضي
غار في بحر العدم ولا وجود له . والمستقبل مجهول غير معروف .
والحاضر وقتى ان دام ساعة يتغير بعدها . فطوبى لأولئك الذين
احتقروا كل شيء لأجل المسيح . وسعوا في طريق الخلاص . سعيد
من نفض يده من العالم وترك كل شيء رعاش كفريب على الأرض .
خير للانسان يكون فقيراً لا غنياً . صغيراً لا كبيراً . متواضعاً لا
متكبراً . من كان ذا ضمير سليم طاهر ، فذلك أفضلي من يعرف
اعمق الأسرار وغواصها وهو متكبر . أيها الانسان مالى أراك مهتماً
بما هو زائل ، متفاغلاً عما هو دائم . كفاك غروراً وبهتانا . افتح
عينيك اللتين أغمضتهما الخطية . وغض الحالك عن غور الحياة . اعتبر
كل شيء باطلًا ، كأنه لا شيء .

الفصل الحادى عشر

التأمل فى حياة يسوع يعلم احتقار العالم

تأمل فى حياة مخلصك تجدها مثلا جليلا لاحتقار أباطيل العالم ، فاقتد به واجتهد أن تسير فى أثر خطواته وتنتهي طريقه فى حياته ، فتجد علما وكمالا وحكمة وفطنة لغلبة أباطيل العالم ، واحتقارا لمباحث الحياة، ومعرفة بغرور الدنيا أكثر مما يعرف الفيلسوف الحاذق بابحاته وتأملاته فى الخليقة . كثيرون يتبعون يسوع فى الطريق من بعيد ، ولكن ما أقل الذين يسيرون معه ويتبعون خطواته ، هم منه مقتربون . كثيرون مسيحيون بالاسم ولكن المسيحيين بالفعل قليلون جدا .

ان حياة مخلصك كتاب ثمين ، اذا قرأته وأنعمت النظر فيه . وقفت على كل فضيلة سامية ، وسجية ظاهرة ، وتعلمت كيف ترفض كل أباطيل الدنيا وتحتقرها ، ففقره يمثل لك تفاهة لذات الحياة ، وذلك المزود الحقير والمغارة المزدرى بها يعلمانك دناءة الأشياء . الزمنية ، وحيثما تقرست فى حياة ابن الله تجلت لك حقيقة بطلان العالم . فقد كان فى ولادته ، وفي حياته وفي مماته ، مثلا لبغض شهوات العالم ، وصار من أجلك ، وهو القديس غير المتناهى فى الشرف ، مهانا فقيرا محقرأ مخذولا . أبعد ما رأيت من سيرته ، وعلمت من خلائقه تحرص على ما فى العالم ؟ ان رفقة لما نظرت أسعق زوجها من بعيد ماشيا على الأرض ، نزلت من فوق جملها وأخذت البرقع وتقطعت (تك ٢٤ : ٦٥ و ٦٤) . أيتها الطبيعة البشرية أخجلى واستحى وانزلى من ترفعك ، لتخفضى من غلوائك ولتقف مطامعك ، وتقدى ثوب الخجل ، وأهبطى من مرتبة المجد والباطل ، يانفسى طئى بقدميك كل أمجاد العالم وازدرى كل ماقيه وأقتفى آثار مخلصك . أجلسى كمريم عند قدمى يسوع وأسمعى كلامه ، لتختارى لنفسك التنصيبى الصالح الذى لن يتزع منك (لو ١٠ : ٤٢ و ٤٣) .

الفصل الثاني عشر

الاتحاد بالله

أن الطفل الرضيع عندما يهب من نومه ، يبكي أن لم يجد أمه بجواره ، ويحاول الوصول إليها، وهو على أشد ما يكون من الصراخ والعلوين ، وأمه تشتفق عليه لدى سماع صوته وسرع اليه فتكتفف دموعه وتأخذه بيديها ، وتحتضنه إلى صدرها ، فكن أنت كطفل صغير لا تستريح إن لم يكن الله معك ، وتكون أنت معه وإن لم تقدر أن تصل إليه فاصرخ كالطفل ياكياً بدموع غزيرة ، وحينئذ يشقق عليك ويرق لحالك أكثر مما تفعل الأم ، ويقبل إليك ليحملك على ذراعي الرحمة ، ويظللك بجناحي النعمة ، ويقتربك في حضنه الحنون ، ويغذيك بالغذاء السماوي ، ويوحدك فيه في كل شيء .

كلما ثبت في الله حصلت على شرف النسبة إليه تعالى ، وعلى اقدر ازديادك في النعمة والقداسة ، يكون ازديادك في الشبه به ، «النفس المتصلة بالله تتحدد فيه روحًا وعقلاً وارادة وفكراً وتصوراً» ، وتكون معه في كل شيء لا تبحث أو تفك الأفيه، ولا تتصور سواه، ولا ت يريد غير ما يريده، وهي وإن كانت بجسدتها عائشة تسعى على الأرض إلا أنها بروحها وعقلاها وفكراها في السماء ، واقفة أمام عرش الفعمة وكرسي الرحمة الإلهية ، وهي تسير على الأرض مطمئنة سعيدة، لأنها تعلم أنها وارثة مجدًا يفوق العقول ، وتثق بأنها ميراث ربها ، وأن رب ميراثها .

من شاء أن يتحد بالله فليحبه فوق كل شيء ، ويقف قلبه عليه ، ويفضله على الوالدين ، والأولاد ، والأخوة ، والزوجة ، والأقارب » والاصدقاء ، « من أحب آباً أو أمّا أكثر مني فلا يستحقني ، ومن أحب إبناً أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني » (مت ١٠ : ٢٧) الطير لا يستطيع الطيران والارتفاع في الجو بغير جناح ، وأنت بطبيعتك البشرية لا تقوى على الصعود إلى الملا الأعلى ما لم تتحدد بالطبيعة «الإلهية اتحاداً حقيقياً ، فإن الطبيعة البشرية خاطئة أثيمية ، وهي

ووحدها دنسة ذليلة ، عاجزة عن كل شيء ، ولكنها ان اتحدث بالله
تظهر ، وترتفع فوق ذاتها ، وتصير مقدسة غير خاضعة لللأام
والعارض الدنيئ ، كلما ازدادت شوقا الى الله ومحبوب كل قواها
لطلبه ، ازداد ميلا اليها وقربا منها ، حتى يتحدد بها ويسكن اليها ،
لأنه ناظر اليها ، معاين رغائبها ، مطلع على ميلوها . فاطلبه من كل
نفسك ومن كل قلبك ومن كل قوتك تجده حاضرا لديك ، وحينئذ
ينكشف الستار المسدل على عقلك ، وترى الرب جهرة ، وتتمتع بمرأى
جماله ، وتشبع من حلوة سلوانه ، ويعطيك الغلبة على أعدائك
وينقذك من أيدي مطارديك ، ويحميك من الشرور المحيطة بك ، ويكون
الله كل شيء في كل شيء . فيكون لك طريقا ، وبابا وحياة ، ونعيما ،
وأكليلنا ، ومواء ، ومنارة ، وسلاما ، وحكمة ، وبرأ ، وسلاما .

الفصل الثالث عشر

حاجتنا الى النعمة وطاعة القلب لفعلها

اننا في هذه الحياة وسط حروب ومنازعات لا تسكن ولا تهدأ . وفي قتال مستمر ، لا ينقطع ، وتناوب أفتادتنا في كل لحظة عوامل الاغراء ، ود الواقع الاثم ، فالجسد يشتته ضد الروح والروح ضد الجسد . وهذا يقاوم أحدهما الآخر (غل ٥ : ١٧) وهذا ما حدث ببولس الرسول أن يتاؤه ويصرخ قائلاً « أرى ناموس الخطيئة الكائن في اعضائي يحارب ناموس ذهني » ويسببني إلى ناموس الخطيئة الكائن في الموت ، أشكر الله بيسوع المسيح ربنا ، (رو ٧ : ٢٢ - ٢٥) فالخطية قد خلفت فينا جذوراً دنسة ، بذورها فاسدة ، فأصبحت طبيعتنا ضعيفة ومائلة إلى الشر منذ حداثتها . ولم يبق فينا من القوة سوى آرادة ضعيفة واهنة ، ومعرفة حقيقة كشارة مخبأة تحت رماد ، وصار العقل مفعى بظلم دامس ، فعجز عن اتمام ما يراه نافعاً ، وحجب عنه ضوء الحرية ونور الحق الإلهي ، لذلك نرى الانسان مهما بلغ من التمسك بالفضيلة فلا تزال الشهوة تغريه والجسد يضاده . ليت شعرى ماذا تفعل نفوسنا الضعيفة في حرب هذه صفتها ، وهي بين عوامل تتجاذبها واهواء تلاطمهما وتقاومها . لا تفشل أيها الحبيب ولا تجبن فانا نستطيع كل شيء في المسيح الذي يقوينا (في ٤ : ١٣) أصagne واستمع صوت رب « تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل » مما عليك إلا أن تجيب بقول الرسول « بكل سرور أفتخر بالحرى في ضعفاتي لكي تحل على قوة المسيح » لذلك أسر بالضعفات ، والشتائم ، والضرورات ، والاضطهادات ، والضيقات لأجل المسيح ، لأنني حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى ، (اكو ١٢ : ٩٠) .

ففي وسط هذه الحرب الضروس ، يعطيك الله نعمة من لدنك ويشتدد ساعدك بها في الانسان الباطل فتفدو قادرًا على قهر كل قوات الطبيعة ، وانها لهبة فائقة يهبها الله لنا تفعل سرا في القلب رويدا

برويدا ، وتغير العواطف شيئاً فشيئاً ، وتسير الحواس في الداخل إلى الكمال . وكما أنت لا تشعر بنمو الشجرة ، ولا بفعل الطعام في جسمك ، هكذا النعمة تؤثر في قلبك قليلاً وتعمل في نفسك شيئاً فشيئاً ، إلى أن تصير رجلاً كاملاً إلى قامة ملء المسيح، وأنت لا ترى ، الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها ، ولكنك لا تعلم من أين قاتى ولا إلى أين تذهب هكذا كل من ولد من الروح » (يو ٨:٣) وهو تعالى يوزع مواهبه حسبما يشاء ، ويقدر ما يريد وكما يرى صالحًا لكل واحد . ليست طبيعة الأرض كلها واحدة فكل بقعة تنبت زرعاً ، وتثمر غرساً ، هكذا الله يفيض نعمته على قلوبنا حسب حكمته ، « فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة ، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد ، ولآخر إيمان ، ولآخر مواهب شفاء ، ولآخر عمل قوات ، ولآخر نبوة ولآخر تمييز الأرواح » (أكو ١٢:٨-١٠)

ان الله لم يشا ان يطبع القدسية فينا طبعاً لا يمحى ، بل النعمة تفعل فينا فعل الطبيعة . ان لم يكن العود جافاً لا يصلح للإيقاد ولا تستعر فيه النيران ، هكذا أنت يجب أن تكون مستعداً لفعل النعمة ، معداً نفسك لها ، مهيئاً لها لقبول مواهب الروح . انم في النعمة واحياً بها ، لأنك بدونها تكون عقيماً ، وبها تثمر ثمرة الخلاص والبر . لتكن معك ليلاً ونهاراً ، في حال الشدة وفي حال الرخاء ، في أوقات التعزية وفي زمان اليأس ، لأنها تهديك وترشدك وتصونك وتحفظك ، وتقويك وتساعدك ، ومتى تأيدت بها وسررت بارشادها ، تعد قادرًا على ما لا تقدر عليه الطبيعة ، وهي تحول لك الماء حلواً ، والشدة رخاء ، واليأس لينا ، والملوحة عنوبة ، والوعر سهلًا ، والخزي والذلة فرحاً وسروراً ، وتصير لك سلاحاً وقوة ودرعاً وعريوناً للخلاص الأبدي ، وتعلمك الحق ، وتلقنك الحكمة والأدب ، وتعزيك في الضيق وتثير لك الطريق وتطرد عنك الغم والحزن ، وتزيل الخزي والخوف ، وترافقك على الدوام وتقودك إلى الطريق الصالحة وتحولك إلى صورة الله .

الفصل الرابع عشر

الاختمام الفرصة واستماع صوت الله لقبول النعمة

النعمة لا تفعل فعلها في العقول المشتتة والقلوب الموزعة ، بل تطلب الروح الرزين الهادئ ، والقلب الوديع السليم . اذا دعاك رب فاسمع صوته واصنح الى أمره ، وبادر لمقاتلاته لأنك لا تحصل على الخلاص الا ان أطعت صوته ، ان الله يريد ان يخاطب قلبك فكن مستعد دائما لاستماع صوته ، لا تقس قلبك عند سماع صوته ، المفرح بل قل مع صموئيل « تكلم يا رب لأن عبدي سامع » (أص ٣:٩) كن كالشمع لدينا قابلا لصورة النعمة ، لا تكن قاسيَا لا يؤثر فيك فعلها ولا تتمرد على الروح القدس لئلا تسمع « ياقساة القلوب وغير المختونين في قلوبكم وأذانكم في كل حين ، حتى متى تقاومون الروح القدس كما كان آباءكم كذلك أنتم » (أع ٧: ٥١) .

ان الله لا يمنحك نعمة في كل حين ، فاغتنم الفرصة لكي تقبل موهابته ، ان الله لا يتغىرك في كل وقت فأاصنح لصوته عند ذيائه ايامك ، فقد قيل : ان ملائكة كان ينزل ويحرك الماء أحيانا . وكان من ينزل أولا يريا من مرضه (يو ٤: ٥) فايامك والتهاون والاهمال . ان لم تسمع الان صوته وقسيت قلبك فسيأتي وقت لا يسمعك فيه . لا ترفضه لئلا يرفضك . لا تحقره لئلا يهملك لا تكن كالشاب الغنى الذي دعاه المخلص فمضى حزينا لأنه كان ذا اموال كثيرة (مت ٢٢: ١٠) .

لما ولد المخلص شاع خبره في أنحاء البلاد ووصل إلى كل اليهود . ولكن لم يذهب ليسجد له سوى رعاعة فقراء كانوا يحرسون غنمهم (لو ٢: ١٥) ومجوس أقبلوا من جهات بعيدة (مت ١: ٢) وحين بدأ في التبشير لم يقبله أولا إلا صيادون فقراء من عامة الناس . لا تفضل الاصناف لصوت العالم وتضم أذنيك عن صوت يسوع لا تلتفت إلى شهوات العالم وتترك دعوة النعمة ونداءها . لا تدع نفسك تتعلق بالعالم ، لماذا تقييد ذاتك بهذه القيود والسلال .

الصعبية . تحرر من هذا النير الثقيل . لا تخدعنك أباطيل الحياة ولذاتها لئلا ينقلب فرحتها ترحا وحلوها مرا . لا يغرنك سراب العالم . الخلاب فتحمير أسيرا ذليلا ، بل دس بقدميك كل شهواته وأعتبر غناه فقراً ومجدك احتقاراً وعزه هوانا .

ان صوت الرب مفرح ولذيد ، وسعيد من يستمعه ويطيعه « انى اسمع ما يتكلم به الله الرب ، لأنه يتكلم بالسلام لشعبه ولaciائه » (مز ۸۵ : ۸) فأسمع وكن فى سلام . أصغ وتلذذ بالراحة ، انتصت بعقلك فتملك هدوء الضمير وتر سلام الله مقبلا اليك « على من حصدى أقف وعلى الحصن انتصب وأرافق لأرى ماذا يقول لي وماذا أجيب » (حب ۲ : ۱) .

احرص كل الحرص على النعمة وأحذر من السقوط . اهرب من كل ما يسوقك الى الخطأ وانتبه لئلا تفقد النعمة، وحذار أن تضييع ما اكتسبت وتندم على ما فعلت .

الفصل الخامس عشر

جزاء من لا يسمع صوت الرب ورفضه

قال الرب يدعو الجميع «أيها العطاش هلموا الى المياد والذى ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا ، هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمرا ولبننا ، استمعوا لي استماعا وكلوا الطيب ولتلذذ بالدسم نفسكم . اطلبوا الرب ما دام يوجد ، أدعوه وهو قريب » (أش ٥٥ : ١و٢و٦) «هودا الآن وقت مقابل هودا الآن يوم خلاص» (كو ٦ : ٢) «اليوم ان سمعتم صوته فلا تقسو قلوبكم» (مز ٩٥:٨و٩) هذا ما ينادي به الرب ورسله كى يسمع أهل العالم صوته ، ولكن من الناس من لهم آذان ولا يسمعون ، ولهם قلوب ولا يفهون ، اسلدوا على عيونهم وبصائرهم ستارا حتى لا يسمعوا ولا يهتدوا . تتسا لهم سوف يندبون ويتحببون حين يأتיהם وقت فيه يصرخون ولا من يسمع ، ويستغيثون وليس من يرحم ، لأنهم رفضوا الرب ولم يطعوه ، فهو أيضا يرفضهم ولا يعرفهم .

«الحكمة تنادي في الخارج . في الشوارع تعطي صوتها . تدعوا في رؤوس الأسواق . في مداخل الأبواب ، في المدينة تبدى كلامها قائلة الى متى أنها الجھال تحبون الجھل والمستهزئون يسرون بالاستهزاء والحمقى بيفضون العلم ، ارجعوا عند توبيخي . هأنذا أقيض عليكم روحي ، أعلمكم كلماتى » (أم ١ : ٢٠ - ٢٣) بذلك يعظمهم يسوع بصوته الحنون وفي كل حين يدعوهم . والى أي شيء يدعوهم ؟ الى الراحة والسعادة ، والأطمئنان والسلام ، فيتصاممون ويتلامسون بالأكل من خربوب العالم وينظرون أنهم يتلذذون . وبينما هم كذلك اذا بصوت آخر يرعبهم حين لا يستمعون الى نداء الرحمة ، ولا يصيخون الى صوت العدل ، قائلا «لأنى دعوت فأببتم ، ومددت يدى وليس من يبالي ، بل رفضتم كل مشورتى ، ولم ترضوا توبيخي فانا ايضا أضحك عند بليتكم ، أشتت عند مجىء خوفكم ، اذا جاء خوفكم كحاصلة واتت بليتكم كالزوبعة اذا جاءت عليكم شدة وضيق ، حينئذ يدعوننى فلا استجيب ، يبكون الى فلا يجدوننى ، أبغضوا العلم ولم يختاروا مخافة الرب . لم يرضوا مشورتى ، رذلوا كل

توبيخى فلذلك يأكلون من ثمر طريقهم ويسبعون من مقابرائهم لأن ارتداد الحمقى يقتلهم ، وراحة الجهال تبدهم ، أما المستمع فيسكن أما ويستريح من خوف الشر » (أم ١ : ٢٤ - ٢٣) . قال أرمياء :

من أكلهم وأنذرهم فيسمعوا ، ها أن أنهم غلغاء فلا يقدرون أن يصغوا ، ها أن كلمة رب صارت لهم عارا لا يسرور بها . هل خزروا لأنهم عملوا وجسا ، بل لم يخزوا ... ولم يعرفوا الخجل ، لذلك يسقطون بين الساقطين ، في وقت معاقبتهم يعثرون قال رب « (آر ٦ : ١٥ - ١٠) . أن رب يتبرأ من مثل هؤلاء ويقول : « أصغيت إلى الذين لم يسألوا ، وجدت من الذين لم يطلبوني ، قلت هانذا هانذا ، بسطت يدي طول النهار إلى شعب متمرد . يقول قف عندك لا تدن مني . هؤلاء دخان في أنفي . نار متقدة طول النهار . ها قد كتب أمامي لا أسك特 بل أجازى في حضنهم . أما أنت الذين تركوا رب فأنت أعينكم للسيف . وتجلّون لكم للذبح . لأنى دعوت . فلم تجيئوا . تكلمت فلم تسمعوا بل علمتم الشر في عيني واختترتم ما لم أسر به . لذلك هكذا قال السيد رب . هؤدا عبيدي يأكلون وأنتم تجوعون . يشربون وأنتم تعطشون . هؤدا عبيدي يفرجون وأنتم تحزنون . هؤدا عبيدي يترنمون من طيبة القلب وأنتم تصرخون من كابة القلب ومن انكسار الروح تولدون » (آش ٦٥ : ١٤ - ١٦) « هم اختاروا طرقهم وبمكرهاتهم سرت أنفسهم ، فأنت أيضاً اختار مصابهم ، ومخاوفهم أجلها عليهم ، من أجل أنى دعوت فلم يكن مجيب ، تكلمت فلم يسمعوا » (آش ٦٦ : ٣،٤) « الجلوس في الظلمة وظلال الموت موثقين بالذل والحديد لأنهم عصوا كلام الله وأهانوا مشورة العلي ، فاذل قلوبهم بتعب ، وعثروا ولا معين » (مز ١٢ : ١٠ - ١١) « لأنه ما هو رجاء الفاجر عندما يقطعه ، عندما يسلب الله نفسه ، أقيسّع الله صراخه اذا جاء عليه ضيق » (آى ٢٧ : ٨ و ٩) .

ويل من لا يسمع صوت رب ، وويع من يعترض سر النعمة ، يأشقاء وتعasse من يقاوم الحق ، ويغلق باب قلبه عن دخول النور فيه ، سيمكث في الظلام إلى الأبد ، ويستقر عليه غضب الله . وسيحس شدة وضيقا في نفسه ، وسيكون كالبحر المضطرب الذي لا يهدأ ولا يعرف السلام .

الفصل السادس عشر

وجوب توجيه كل الرغبة والثقة في الله وحده

ليكن الله رائدك واليه توجه كل ثقتك ورغباتك وأقصى أمانيك . مم تخشى ان جعلت اعتمادك كله على الله . لا تخف شيئاً ، فيه يسعد حالك ، وينعم بالك ، وبدونه تصير دائماً في شقاء وتقطع نفسك حسرات ، وتقلب على جمرات الألم . ليكن هو سلوانك وبغيتك فلا شيء على الأرض يقض مضجعك . اجعله رجاءك ومعزيك فتجد كل شيء سهلاً أمامك ، لا تنفعك الأموال، ولا يفيضك الآهاء والاصدقاء ، ولا يمنحك السلوان شيء على الأرض ان لم يكن الله معك تتلمس أمورك منه وحده . هل يقدر القوى أن ينجيك ، أو المشير الحكيم أن يهديك الطريق . أو الأصدقاء أن يعزوك في أوقات المحن والضيق . أي أمر يفيضك في هذه الحياة ان لم يكن يسوع معك لا أحد يستطيع أن يسعدك . ولا يقدر قوى ان ينقذك ، ولا يمكن ل مكان أن يسترك ويصونك ، فان كان الله معك صار ساعدك وناصرك وحافظك ومرشدك وقوتك وعزاءك ومنتهي آمالك وغاية سلوانك . كل ما يتراهى لك نفعه في هذه الحياة وأنه السبيل لنيل السلام والسعادة بدون الله ، هو في الحقيقة غش وخداع ، وفي واقع الأمر تعب ونصب . ان وضع الثقة كلها في الله وتوجيه الرغبة اليه وحده هو غاية الحياة وأقصى ما تصبو اليه النفوس .

انظر وتطلع ايها الحبيب . هاهي ذى أمامك خلائق لا تحصى وكائنات لا تقع تحت حصر ، ولكنها كلها عدم ، من العدم جاءت والى العدم تعود . فهل تطلب سلامتك وراحتك من عدم لا ثبات له ولا دوام لوجوده . هذه الكائنات التي تراها غاية في الزهو تختال جمالاً ، وتتنيه عجباً سوف تتوارى عن العيون بسرعة . وتغور الى العدم مركزها الذي خرجت منه . أما الذي لا يتغير فهو الله وحده فهو باق الى الأبد . تزول الكائنات وتفنى كل الخلائق ، ويدوم الله وحده . كل شيء يتغير ويحوله الزمان ، والله وحده هو هو أمس واليوم والى الأبد . لا يتغير ولا ينتهي ، وستنوه لن تفني أبداً الآباء ودهر الدهور .

أيتها الخلائق الدينية والكائنات الحقيرة ، توارى من أمام عيني
تجاه مجد الـهـى ، وأضـمـحـلـى ولا تعودـى تـرـاءـيـنـ أـمـامـ ذـهـنـى ، عـنـدـمـاـ
أـتـدـبـرـ بـفـكـرـىـ وـأـتـجـهـ بـعـقـلـىـ وـحـسـىـ لـلـتأـمـلـ فـىـ اللهـ وـحـدـهـ .

يـالـهـ مـنـ تـأـمـلـ لـذـيـدـ وـتـدـبـرـ عـذـبـ مـقـدـسـ ،ـ هـذـاـ الـذـىـ بـهـ يـسـوـقـنـ
الـقـلـبـ أـنـهـ لـيـسـ فـىـ هـذـهـ الـحـيـاـةـ مـاـ يـرـيـحـ بـيـنـ كـلـ هـذـهـ الـخـلـائـقـ ،ـ وـأـنـ
الـحـيـاـةـ تـكـوـنـ ثـقـيـلـةـ مـتـعـبـةـ اـذـاـ تـعـلـقـ الـقـلـبـ بـكـائـنـاتـ مـاـلـهـاـ الـعـدـمـ وـنـصـيـبـهاـ
الـفـنـاءـ .

فـلـتـبـتـهـجـ نـفـسـكـ بـالـهـ وـحـدـهـ ،ـ وـعـنـدـئـىـ يـتـلـلـأـ لـكـ مـجـدـ أـنـوـارـهـ .ـ آـهـ
يـارـبـ هـأـنـدـاـ مـسـطـبـ مـاـ تـذـوقـتـ مـنـ عـذـبـةـ مـحـبـكـ وـحـدـهـ ،ـ يـاـ لـهـاـ مـنـ
نـارـ أـشـهـىـ مـنـ كـلـ لـذـاتـ الـحـيـاـةـ الـحـسـيـةـ ،ـ حـبـذـاـ لـوـ أـرـانـىـ مـسـتـغـرـقـاـ
فـيـهـ ،ـ نـاسـيـاـ ذـاتـىـ ،ـ غـيـرـ شـاعـرـ إـلاـ بـوـجـوـدـكـ فـىـ ،ـ هـأـنـدـاـ وـلـهـانـ مـعـنـىـ
لـاـ أـدـرـىـ مـاـذـاـ أـفـعـلـ ،ـ وـلـيـسـ لـىـ سـوـىـ الـاسـتـغـرـاقـ بـكـلـيـتـىـ فـىـ نـيـرـانـ هـذـاـ
الـحـبـ ،ـ الـتـىـ لـاـ تـفـتـأـتـ حـبـيـنـىـ بـسـعـيـرـهـاـ ،ـ وـيـتـأـجـجـ لـهـبـيـهـاـ الـمـضـطـرـمـ فـىـ ،ـ
لـاـ أـبـتـغـىـ وـلـاـ أـشـتـهـىـ وـلـاـ أـهـوـىـ سـوـىـ الـغـوـصـ فـىـ بـحـرـ هـذـاـ الـحـبـ
الـأـقـدـسـ السـامـىـ ،ـ الـذـىـ يـصـطـخـ بـصـوـتـ فـتـنـ عـقـلـىـ وـسـبـىـ لـبـىـ قـائـلـاـ :ـ
اـنـ مـوـضـوـعـ حـبـىـ هـوـ :

الـهـ وـحـدـهـ
الـهـ وـحـدـهـ
إـلـىـ الـأـبـدـ
إـلـىـ الـأـبـدـ

الفصل السابع عشر

عدم طلب السلام من العالم

قال رب : « سلاماً أترك لكم ، سلامي أعطيكم ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا » (يو ١٤ : ٢٧) ما أحلى هذا القول ، وأعذبه ، ما أحسن السلام وما أسعد من يملكه ، كثيرون يتغرون السلام ، ويسعون للحصول عليه ، ولكن ما أقل الذين ينالونه . كثيرون تبعوا وجدوا ولم يظفروا بشيء منه ، وما ذلك إلا لأنهم يطلبونه من غير طريقه ، ويأتونه من غير أبوابه ، ولا يزال العالم يخدع كثيرين مومها أيامه بأنه مصدر السلام والراحة . يقول للغنى : ما بالك تقف عند حدى ، سر في طريقك وأملا خزائنك وأجمع الكثير من هذا الأصفر الرنان وضع قلبك عليه ، واسجد له تجد الراحة ، فيسمع هذا المسكين صوت الغرور ، ويفنى أيامه ، وحياته في جمع الأموال وهو في حرصه واهتمامه به يحرم نفسه من التمتع بما يجمع . ثم يخرج أخيراً من هذه الدنيا ويدخل حياة الأبدية عارياً من السلام . والعالم أيضاً لا يربح يدخل الإنسان يوسوس له قائلاً : ما بالك حزيناً كثيراً لا تتمتع باللذات وتشبع نفسك منها وتتلذج صدرك بشهيها ، وهذا يزين لكل واحد سعادة موهومة وسلاماً كانباً ، وينصرف بهم من خداع إلى آخر ، ويحكم كيده لهم بمسرات باطلة يموه بها على العقول ، فيظنها الشرير في شره ، والبخيل في جمع ماله ، والجبار في قوته ، والشره في شراحته ، وصاحب الكرامة في مرتبته ، بيد أنه ليس واحداً من كل هؤلاء ينال السلام الحقيقي ، لأن العالم لا يضفي على الناس بشيء سوى قلق وهم وغم وضجر وتكبر للضمير، مع أوجاع ونكسات لا حد لها . هذا هو سلام العالم كله « لأن في طرقهم اغتصاب وسحق وطريق السلام لم يعرفوه » (رو ٣ : ١٦ - ١٧) وما العالم إلا كأنبياء إسرائيل الذين كانوا يتربأون لأورشليم ويرون لها رؤى السلام ولا سلام (حز ١ : ١٦) وما مثل هؤلاء إلا كما يحلم الجائع أنه يأكل ثم يستيقظ وإذا نفسه جائعة ، وكما يحلم العطشان أنه يشرب ثم يستيقظ فإذا هو رازح ونفسه مشتهية (اش ٩ : ٨) هكذا يكون الذين يطلبون سلامهم من العالم ، الذي لا يستجيب لهم بشيء إلا الاتعاب والأوصاب . فهل بعد ذلك تطلب

سلامك في القلق والانزعاج ، كيف تقول للأمواج سكنى اضطرابي ، وللزوابع هدى رويعى . لعمرى أن كل ما في العالم ، من غصون وهموم ، واكدار وأحزان ، وأمراض وأوصاب ، وويلات وتجارب، تقترب الإنسان في كل أدواره، ينذر بأن لا سلام في العالم وهاهي دى أصوات التنهد والآتين والصياح والعويل ، وزفرات النواح والنحيب ، تنبئك عن الحق، وتكشف لك عن ذلك الباطل الذى يسمى الناس سعادة فالسعادة لاتسكن في دار تعب وشقاء، وإن من يطلب السلام من هذا العالم لأشباه بطائر يرفرف فوق أمواج المياد الى أن يعييه الطيران ، ويتعبه السير ، ولو أتيح لك أن تملك زمام العالم وتملك ناصيته لما نعمت بالراحة فيه لأن نفسك مخلوقة على صورة الله لا يوافقها شيء آخر ، لأن الله قد خلقها ليسكن ويحل فيها وحده، فهو سلامها الحقيقي دون غيره .

يأنفسى لن تبرحى شقية ، ولن تزالى في عناء ووصلب ، في قلق واضطراب في برية هذه الحياة ، إلى أن تستريحى في الله الذي هو فوق كل ما في الأرض وفوق كل ما في السموات ، لأنك أنت يارب سلامي الحقيقي الذي يفوق كل عقل (في ٤ : ٧) ففي هذا السلام ارتاح « وبسلامة اضطجع بل أيضاً أنم » (مز ٤ : ٨) .

الفصل الثامن عشر

طلب السلام والراحة في الله وحده

من طلب السلام والراحة من العالم ، لا ينال سوى القلق والاضطراب ، لأن من خواص العالم التقلب والتغير على الدوام ، أما السلام الحقيقي فيستمد من الله الذي ليس عنده تغيير ولا ظل بورأن (يع ١ : ١٧) من التمسق بالعالم ووضع سروره وثقته فيه فلن يحصل على سلام إلى الأبد ، بل يظل قلقاً مدى حياته ، لا تزال إليها الحبيب قلقاً تعباً إذا وضعت ثقتك في غير الله ، أو أحببت سواه ، ولكن ان مكنت محبتك وسلامك في الله فلا يستطيع شيء أن ينزع منها سلامك أو يكرر صفو راحتك . فلا المشقات ولا الآلام ولا الأوجاع ولا المظالم ولا شيءٍ قط . تظلم به حياتك ، أو ينبع من عيشتك ، بل في كل ذلك يلازمك السلام وتدوم لك الراحة .

إن شؤون هذا العالم متغيرة طبعاً ، فمن يجعل سلامه متعلقاً بها يصير متغيراً مثلها كل يوم من حال إلى حال ، ولا يجد سلاماً قط ، إذن لا يمكن أن تجد سلامك في الخيرات الأرضية ، ولا في كثرة الأموال ، ولا في القوة والصحة ، ولا في الكرامة والجاه العالى ، ولا في شيء آخر من أمور هذا العالم ، ولكنك تجده في الله وحده . إن الأمور الدنيوية لا تشير أشواطك ، ولا تشبع نفسك لأنها ليست الطعام الحقيقي للنفس ، والا فحدثني لماذا لا تشبع البخيل من جمع المال ؟ أليس ذلك لأن المال ليس طعاماً للنفس ، من كان في سفينة في بحر أولى به وأسلام له إلا يطلب طعامه وشرابه منه ، بل يجب أن يحمل معه زاده ، هكذا أنت في العالم لا تطلب من العالم طعام نفسك الأبدية ، لأن لها طعاماً آخر ليس من هذا العالم بل من السماء .

ان طلبت الفرج وأسلام والراحة من لذات العالم بكىتك في

النهاية وحزنت ، وإن ظلت سرورك في هذه اللذة أو تلك ، فلست إلا في رهم وخداع ، وإن توهنت سعادتك فيما يتفق مع هواك ، فأعلم أنك قد حدث عن جادة الصواب ، لأن الذى تحبه وتسر به اليوم تكرهه غداً حتى تود إلا تراه ، فلقد أقبل الاسرائيليون أولاً على الملايين بشوق ورغبة ثم ما لبثوا أن صدوا عنه ، وضجروا منه ، وتمنوا الرجوع إلى مصر مفضلين أكل البصل والثوم . إنك لن تفوز أبداً بسرور ما دمت منتظراً ذلك من العالم ومترقباً له من أمور فانية زائلة ، ولكن ان وضعت سرورك وسلمك في الله ، يدومان لك دون أن يعتريهما تغير أو انقلاب .

ومadam الإنسان بعيداً عن الله فهو مضطرب النفس مبلبل الفكر ، ولن يحصل على السلام الحقيقى ، فاقتربى يأنفسى إلى الله لتحصلى إلى سلامك وسعادتك .

يا الهى إننى في قلق ما دمت بعيداً عنك . فاقترب مني واجذبى نحوك .
إنى أشتقاك إلى أن أتمتع بسلام بنيك الذى يفوق كل عقل . إننى في تعب وشقاء في وسط منفأى . فرطب فؤادى بسلوانك . وقربنى إلى سلامك فى أرض غربتى . فى هذا الوادى وادى الشقاء . لا تلتفتى يأنفسى إلى أمور هذا العالم القابلة للتغير والفناء لئلا تحيدى عن طريق السلام وجهى أشوائك ومحاظك وكل ما فيهك إلى الله وحده فتحصلى على السلام والهدوء والسكينة الكاملة التي لا يشوبها كدر ولا حزن ولا تعب . اعلمى أن لا شيء في العالم يملا رغائبك . يشبعها ويضفى عليك السرور غير الله وحده . فلا تجولى وتطوفى في مكانة ليس فيها الا سراب ولا تتكلفى الأشياء غير طبائعها . فتنقوعى الخير او تطلبى السعادة من غير الله الذي هو وحده يغريك عن كل شيء .

الفصل التاسع عشر

فيما يجلب السلام الحقيقي والراحة المتكاملة

ان السلام الحقيقي القائم ليس الا في هدوء الضمير وطمأنينة القلب .
والحصول على السعادة ، والدوام عليها بين تيارات العالم وتقلباته . أثبتت
في الله لظفـر بهذا السلام . اترك ما اذا فقدته حزنـت عليه وتوجـعت لفقدـه
لا تلـق قلبك بما يتـالم له خـوفاً من ضيـاعه . ضـع كل ثـقتك في الله وحـده
لا تـداخل فيما لا يعنـيك ولا تـهـتم بما لا يخصـك . ولا تـله بأمـور باطلـة وابتـعد
عنـ الخـصم والمـنـازـعـة والـحـسـد وـعـنـ كـلـ مـاـ مـشـأـنـهـ آنـ يـفـقـدـكـ السـلـامـ
آسـتأـصـلـ العـادـاتـ الـرـديـةـ مـنـكـ . ولـيـكـ ضـمـيرـكـ طـاهـراـ . وـنـيـتكـ سـلـيـمةـ وـرـغـبـتكـ
مـقـدـسـةـ . وـلاـ تـسـئـ الـظـنـ بـأـحـدـ . خـالـفـ هوـاـكـ . وـاقـمـ شـهـوـاتـكـ . وـالـجـمـعـ
آلـاـمـكـ . وـقاـومـ حـوـاسـكـ وأـضـبـطـ مـيـولـكـ لـتـجـدـ رـاحـةـ وـسـلـامـ . فـانـ السـلـامـ فـيـ
مـقـاـومـةـ الـأـهـوـاءـ وـعـدـمـ الـاستـسـلامـ لـهـاـ . لـاـ فـيـ طـاعـتـهاـ وـالـأـنـقـيـادـ لـهـاـ .

التـفـتـ إلىـ اللهـ . وـسـلـمـ قـلـبـكـ . وـاخـضـعـ لـهـ اـرـادـتـكـ . وـأـحـبـهـ فـتـظـفـرـ
بـالـسـلـامـ وـالـسـعـادـةـ . كـنـ وـدـيـعـاـ اـنـيـساـ مـحـبـاـ لـلـصـلـحـ فـتـكـونـ أـبـنـاـ لـلـسـلـامـ - طـهـرـ
ذـاتـكـ مـنـ كـلـ دـنـسـ . وـاقـتـلـعـ مـنـ قـلـبـكـ بـذـورـ كـلـ شـرـ فـتـشـعـرـ بـسـلـامـ اللهـ الـكـاـمـلـ
- اـحـتـقـرـ كـلـ مـاـ فـيـ الـعـالـمـ مـنـ الشـهـوـاتـ الرـدـيـةـ . وـلـاـ تـعـلـقـ قـلـبـكـ بشـءـ مـاـ فـيـهـ -
لـاـنـكـ اـنـ لـمـ تـحـتـقـرـ لـذـاتـهـ وـمـغـرـيـاتـهـ وـتـطـلـبـ اللهـ وـحـدـهـ . فـلـاـ تـظـفـرـ بـسـلـامـ مـدـىـ
دـيـانتـكـ .

مـنـ يـحـوزـ السـلـامـ فـهـوـ خـيـرـ مـنـ يـمـلـكـ العـالـمـ بـأـسـرـهـ ، وـأـفـضـلـ مـنـ حـدـقـ
كـلـ الـعـلـومـ وـبـرـعـ فـيـهـ . كـنـ صـبـورـاـ قـوـىـ النـفـسـ ذـاـ ضـمـيرـ سـلـيـمـ، فـيـكـونـ السـلـامـ
فـيـ قـلـبـكـ فـانـ الصـبـورـ يـرـتـاحـ وـيـطـمـئـنـ إـلـىـ اللهـ حـتـىـ اـذـاـ الـلتـ بـهـ الشـدائـدـ وـاحـاطـتـ
بـهـ الـكـواـرـثـ وـالـآـلـامـ . اـمـاـ الضـمـيرـ الـشـرـيرـ فـانـهـ دـائـمـاـ فـيـ خـوـفـ وـقـلـقـ وـفـزـعـ .
حـتـىـ مـنـ اـنـفـهـ الـأـشـيـاءـ وـاـحـقـرـهـاـ . اـذـ لـيـسـ لـدـيـهـ مـاـ يـصـدـ عـنـهـ عـادـيـةـ الـدـهـرـ .

اـنـ شـهـوـاتـكـ وـرـغـائـبـكـ تـحـارـبـكـ وـتـحـاـولـ اـنـ تـنـتـزـعـ مـنـكـ سـلـامـكـ فـلـاـ تـظنـ اـنـ
الـعـدـوـ بـعـيـدـ عـنـكـ ، بلـ هـوـ فـيـ بـيـتـكـ وـسـاـكـنـ مـعـكـ ، فـحـدـ مـنـ شـهـوـاتـكـ ، وـاـضـبـطـ
كـلـ ذـلـجائـكـ ، وـحـيـفـتـ تـصـيـرـ آـمـنـاـ عـلـىـ سـلـامـكـ . اـدـخـلـ إـلـىـ ذـاتـكـ ، وـاـقـتـلـ كـلـ
مـيـرـكـ الـنـحـرـفـةـ ، عـنـدـ ذـكـ تـشـعـرـ بـحـلـوـةـ مـاـ هـوـ مـرـ لـدـيـكـ الـآنـ .

اـنـ العـثـ يـتـلـفـ الصـوـفـ ، وـالـسـوـسـ يـقـسـدـ الـخـشـبـ ، هـكـذـاـ الـشـهـوـاتـ
الـجـائـةـ وـالـرـغـائـبـ الـنـحـرـفـةـ فـانـهـ تـلـفـ وـتـقـسـدـ وـتـسـتـأـصـلـ اـصـلـ السـلـامـ مـنـ
الـقـلـبـ . فـاـضـبـطـ كـلـ حـوـاسـكـ حـتـىـ تـتـمـتـعـ بـالـسـكـونـ وـالـدـعـةـ ، كـنـ هـادـئـاـ سـاـكـنـاـ
فـتـكـهـنـ فـيـ طـمـانـيـةـ وـرـاحـةـ ، وـاعـلـمـ اـخـيـراـ اـنـ رـوـحـ اللهـ الـقـدـوسـ لـاـ يـسـكـنـ اـلـاـ
الـقـلـبـ الـوـدـيـعـ السـلـيـمـ الـهـادـيـءـ .

الفصل العشرون

في تسليم الذات لارادة الله

من شأن المحب الحقيقي ان يقبل على ما يريده المحبوب وبكره مالا يريد ، هذا هو المثل الأعلى في الحب ، فلا يمكنك أن تبلغ الغاية في محبة الله ، الا اذا طابت ارادتك ارادته ، وليس شيء احسن ولا اكمل من اراده الله . نكاماً اتحدت ارادتك بارادته صارت ارادتك اكمل وافضل . ان الله اكمل موجود ، فاتبع ارادته ، تتقدس وتكميل ارادتك ، قل في كل شيء لكن مشيتك ونتم ارادتك يارب .

ان كل ما يحدث في العالم - ما عدا الخطيئة - انما يتم بسماح من الله ، فما عليك الا ان تقبل بشكر وسرور كل ما يحدث لك لأنه من قبله تعالى ، ومتى سلكت هذا الطريق ودربت نفسك على ذلك لا تحزن ولا تضجر ولا تسل ولاتزعج ، بل تظل في أمان وهدوء وسكون ، وتعيش على الأرض ممتنعا بالسلام بالكامل .

سلم ذاتك تسليما كاملا للرب ، ضع نفسك في يد القدير ، فتطابق ارادتك ارادته تعالى . ان تسليم الذات لله تعالى والاتكال الكامل عليه هو أصل كل سكون وهدوء وينبوع كل سعادة وخير . استودع ذاتك يد العناية الالهية تصرفك كيف شاءت ، وتقليبك أني ارادت ، وبذلك تدل على أنك لا تريد ان تعيش لذاتك بل لله . ان كانت ارادتك مطابقة لارادته ، فلا تعمل أى عمل إلا تنفيذاً لمشيئته ، ولا تشته شيئاً آخر سوى ان تكميل ارادته فيك ، حينئذ تكون فرحا في وسط المأزق ، ولا يرتاب قلبك لدى الشدائدين ، ويفرح بك الرب وبعطيك اللذة الحقيقة ، لأن الله يحب من يتبع مشيئته ، وقد مدح داود النبي على ذلك وقال عنه : « وجدت داود بن يسى رجلا حسب قلبي الذي يصنع كل مشيئتي » ، (اع ١٣ : ٢٢) .

انك بخضوعك ومتابعتك لارادة الله ، تحصل على كبت كل ميولك الرديئة ، وأمامك سائر شهواتك الدنيا فإذا تكون بجملتك مستغرقا في هذه المشيئ ، وتكون قد افنيت ارادتك الشهوانية ، وبمقدار ما تذكر ذاتك تزداد اتحادا

ياش ، فازل من طريقك كل ما من شأنه أن يحررك هذا الخير الأعظم ،
ويمنع الاتحاد بالله الذي هو الخير الحاضن .

ان ملكوت الله ير وسلام وفرح في الروح القدس ولن تحصل على هذا الفرح وذاك السلام ما لم تسلم ذاتك لارادة الله ، وتخضع مشيئتك لمشيئته ، فتثال عربون السعادة وتحصل على فرح الروح الدائم وتنعم بنعيم القديسين الذين يتعمون مشيئته الله في السماء ، لا يعتريك قلق ، ولا ألم من قبل الأمور الزمنية ، ولو اختلفت الأمور ، أو زلزلت الأرض ، أو تقلبت عليك الحوادث ، أو تغيرت الأحوال ، أو حلت المصائب والأوجاع فإنك في هذه كلها لا تشعر إلا بارادة الله ورضوانه وتحول كل أجزائك إلى تسليمة رينقلب ترحك إلى فرح ، واكتئبك إلى سلوان وتعزية ، وضيقك إلى عذوبة وسلامة ، ومتاعك إلى راحة وسرور ، وحزنك إلى عزاء .

هذه حال القديسين الذين است الحال كل اتعابهم وتجاربهم إلى فرح وسعادة لأنهم استودعوا كل قلوبهم لأرادة الله فحازوا رضاه الكامل ، وما أحمل أن يسكن القلب في السلام والراحة ، فيما بين عواصف التجارب ، وأوجاع الآلام المرة المحدقة بالانسان من كل جانب ، ومثله في ذلك كالعلية المتقدة في المهيوب ولم تحرق ، وكالفتية في أتون النار ولم تؤذهم .

فعلمني يارب أن أصنع ما تقضي به مشيئتك وأن انقاد لما تريده ، واتجنب مالا تحب ، فذلك كل عزائي وسلاماني وغاية آمالى ، « ولكن دائماً معك ، أمسكت بيدي اليمنى . برأيك تهدينى وبعد إلى مجد تأخذنى ، من لي في السماء ومعك لا أريد شيئاً في الأرض ، قد فنى لحمى وقلبي وصخرة قلبي ونصبى الله إلى الدهر ، لأنه هؤلا البداء عنك يبيدون . تهلك كل من يزنى عنك . أما فالاقتراب إلى الله حسن لي . جعلت السيد رب ملائكي لأخبر بكل صدائعك » (مز ٢٣:٧٣ - ٢٨) .

الفصل الحادى والعشرون

فى اتمام ارادة الله كل الفرح والسرور

ان تسليم الذات لله ، والخضوع لمشيئته ، لما يكسبنا نعمة عظمى ،
ربما نقدر على احراز الفضائل ، آمنين كل ما يطرا علينا ، ان تكون بين
يدي العلى وفي حراسته وتدبيره . لا تتوجه انك تحصل على الراحة والسلام
اذا انت تهمت ارادتك لأن سلامك هو في رضوان الله ومشيئته ، ويد الله
تهدينا أكثر مما نهدى انفسنا ، وعين الله تحرسنا احسن مما نسهر نحن على
ذواتنا ، ومشيئته الله اقدس من مشيئتنا ، وهو يريد لنا الخير الحالص والسلام
الكامل أكثر مما نريد لأنفسنا . اشتئهى بنو إسرائيل في البرية أكل اللحم
وطلبو اتمام مشيئتهم ، فصارت ارادتهم سبب هلاكم « امطر عليهم لحما
مثل التراب ، وكرمل البحر طيورا ذوات أجنة ، واسقطها في وسط محلتهم
حرالي مساكنهم . فاكروا وشبعوا جدا ، وأتاهم بشهوتهم . لم يزوجوا عن
شهوتهم ، طعامهم بعد في أفواههم ، فصعد عليهم غضب الله وقتل من
أنفسهم وصرع مختارى إسرائيل » (مز ٢٧:٧٨ - ٣١) .

ان السعادة العظمى التي يتمتع بها القديسون في السماء إنما هي في
استغراقهم في حب الله ، وهناك ينزلون عن كل ما يخص ذواتهم حيث يكون
الله ثيئهم الكل في الكل ، فلا يتطلعون إلى شيء آخر غيره . وحدد « فان سلكت
سبيل الله ، ووجدت ارادتك بارادته فقد حصلت على عريون راحة القديسين
وسعادة السمائين وانت على الأرض .

اقبل واحتمل بصير جميل كل ما ياتيك من الله مسيرة او تجربة او شدة
واذمن لكل ما يعرض لك كأنك كنت تتوقعة وتريده لنفسك ، فما زلت ذلك
ووجدت راحة وسلاما ولا يؤلمك ما عساه ان يعرض لك لأن التجربة او المحنـة
التي يريدها الله لك احسن من الخير والسرور اللذين تريدهما انت لنفسك ،
وان تبع ذلك فلا الشدة تقلقك ، ولا التجربة تضجرك . ولا يدفع بك الى
الزهق والعجب ، ولا الاهانة تؤلك ، ولا يكون لأى حادث من الحوادث اثر
في نفسك ، بل تكون في سلام ، على حال واحدة ، فى كل شيء ، (رسوأء
اقبل عليك امر مفرح او فاجأك شيء محزن ، فأنك قبلها بفرح وشكر وصبر
جميل . وحينئذ لا ترى حزينا ، ولا مكتينا ، ولا ضجرا ، ولا متضايقا ،
بل يظهر عليك السرور والسلام والسكون والهدوء العظيم .

الفصل الثاني والعشرون

امثلة على ارادة الله وسماته تعالى

قال المخلص له المجد « الكلاس التي أعطاني الآب الا أشربها » (يو ١٨: ١١) وقال لبلاتس « لم يكن لك على سلطان البتة لو لم تكن أعطيت من فوق » (يو ١٩: ١١) وقال الرسل بنفس واحدة في صلاتهم : « القائل بفم داود فتاك ، لماذا ارجت الأمم وتذكر الشعوب بالباطل . قامت ملوك الأرض واجتمع الرؤساء معًا على الرب وعلى مسيحه ۰۰۰ ليجعلوا كل ما سبقت فعينت يدك ومشيرتك أن يكون » (أع ٤: ٢٥ - ٢٨) قصد هيرودس قتل المخلص فقتل الوفا من بيت لحم ولكن لم تقدر يده أن تصل إلى يسوع ، لأن ساعته لم تكن قد آتت بعد ، أراد اليهود قتله مرات عديدة ولم يقدروا ، لأنهم لم يعطوا سلطاناً في ذلك الحين . أخذه أهل الناصرة مدینتة ليطرحوه من فوق إلى أسفل ولكنه جاز في وسطهم ومضى (لو ٤: ٣٠) رفع اليهود الحجارة يرجموه ولكن امسكت أيديهم فلم تتحرك ، وطلبوها أن يمسكوه فخرج من أيديهم . ولكن لما جاءت ساعته التي رسماها وغينها قال لهم : « هذه ساعتكم سلطان الظلمة » .

طلب شاول أن يميت داود ولكن لم يقدر على ذلك لأنه لم يعط سلطاناً من الله ولأن الله لم يدفعه ليده (أص ٢٣: ١٤) فلا يمكن أن تحل علينا تجربة أو يصيبنا شيء ما لم يسمح الله ويذنب به .

قصد أخوة يوسف أن يهلكوه ولكن الله بعث به إلى مصر لحياة كثرين، ولذلك قال لأخوته : « وآن لا تتاسفو ولا تفتظوا لأنكم يعتموني إلى هنا ، لأنه لاستبقاء حياة أرسلني الله قدامكم ۰۰ ليجعل لكم بقية في الأرض ولستقي لكم نجاًة عظيمة ، فالآن ليس انتم أرسلتموني إلى هنا بل الله » (تك ٤٥: ٥ - ٨) وقال أيضاً « لا تخافوا لأنه هل أنا مكان الله ، انتم قصدتم لي شراً أما الله فقد بد خيراً لكي يجعل كما اليوم ليحيي شعباً كثيراً » (تك ٥٠: ٢٠ و ١٩) « الرب أبطل مؤامرة الأمم . لاشي أفكار الشعوب ، أما مؤامرة الرب فالى الأبد ثبت ، أفكار قابه إلى دور فدور » (مز ٣٣: ١١ و ٣٣) « في قلب الإنسان أفكار كثيرة لكن مشورة الرب هي

تشتت ، (ام ١٩ : ٢١) قال الرب « رائى يقوم وافعل كل مسربتى (اش ٤٦ : ١٠) » كل ما شاء الرب صنع فى السموات وفى الارض فى البحار وفى اللحج « (مز ١٢٥ : ٦) » هو يفعل كما يشاء فى جند السماء وسكان الأرض ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له ماذَا تفعل » .

افعل ما تريده واسع فى مناكب الأرض كيما شئت ولكن لا بد أن تتم أراده الله ، ومهمما استخدمت من الوسائل لتنفيذ مشيئتك وابطال مشيئة الله فلا بد أن تنفذ ارادته وتتم مشورته . سأله يوسف رئيس السقاة وهو في السجن أن يذكره أمام فرعون ، وكان من الأمور الهينة ان يخرج الله يوسف من سجنه ، ولكنه تعالى لم يرض بذلك ولم يشاً خروجه الا بذلك المجد ، ليكون سيداً على أرض مصر ، لهذا نسي يوسف وترك مسجوناً الى أن أتى زمان قدره الله لنفاذ مشيئته ليخرج بالشرف البانخ . أرسل قيس ابنه شاول ليشنّد أتنه الضالة بعد أن فتش عنها وعيثا حاول أن يقف على أثرها ولما اتجه مع شاب الى النبي صموئيل يسأله عنها ، كلام الله النبي بأنه سيرسل له من يملك على اسرائيل « فيالعمق غنى الله وحكمته وعلمه ما أبعد أحکامه عن الفحص وطرقة عن الاستقصاء ، من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً » (رو ٣٤:١١ و ٣٢:١١) قال الرب لأن أفكارى ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقى ، لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقى عن طرقمكم وأفكارى عن أفكاركم « (اش ٥٥ : ٩ و ٦) »

كان شاول يسطو على الكنيسة . وكان يدخل البيوت ويجر الرجال والنساء ويدفع بهم الى غياب السجن . ويتناول تلميذ الرب قتلاً وتهديداً فعمى برسائل من رئيس الكهنة ليضطهد الكنيسة ولكن الرب اقتاده في الطريق وارسله ليشاشة الام الى اليمان (اع ٩ : ١ - ٩) . أمسك شاول الملك جبة حمموئيل فتمزقت بلا قصد ولكن ذلك كان اشعاراً بأن الله تعالى مزق منه مملكته (اص ١٥ : ٢٨) اخرج أخيش داود من بيته بخبث وكراهة من أصحابه ولكن الله دبر ذلك لكي بخروجه يلحق بالفلسطينيين ويحاربهم (اص ٢٩ : ٦) . لم يقلق الملك أحشويرش ليلاً ويقرأ في التاريخ الا بارادة الله ليغاصن مردحائى من شر هامان (اس ٤ : ١٤) فلا يمكنك أن تعرف مقاصد الله الأزلية السامية . ولعل ضيقاً يكون من ورائه خير عظيم فالاولى أن تسلم للرب كل شيء ليجري حسب مقاصده تعالى فتفوز بحراسته وعنابة تدببه فهو الرب ما يحسن في عينيه يعمل (اص ٣ : ١٨) وإذا لم يتم أمر حسب مرادك فلا تضجر بلأشكر الله وقل : نعم يارب فلتكن مشيئك أنه هكذا حسارت المسرة أمامك « ألق على الرب همك فهو يعولك . لا يدع الصدق يتزعزع الى الأبد » مز ٥٥ : ٢٢ فتواضعوا تحت يد الله القوية لكي يرفعكم في حينه ملقين كل همكم عليه لأنه هو يعنيكم .

لقد أحببتنى ياسوع الالهى بهذا المقدار حتى أسلمت ذاتك لأيدي القساة
لأجل ليفعلوا بك كما يريدون فليس بعظيم يارب ان سلمتك ذاتى تسليمها
مطلقا لاكون بين يديك تصنع بي ما تشاء وتفعل بي ما تريد . انك لا تريد
لى الا كل خير وسعادة فها انا ذا انسى ذاتى وأترك نفسى لعنایتك وتدبرك
لتذكرنى وتهتم بي وتسيرنى كما تريد . وها انا ذا يارب ارضى بهذا البدل
الذى لا يمكن ان يكون لى اسعد منه بشكر جزيل .

+++

الفصل الثالث والعشرون

الخضوع لارادة الله في زمن الشدة

أكثر من زمن الرخاء

ان اجمل تعزية تجدها في نفسك هي حين تنكر ذاتك ، وتسليمها تسلیما مطلقا بين يدي الله ، وتحتد به اتحاد المحبة والخضوع لارادته ، لا سيما في زمن المحن والشدة، انك محتاج كثيراً أن تروض ذاتك على هذه الفضيلة ، خصوصاً في أوقات التجارب والأوصاب ، وعند حلول المصائب والامراض ، لظهور محبتك الله في الشدة والرخاء ، وتكون راضياً في كل الحالين .

أن شكر الله في زمن الرخاء والتسليات وقبول الاحسان منه تعالى أمر طبيعي ، ولكن اظهار ذلك في زمن المحن خاص بالذين يحبونه ويتدوّقون عنوينة سلوانه وتعزياته ، لأن الشكر لله في مثل هذا الأوان له نعمة عذبة ، وصوت جميل في أذني الله تعالى . بعدهما جلد الرسول ذهبوا فرحين لأنهم حسبوا مستاهلين أن يهانوا من أجل اسم يسوع (أع ٥ : ٤١) وهذا ما جعل الرسول أن يقول « امتلأت تعزية وازدادت فرحاً جداً في جميع ضيقاتنا » (أك ٧ : ٤) « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح أبو الرأفة والله كل تعزية الذي يعزينا في كل ضيقاتنا حتى نستطيع أن نعزي الذين هم في كل ضيقة بالتعزية التي نتعزى نحن بها من الله ، لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا كذلك باليسوع تكثر تعزيتنا أيها » (أك ٣ - ٥) الا ترى أيوب الصدّيق وقد حلت عليه التجارب والبلایا يتلو بعضها بعضاً . نهيت مواشيه وهدمت بيته ومات أولاده وبناته ، وعمت جسده القرح والأوصاب من هامته إلى أخص قدميه . وكان في كل ذلك يقول « الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركا » (أي ١ : ٢١) قال الرسول « ولكن تذكروا الأيام السالفة التي فيها بعد ما أنترتم صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة . من جهة مشهورين بتعديلات وضيقات ، ومن جهة صاثرين شركاء الذين تصرف فيهم هكذا ، لأنكم رشتم لقيودي أيضاً ، وقبلتم سلب أموالكم بفرح ، عالين في أنفسكم أن لكم مالا أفضل في السموات وباقياً ، فلا تطرحوا ثقلكم التي لها مجازاة عظيمة لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة

الله تنالون الموعد . لأنه بعد قليل جداً سيأتي الآتي ولا يبطئء » (عب ١٠ - ٢٧ : ٢٢) « حبيبي لى واتا له الى أن يفوح النهار وتنهرم الظلال » (نش ٢ : ١٦،١٧) .

لتحل هذه الكلمات سويدةء قلبك ، ولتضن على لسانك ، فهى كفيلة أن تفرجك وتسرك وتجعل أيام حياتك سعيدة ، وتسرى عنك كل حزن ، وتحول شدائرك إلى عذوبة ، بل يجعلك تستعبد الموت نفسه حباً باه لتمتع بحياة أكمل وأفضل . ما أجمل أن تلقى بذواتنا بطمأنينة بين يدي الله الحى ، حتى لا نشاء أن نعرف ماذا يريد أن يفعل بنا . « أما أنا فعليك توكلت يارب . قلت الهى أنت ، فى يديك آجالى » (مز ١٤:٣١) « حولت نوحى إلى رقص لي ، حللت مسحى ومنطقتنى فرحاً ، لكنى تترنم لك روحى ولا تسكت ، يارب الهى إلى الأبد أحمدك » (مز ١١:٢٠ و ١٢:٢٠) .

الفصل الرابع والعشرون

شقاء النفس الخالية من الله واستدعاء الله لاذارتنا

النفس التي تخلو من نعمة الله يهجرها ربها ، ويتركها ويسلمها الى اهواها لتفعل مالا يرضاه ، لأن الذين يتربكون الله يتركهم ، والذين لم يقبلوه يرفضهم ولا يقبلهم ، بل يسلمهم الى اهواه الهوان (رو ١ : ٢٦) « واد لم يستحسنوا أن ييقنوا الله في معرفتهم أسلّمهم الله إلى ذهن مرفوض ليقنعوا ما لا يليق » (رو ١ : ٢٨) فما أشقاك وأتعسك أيتها النفس الخالية من الله ، لا يكون فيك فرح الروح ، ولا تملkin سلاماً إلى الأبد ، بل تصيرين كاورشليم حين تركها ربها ، وأكثر في بنت يهودا النرج والحزن ، ونزع كما من جنة مظلته . أهل مجتمعه ، أنسى رب في صهيون الموسم والسبت ، وزرزل بسخط غضبه الملك والكافن ، كره السيد « ذبحه » ، رذل مقدسه ، حصر في يد العدو أسوار قصورها ، أطلقوا الصوت في بيت رب كما في يوم المرسم » (مر ٢ : ٥ - ٧) .

النفس التي لا يسكنها الله تسكنها الآبالسة وتتملكها الأهواء الدنيئة والشهوات الجنسية والرغبات الشريرة . تنطبع فيها صور الرجاسات على شكل دبابات وحيوان نجس مرسومة في داخلها (حز ٨ : ٩٠) « اذا خرج الروح النجس من الإنسان يجذب في أماكن ليس فيها ماء يطلب راحته ولا يجد ، ثم يقول أرجع إلى بيتي الذي خرجت منه ، فيأتي ويجده فارغاً مكتوساً مزييناً ، ثم يذهب ويأخذ معه سبعة أرواح آخر أشر منه ، فتدخل وتسكن هناك ، فتصير أواخر ذلك الإنسان أشر من أوائله » (مت ١٢ : ٤٣ - ٤٦) .

إن البيت الذي لا يسكنه صاحبه يمتلىء قذارة ودنساً ويؤول إلى الخراب ، والأرض التي لا يعني بها الفلاح تعلوها الأشوак ومالها البوار ، والسفينة التي لا ربان لها تتلاطم بالأمواج ، وتحطمها الزوابع ، فاللويل النفس التي لا يتعهدنا الله ولا يسكنها ، فإنها تصير مأوى للشيطان ، « لأنه أية خلطة للبر والاثم وأية شركة للنور مع الظلمة ، وأى اتفاق للمسيح مع بليعال ، وأى نصيب للمؤمن مع غير المؤمن ، وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان » (١٥ و ١٦ : ٦) . اللويل والشقاء والتعاسة لتلك النفس التي لا يقودها المسيح ربها ، فإنها في بحر الخطيئة الأجاج تلاطمها أمواج الشهوات ، وتنسلط عليها الأرواح الخبيثة ونهايتها الهاك . ويل للنفس التي

لا يتعهدها المسيح باعتناء لكي يجني منها ثمار الروح الصالحة . الويل للنفس التي نيس المسيح ربها ساكننا فيها ، فانها تكون حينئذ مقرأً موحشاً ، مملوءاً دنساً ومائى للفساد ، ومبعدة للاثم .

ادع يسوع المسيح اليك ليأتيك مثل كرام صالح يفلح نفسك ، ادعه ليبتزع منك حسك الخطيئة ، ويحرق بنار روحه القدس شوك الاثم ، ويقتلع بآداة حادة ما فيك من الزوان ، اتركه كي ينقى برفشه المقدس القبن ، ويدخل الحنطة الى أهرائه المجددة ومخزنه السعيد ، دعه يغرس في بستان نفسك أجمل الأزهار الشهية واسمى الفضائل الروحية ، فتشمر لك الآثار الصالحة .

الابتعاد عن الرب يملاًنا ظلاماً ويبعدنا عن النعمة ، الخطيئة ظلام يدحجب عنا رؤية الله ، وتحول بيننا وبين الملائكة المقربين . فهي كالظلام الذي ضربت به مصر ، فلم يقدر الانسان أن يرى صاحبها « لا تشتراكوا في أعمال الظلمة غير المشرة بل بالحرى ويخوها ، لكن الكل اذا توبح يظهر بالنور ، لأن كل ما اظهر فهو نور لذلك يقول استيقظ أيها النائم وقم من الاموات فيضيء لك المسيح » اف ٥ : ١١ - ١٤ ان فيينا عيوناً وآذاناً داخلية، غير المواس الظاهرة ، فمتى استترنا بنور الله رأينا بحواسنا الداخلية النور الالهى والعربي المشتهي يسوع المسيح ، وسمعنا كلامه العذب في غير دوى ولا صوت ولا حركة ولا ضجيج ، فبسكون الروح والركون الى الله تتلذذ به في الداخل ، ويعزيك صرفة الحلول تمزيقات شافية لا تخطر لك على بال .

الفصل الخامس والعشرون

تجديد القلب وانطباع صورة الله فيه

قال يسوع الرسول « لا تشكوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي ارادة الله الصالحة المرضية الكاملة » (رو 12: 2) ، مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوه وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين « (اف ١ : ١٨) » وأن تخلعوا من جهة التصرف السابق للإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور ، وتتجددوا بروح ذهنكم ، وتلبسو الانسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق » (اف ٤ : ٢٢ - ٢٤) « اذ خلعتم الانسان العتيق مع اصمائه ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه » (كو ٣ : ٢) « لتسلكوا دينا يحق للرب في كل رضي ، مثمرین في كل عمل صالح . ونامين في حرمة الله » (كو ١ : ١٠) .

اننا بطبيعتنا التي فطرنا عليها وورثناها من آبينا آدم لا نجد في أنفسنا سوى الفساد الميق ، والطبيعة النزاعة إلى الشر ، ولا تزال جريمة الأثم عالقة بقلوبنا، ولا نستطيع أن نستشعر النعمة. ونتحد بالله إلا إذا جانبنا تصرفاتنا في الإنسان العتيق ورفضناها . واستنارت بصائرنا في الداخل ، وتحولنا تماما عن شكلنا الحاضر . فالتمس من الله أن يغيرك ويصلح قلبك وأفكارك وموبيوك وأحوالك وهو قادر أن يغير كل ما فيك . ومتى تغيرت وتتجددت وولدت من الله ولادة جديدة حينئذ تصير إنسانا جديدا ، له عقل جديد ونفس جديدة ، وارادة جديدة ، له عيون جديدة . وآذان جديدة ، وحواس جديدة . لأننا متننا عن العالم وحياتنا مستترة مع المسيح في الله كو ٣ : ٣ الدرهم ما لم يكن منقوشا عليه صورة الملك فهو زائف . كذلك النفس ما لم تطبع عليها صورة الله ، لا يمكن أن تقبل في الحظيرة الالهية . وإن تستطيع أن تتکيء في الوليمة السماوية . الطير متى أرتفع إلى العلو لا يخاف الصياد ولا يهاب شباكه ، لأنه أصبح في مأمن منه . كذلك النفس المرتفعة بأجنحة النعمة فإنها تستريح في الله ولا تخشى فخاخ الشر نظرا لارتفاعها واتحادها مع الله . فنتحد به اذن وارتفاع فوق ذاتك ، وأدم نظرك في يسوع ، وأترك الأهواء والشهوات ، ولتكن كل حياتك ثباتا واتحادا في المسيح .

إذا أطلت النظر الى صورة ما ، فانها تنطبع في مخيلتك وترتسم في ذهنك، كذلك ترسم صورة الشفيف وتشقش في نفسك اذا وجهت نظرك الى يسوع ويسوع وحده . احمل يسوع في قلبك فتسرير في امان واطمئنان ، وتنال حرية الروح، وتحصل على تمام الثقة . النعام عندما يبيض اذا لم يتطلع ويديم نظره الى بيضه فإنه يفسد ، كذلك انت ان لم تنظر الى يسوع لا تخل خيراً ولا تجدرك عبادتك نفعا . النار عندما تمس الحديد تلين صلابته ، كذلك انت عندما تمسك رحمة الرب يسوع تصيرك لينا قابلاً للنعمنة فارغش كل شهواتك السابقة وأخلع الانسان العتيق وكل شهوات العالم لتولد ولادة جديدة . وتحيا حياة جديدة للبر .

الفصل السادس والعشرون

بر يسوع يجب أن تلبسه

قال الرسول : « البسوا البر يسوع » (رو ١٣ : ١٤) « وإن كان لا يسمن لا يوجد عراة » (كو ٥ : ٣) وقال الرب : « ها أنا آتي كل من، طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لأنها يمشي عربانًا فيروا عورته » (رو ٦ : ١٥) ، لنفرح ونتهلل ونعطيه المجد لأن عرس الخروف قد جاء ، وأماراته هيأت نفسها ، واعطيت أن تلبس بزاز تقىاً بهيا ، لأن البز هو تبررات القديسين « (رو ١٩ : ٨ و ٧) .

لاتظن أنك في غنى ، بل أنت محتاج إلى ما تلبسه دائمًا كي لا تظهر عورتك ، فما هو اللباس ياترى ؟ انه بر يسوع ، تلبسه وتظهر به في القضاء فلا يظهر عليك شيء من الدينونة . يعقوب لما أراد أن يأخذ البركة من أبيه لبس ملابس أخيه عيسو ، فلم يعرفه أبوه وأعطاه بركة البكورية ، وأنت في ذاتك لا تستحق من الله شيئاً ولكن ملى كانت لابساً لباس البر يسوع المسيح فيعرف الآب السماوي أنك من أولاده الوارثين مع ابنه المفديين بدمه . ان يسوع ينصحك قائلاً لك : إنك تقول أني أنا غنى وقد استغنيت ، ولا حاجة لي إلى شيء ، ولست تعلم إنك الشقى البائس وفقر واعمى وعريان ، اشير عليك أن تشتري مني ذهباً مصفى بالنار لكي تستغنی ، وثياباً بيضاً لكي تلبس ، فلا يظهر خزي عريك . وكحل عينيك بكحل لكي تبصر » (رو ٣ : ١٧ و ١٨) البر هو يسوع ، فأنتم عريان ان لم تلبس بالحق والقوة ، ولابد از تكشف عورتك فيحمل بك الخزي والفضيحة والعار ، آدم لما تعرى من النعمة رأى نفسه عرباناً وخجل من نفسه (تك ٣ : ٨) لات شعرى ماذا يحدث لتلك النفوس العارية عن لباس البر الروحاني ؟ انه ليتحقق بها الخزي وتكون في مذلة لا توصف ، ولا يستطيع ورق التين ان يسترها كما فعل آدم ، فالذي هناك غطاء او كساء تستتر به سوى اللباس الأبيض من المسيح ، ففيه الجد الفائق وهو بر القديسين الذي هو يسوع « البر برنا » .

لا تكون كالغريسين الذين يتكلمون على برهن الذاتي لأنهم ان لم يزدوا على الكتبة والغريسين لن تدخلوا ملوك السماء (مت ٥ : ٢٠) بل لنظر إلى بر الله أعن يسوع المسيح الذي حمار أنا حكمة وبرأ وفداء (اكو ١ : ٣٠) لأنبني إسرائيل اذ كانوا يجهلون بر الله وبطلبهم أن يذروا بر أنفسهم ، لم يخضعوا للبر الله لأن غاية الناموس هي المسيح

البر لكل من يؤمن (رو ١٠ : ٣ و ٤) فابتهدل وتوصل الى رب ان يلمسك لراس الخلاص يسوع المسيح الذى يحيى اجمنادنا بروحه الساكن فينا (رو ٨ : ١١) المرأة النازفة الدم لما رأت مرضها أعيما الأطباء ذهبت الى يسوع ولمست هدب ثوبه فشفت من دائها ، كذلك أنت لن تبرأ من مرضك وتستقر عورتك أن لم تأت وتقرب من يسوع . دعه يلمسك حتى تشفى من مرضك ويلتئم جرحك وتلبس ثوب الشفاء والعاافية . لم يقدر الآباء ولا الأنبياء ولا الناموس ولا موسى ، ولا الكهنة ولا كل فروض التطهير ، ولا الذبائح ولا المحرقات على شفاء الإنسان وتطهيره من الخطية ، ولكن يسوع وحده قد شفانا من دائتها وانقذنا من أوصابها . لأنه هو الطبيب الروحى الذى شفى النفوس بدمه المسفرك ، اذ هو حمل الله الرافع خطايا العالم ، الذى حرر النفس من عبوديتها وأطلقها حرة من سجنها وأخرجها من الظلم الدامس الى التور الحقيقى . ستنظر بعيداً عن البر ان ظننت أن البر فيك وليس فى يسوع . وستستمر مريضاً عرياناً ان طلبت دواء من العالم أو من نفسك ولم تطلب من دعطيه وهو الله وحده .

الفصل السابع والعشرون

حضور الله في قلوب قدسيه

قال رب « ها أنا معكم كل الأيام والى انقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ٢٠) « لا اترككم يتامى . أنا آتى اليكم ، الذي عنده وصاياً ويحفظها فهو الذي يحبني ، والذي يحبني يحبه أبى وأنا أحبه وأظهر له ذاتي ، إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبى ، واليه نأتى وعنده نصنم منزلًا » (يو ١٤ : ١٨ و ٢١ و ٢٢) « هانذا واقف على الباب وأقرع . إن سمع أحد صوتي رفتح الباب أدخل إليه واتعشى معه وهو معى » (رو ٣ : ٢٠) .

وجه أشواق قلبك ورغبات نفسك نحو الله فيميل إليك ويتمثل في فؤادك ويكون معك ، أحبه وأحفظ وصاياه فيحبك ويمكث معك حسب وعده . إن حضور رب في قلوب قدسيه هو عزيزون سعادة القدسين وبداءة أفرادهم ، فيحضر في قلوبهم في هذه الحياة ليذوقوا سلوانه وعذوبته إلى أن يحوزوا المشاهدة وكمال المعاينة في السماء حين يرونه وجهه (إكو ١٢: ١٣) .

الله موجود في كل مكان ، في البر والبحر ، في السماء والأرض ، ولا يخلو منه مكان ، وهو من كل شيء قريب لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد (اع ١٧ : ٢٨) فهو أمامك حاضر معك وناظر إلى أعمالك ويراقبك تأمل أثره في خليقته ، ومتنى عرفت أن الله حاضر عندك وأمامك كل حين ، فإنك تؤدي كل أعمالك بنشاط وترتيب ونظام ، ومن ذا الذي يقدر أن يتوانى ويكسد لدى حضرة سيده ولا يقوم بافعاله جاداً أمام مولاه ؟

أى خجل يشملنى وأى خزى يتحقق بي يا اللهى عندما أتيقن أنك ناظر إلى ومطلع على كل ما في داخلى . أجعلنى نشيطاً مجتهداً وعفيفاً مستقيماً لأنى في حضرتك وجميع ما في مكشوف أمامك « جعلت الله أمامي في كل حين ، لأنه عن يميني فلا اتززع لذلك فرح قلبي وأبتهجت روحى ، جسدى أيضاً يسكن مطمئناً » (مز ١٦ : ٩ و ٨) .

من يحفظك أو يضيّبك أن كنت لا تؤمن أن الله حاضر عندك ومعك « اقد ضل الأئمة وطغوا لأن الله ليس أمامهم ، الأشرار يرجعون إلى الباطنية ، كل الناسين الله » (مز ٩ : ١٧) قال الله « أنا أنت القدير سر أمامي

وكن كاملا فاجعل عهدي بيني وبينك » (تك ١٧ : ٧) ها انا يارب بين
بنيك وفي حضرتك . الى من نذهب كلام الحياة الأبدية عندك (يو ٦٨:٦) .
الله لا ينساك أبدا ، فلماذا تعمل على أن تنفساه ، أنه لا يكفي عن
طلبه ، فلماذا تهرب منه ولا تأتني اليه ؟ ان معاشرته لذاته وحضوره مستطاب
مفرح وبمبهج فلماذا لا تسر ولا ترضي معاشرته، في كل لحظة أنت متمنع بخيراته ،
وفي كل لحظة تهطل عليك نعمه وتفيض برحماته . فكيف تدع خيالك يخلو منه ،
ليكن في عقلك وفي فكرك وفي شعورك ، ليكن أمامك في خروجك وفي دخولك .
ليكن على يمينك وعلى يسارك وفي كل وجهة من جهاتك ، ليكن في عينيك
عندما تنظر ، وفي فمك حين تتكلم وفي كل حواسك حين تحس . لي يكن في قلبك
قلب كل من تكلمه وفي لسان كل من يكلمه ، وفي عين كل من ينظر اليك .
ليكن معك في شغلك ليقويك ، وفي نومك ليحرسك .

أبرز من قلبك زفرات الشوق الحارة ، وأدين التنهادات العميقه المتواصلة
الاصداره من فعل المحبة وحركات العواطف الاليته ، ف تكون لك بمنزلة أجنة
تطاير بها الى الله ، وتزداد اليه قرابة واتصالا ، فيحيا قلبك به ، وتشعر
بحضوره واتحاده معك في الباطن اتحادا خفيا يفوق تصوير العقول والألباب .

الفصل الثامن والعشرون

نسائج لطلب الحكمة

اطلب الحكمة وأحبها ، ابتغ رضاها والتمس مشورتها وارادتها . أفرج
بأن تتخذها عروسنا لنفسك فتهبك سروراً ، وتملاك سلواناً ، وتنحك عزاءها
الروحي . في القرب منها تجد مجدًا لا يض محل ، وسروراً لا يفني ، وعدوبة
لا توصف ، لا تجد أحسن منها ، ولا أذ من حديثها ، فيها الفضائل
والخيرات ، فاتخذها قرينة لحياتك فتزيل عنك الهم والكره ، ملكها على
فؤاك فتشبعه سروراً ولذة ، لتكن مشيرة لك لتهديك طريقاً
بسقماً وسبيلاً أميناً ، يجعلها رفيقة لك فتعزيك وتندفع اكتئاك ، فلا يستولى
علوك الغم ، بل تكون هي ينبوع أفراح لنفسك ، لأن في مصالحتها ومعاشرتها
لذة وسعادة ، وليس في مصاحبتها مرارة بل فيها سرور وفرح . سر معها
رُدّها فتصونك ، لأن في قربك منها حياة سرمدية وسعادة لا تنتهي ، وفي
مؤانستها فطنة وفخراً ، وفي صوتها غذوبة ورقية ولطفة ، أتبعها وأسلك
طريقها ، ارسم رشارتها فتحفظها، رافقها في شبابك لتدوم معك في مشيك .

« طوبى للإنسان الذى يجد الحكمة وللرجل الذى ينال الفم لأن تجارتها
خير من تجارة الفضة وريحاها خير من الذهب الخالص ، هي أثمن من
اللآلئ وكل جواهرك لا تساويها ، في يمينها طول أيام وفي يسارها الغنى
وال Mage طرقها طرق نعم وكل مسالكها سلام ، هي شجرة حياة لمسكيها
والتمسك بها مغبوط » ام ٣ : ١٢ - ١٨ . « يا بني أن قبلت كلامي وخفأت
وصوابي عندك ، حتى تميل أذنك إلى الحكمة وتطعف قلبك إلى الفهم . إن
دعوت المعرفة ورفعت صوتك إلى الفهم ، إن طلبتها كالفضة وبحثت عنها
كالكنوز فحينئذ تفهم مخافة الرب وتجد معرفة الله لأن الرب يعطي حكمة .
من فمه المعرفة والفهم » ام ٢ : ٦ - ١ . « إذا دخلت الحكمة قلبك ولدت
المعرفة لنفسك . فالعقل يحفظك والفهم ينصرك . لأنقاذك من طريق الشرير
ومن الإنسان المتكلم بالأكاذيب ، التاركين سبل الاستقامة للسلوك في مسالك
الظلمة » ام ١٣ : ١٠ « خذوا تأديبى لا الفضة . والمعرفة أكثر من الذهب
المختار ، لأن الحكمة خير من اللآلئ وكل الجواهر لا تساويها . أنا الحكمة
اسكن الذكاء وأجد معرفة التدابير ، مخافة الرب بغض الشر ، الكبراء
والتمطم وطريق الشر وفم الأكاذيب أغضت ، لى المشورة والرأى أنا الفهم
لي القدرة بي تملك الملوك وتقضى العظماء عدلاً ، بي تترأس الرؤساء

والشرفاء ، كل قضاة الأرض ، أنا أحب الذين يحبونني والذين يكررون إلى
مجدوني ، عندي الغنى والكرامة ، قنطرة فاخرة وحظ ، ثمري خير من
الذهب ومن البريز ، وغلقى خير من الفضة المختارة ، في طريق العدل
أتمشى في وسط سبل الحق ، فأورث محبى رزقا وأملا خزانتهم ٠٠٠ طوبى
للإنسان الذي يسمع لي ساهرا كل يوم عند مصاريع حافظا قوائم أبوابى،
لأنه من يجدنى يجد الحياة وينال رضى من عند رب « (أم ٨ : ١٠ - ٢١ و
٣٥) ٠

قال رب : « لا يفتخرون الحكيم بحكمته ، ولا يفتخرون الجبار بجبرؤوتة ،
ولا يفتخرون الغنى بمناه ، بل بهذا لا يفتخرون المفتخر بأنه يفهم ويعرفنى أنى أنا رب
الصانع رحمة وقضاء وعدلا في الأرض ، لأنى بهذا أسر يقول رب «
أر ٩ : ٢٣ و ٢٤ » هوزا مخافة الرب هي الحكمة ، وال HIDAN عن الشر هو
الفهم » أى ٢٨ : ٢٨ ٠

الفصل التاسع والعشرون

مخافة الرب

الجيش كله يخرج الى الحرب ، وليس كل رجاله شجاعانا . كذلك نرى الكثرين يؤمدون بالله ، ولكن ليسوا جميعا يتقونه ويعرّفون عبادته حق المعرفة ، وفي وقت التجربة يظهر اختياراتهم ويصيّر امتحانهم وثبات إيمانهم . اتق الرب واحفظ مصاياه فتجد نعمة وقطنة عند الله والناس . مخافة الرب ينبوع حكمة للحيدان عن الشر ، مخافة الرب تثبت العقل وتحسن النفس . خشية الرب تجعل كل تصرف الانسان حسنا ، وتدير كل احواله بحكمة . مخافة الرب رأس الحكمة ، وهي تبيّد كل شر وتسأصل كل الالم وتبيّد كل شهوة رديئة وتتملا النفس فرحا . وتهدى الى طرق السلام . مخافة الرب نور يرشد الى الخلاص . خشية الرب مدينة حصنية وملجاً أمينا . اخش الرب فلا تتعرقل خطواتك . حتى لو سلكت في النار لا تلسعك او في اللهب لا يحرقك . « في مخافة الرب ثقة شديدة ويكون لبنيه ملجاً . مخافة الرب ينبوع حياة للحيدان عن اشرك الموت » (ام ١٤ : ٢٦ و ٢٧) ، طوبى الرجل المتقى الرب المسورو جدا بوصاياه ، نسله يكون قويا في الأرض . جبل المستقيمين يبارك . رغد وغنى في بيته ، وبره قائم الى الأبد ، نور اشراق في الظلمة للمستقيمين . . . سعيد هو الرجل الذي يترأف ويقرض ، يبهر اموره بالحق . لأنّه لا يتزعزع الى الدهر . الصديق يكون أبداً ، لا يخشى من خبر سوء ، قلبه ثابت متکلا على الرب . قلبه ممکن فلا يخاف حتى يرى بمضائقية . . . قرنه ينتخب بالمجده » (مز ١١٢ : ١ - ٩) .

ايها الحبيب اثبت على البر والتقوى ومخافة الرب وأبعد قلبك عن الشر . لأن السلام لا يوجد الا في مخافة الله . اتق الرب وهو ينجيك . احفظ طرقه وأثبت في سنته وهو يخرج لنصرتك انتظر رحمته . آمن به فلا تخزى . أرجه وحده وهو يسيّج طريقك . ان الرب ينقذ اتقياءه في يوم التجربة . وينصرهم ويخلصهم في ساعة الشدة . وينجي نفوسهم من الضيق سلم للرب طريقك وهيء للرب نفسك لعمل مسرته . ومهما يصيّرك أصبر له . وارتضن مرضاته وسر برضاوانه لأن رحمته على خائفه « ملاك الرب حال حول خائفه وينجيهم . ذوقوا وانظروا ما اطيب الرب . طوبى للرجل المتوكل عليه . اتقوا الرب يا قدسيه لأنّه ليس عوز متقيه . الاشباع

«تحتاحت وجاعت وأما طالبو الرب فلا يعوزهم شيء من الخير » (من ٢٤ : ٧ - ١٠)

قال سليمان الحكيم « فلنسمع ختام الأمر كله . اتق الله واحفظه وصاياه لأن هذا هو الإنسان كله » (جا ١٢ : ١٣) « هلم أيها البيهون استمعوا إلى فأعلمكم مخافة ربكم . من هو الإنسان الذي يهوى الحياة ويحب كثرة الأيام ليبرى خيرا . صن لسانك عن الشر وشفتيك عن التكلم بالغش . حد عن الشر واصنع الخير . اطلب السلامة واسع وراءها . عينا رب نحو الصديقين وأذناه إلى صراخهم ... أولئك صرخوا والرب سمع ومن كل شدائدهم أنقذهم . قريب هو رب من المكسرى القلوب ويخلس المنسحقي الروح » (من ٣٤ : ١١ - ١٨) .

الفصل الثلاثون

ابتغاء الفضيلة والرغبة فيها

قبل أن تسير في طريق الفضيلة ينبغي أن تمتليء شوقاً إليها ونشتهري سلوك فيها . اتبع كل ما من شأنه أن يرقى في الكمال المسيحي ومارس على الدوام رياضات الفضيلة ، اجتهد في النمو في النعمة حسب النعمة لمعطاء لك من الله . لا يكفيك أن تبتغي الفضيلة ابتغاها وتلتمسها التماساً ، بل يجب أن تجوع وتعطش وتتجه إليها برغبة صادقة .

ان النفس التائفة إلى الله ، المشتاقة إلى النمو في النعمة هي المسائرة في طريق الكمال ، وهذا الشوق دليل على أن الله ساكن فيها يضرم فيها هذه الجذوة فإذا شعرت في داخلك بحركة تدفعك نحو الفضيلة صادرة وتحببك لاكتساب النعمة فلا تطفئها بتراخيك . بل اضرمها لأنها صادرة من الروح القدس فيظل هذا الشعور الذي فيك نامياً ويثمر لك ثمار البر والنعمة ويكون كأنبلاج الصبح مشرقاً من نور إلى نور حتى يشرق ضوء النهار في قلبك . وأما أن أهميته فيكون كنور المساء لا يبرح متناهياً شيئاً فشيئاً حتى يسير ظلام وقتان .

ما أحلى الفضيلة لمبتغيها وما أذها للمتأمل فيها . فمتى ذقت لذة النعمة لا تستطيب بعدها لذة ولا تنسى حلواتها مدى حياتك . حارب اللذات التي تستميلك إلى الخطأ ، واعلم أنها وقتية لا تخلف لك إلا أثماً وحزناً دائمين . أحب الفضيلة والخير فانهما يقيسان على النفس فرحاً دائماً وسروراً باقياً . اجعل نصب عينيك ثواب الفضيلة المدورة وعقاب الرذيلة المقوته . تمثل في عقلك عدل الله تعالى واحفظ قلبك طاهراً وكن مرآة نقية للكمال . لا يكفي أن تكون نفسك خالية من كل خطأ . بل زينها بأنواع الفضائل لتكون كصورة جود الله وكماله ول يكن الله أمام عينيك كل وقت وحين .

الفصل الحادى والثلاثون

القدم والنمو فى الفضيلة والثبات عليها

احرص أىها الحبيب على جذوة النعمة فى قلبك ، واضرم لهيب محبة الفضيلة بحرارة الروح . ولتشتعل ولتتأجج هذه النار المقدسة فى كل عروافتك . تقدم ولا تجزع سر ولا تفتر ولا تهن قوتك ، ضع يدك على المحراث ولا تلتفت الى الوراء (لو ٦٢ : ٩) تقدم الى الأمام ولا تنظر وراءك لأنك ان التفت الى الوراء تننس ما هو قدامك فتنزق قدمك . ان عدم تقدمك دليل على تأخرك . ما لم تمش فائت واقف ، احذر الوقوف وعدم التقدم واذا كنت فى ذاتك متحليا بفضائل كثيرة كان لا تكذب ولا تسرق ولا تقتل ولا تشتهي وأمثال ذلك ، وأنت غير متقدم فى النمو فى النعمة فلا تنخدع وتطمئن على ذاتك لئلا يفقدك هذا الأهمال ما حصلته ويمتعك عن الندو . اجتهد وسر فى طريق الفضيلة ولا تقف فى مكانك وقل مع الرسول « لس انى قد نلت او صرت كاملا ولكنى أسعى لعلى ادرك الذى لأجله ادركتنى أيضا المسيح يسوع ، أىها الاخوة أنا لست أحسب نفسي أنى قد ادركت ولكنى أفعل شيئا واحدا اذ أنا أنسى ما هو وراء وامتد الى ما هو قدام نحو الغرض لأجل جمالة دعوة الله علينا فى المسيح يسوع » (في ١٤ - ٣) .

سر على هذا المبدأ واعلم أن من لا يتقدم فى كل ساعة يتاخر فى كل دقيقة ، ومن لا ينمو يضعف ، ومن لا يسير الى الأمام يرجع الى الوراء . احذر من الشر لئلا تكون سقيما ضعيفا غير قابل للنمو . احترس لئلا تكون الشجرة نخزة لا تخرج أغصانا باسقة وأزهارا ناضرة ، حيث لا حركة ولا نمو فهناك سكون وموت ، وحيث لا تقدم فهناك تأخر . وحيث لا ارتفاع ولا صعود . فهناك هبوط وسقوط . من لا يربح يخسر ومن لا يزداد حكمة يزداد جهالة ، اذا لم تتحرك اعضاؤنا ضعفت وعجزت .

كن كشجرة مغروسة عند مجاري المياه تنمو وتثمر وتزهر وتمتد فروعها الى السماء ، ولا تكون خشبة يابسة ملقاء على الأرض تجف وتيسى لاتصال الارقا للثيران . احيا الله ويا الله وفى الله لتنمو فى كل فضيلة ونعممة . دع التراخي والاهمال والكسل وسر وتقدم فى طريق الكمال فيزداد رسوخك وثباتك فى الحق . ان كانت محبتك للفضيلة كشارة صغيرة نصل واجتهد كى تكون لهيبا مضطربا ونارا متأججة . تقدم الى ينابيع النعمة وارتوى من الحياة الروحية فيها . غذ نفسك بغذاء الكلمة المقدسة . لترتفع نفسك

إلى العلاء بالصلة . ليزداد نموك في الكمال والفضيلة . التصدق بالرب
يأخذ به ولتمتد أغصانك وتنصل جذورك في أصل كرمة الحق يسوع
المسيح ، ليديم ثباتك . إنم ولو قليلاً . فإن القليل يكون كثيراً على قوله
الأيام والسنين .

الحكيم الذي يبتغي الكمال ، ويريد النمو في النعمة ، يتجه دائماً إلى
فوق ، ويتطبع إلى السمو في الفضيلة والنعمة ويشيد في قلبه مساعد يرتفع
بها إلى الكمال ويرتقي بسببيها إلى الله ، أما المترافق في حالة انحدار
وانخفاض وطريق للنزول إلى الهاوية ، ليكن تصب عينيك التقدم إلى الإمام .
لا تنثر إلى عجل ، بل إلى ما ينتمسك ، لا تلتفت إلى ما انت فيه بل إلى
ما .. نصير إليه . إن النافت إلى ما عملت داخلك الصاف والافتخار ، وأنهم
ما بنيت وكانت مثل الفريسي الذي نظر إلى فضائله ونسى خططياه فلم يحصل
على التبرير . كن كمسافر نشيط لا تنتبه إلى كم مرحلة قطعت في طريقك .
بل فكر في المسافة التي بقى عليك أن تقطعها في مسيرك . لا تهمك المسافة
التي سرتها بل ما بقى لوصولك إلى النقطة المرغوبة . وإذا ذات مطامع أهل
الدنيا لا تقف عند أحشاء الربح وحشد الأموال الباطلة ، فهل يليق بك أن
تقف ظاناً أنك أدخلت لحياتك الروحية مؤونة كافية . اغتنم الفرصة وتحدينها
ولا تضيع وقتاً يمكنك فيه أن تحصل على نعمة أو تزداد نمواً في الفضيلة ،
لأنك ستتحاسب على كل فرصة ضيعتها فلا تدع الأيام تمضي وأنت متخاذل
متوان ، بل صارع الأيام كما تصارعك وكافحها حسبياً تكافحك وجاهد لتفوز
بأكليل الغلبة والنصرة . لا تكتف بأن تطير شوقاً إلى الفضيلة وترفرف حول
أنهار النعمة بل ينبغي أن تنزل إليها وتغوص فيها . لا يليق بك أن تأتي
إلى الأسوار ولا تدخل إلى المدينة . عار عليك أن تبحث عن الطريق ثم
لا تسير فيها وتصل إلى الغاية التي تتبعيها . لا تدفن الوزنة وتضعها في
الحفرة بل تاجر واربع لأن صاحبها يريد الربح لا الخسارة (معت ٢٥-١٤: ٣٠)

أثبتت في الفضيلة وداوم عليها . كثيرون يبتذلون في الفضيلة ولكن
ليس الجميع يثبتون وينتهون إلى العاقبة الحسنة . لما خرج بنو إسرائيل
من أرض مصر كانوا أكثر من ستمائة ألف نفس ، ولكن لم يدخل أرض
الموعد سوى اثنان فقط (عد ١٤ : ٣٠) .

إذا بنيت بيتك فليست الصعوبة في وضع الأساس بل في إقامة البناء
وأنتم العمل ، إذ ليس العبرة في الابتداء ، بل الجزء دائمًا على النهاية
، من يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص » بولس الرسول ابتدأ رديئاً ، ولكن
نهايته كانت حسنة ، ويهودا ابتدأ حسناً ، ولكن نهايته كانت شريرة ،
والسلم الذي رأه يعقوب لم يكن الله جالساً في أوله ولا في وسطه ، بل
في آخر ، وأنت لا تسأل ولا تدان عن البداءة ، بل عن الختام والنهاية .

الفصل الثاني والثلاثون

نصائح لتقويم الأعمال في الفضيلة

لادع يوما يمر دون أن تفید أو تستفید فيه شيئاً روحياً أو تروض ذاتك برياضات التقوى ، فلا تهمل الصلاة يوماً ما ولا تترك التأمل في الكتاب المقدس وقراءة كتب التقوى . لا تتأخر عن الحضور إلى الكنيسة وسماع القدس الالهي . قف في الكنيسة بخشوع كذلك في حضرة الرب ، وأحذر من أن تصنع أعمالك جرياً على سنة العادة ، بل أحبي في ذاتك روح الخشوع ، وأجتهد في عملك وأفعل كل ما في وسعي فعله ، وأنعم النظر فيما تفعل لتنقنه ، ومتي عملت عملاً فليكن عندك كآخر ما تعلمته في حياتك ، لأنك لا تدرى ما يخبئ لك الغد فمتي أشرقت الشمس تصور أنها قد تكون الليلة الأخيرة من حياتك ، لأن الزمان ليس تحت سلطانك ، والأمور ليست دائمة في متناولك . كن أميناً في أشغالك كأنك تؤديها لأجل الله ولجدك تعالى ، لا ترتكب ذنباً أو زلة ، ولو كانت طفيفة ، بل كن متقبها حذراً في كل شيء ، احترس من الصغائر واحشها كما تخشى الكبائر تعود أن تمارس كل واجباتك ممارسة حسنة . اجتهد أن تقلع جذور الرذائل من نفسك قبل أن تتأصل فيها ، فالخطايا كلما كبرت استعصى استصالها ، والعادة متى تمكنت صعب التزوع عنها ، فالعشب الصغير سهل افتلاعه ، أما الشجرة الضاربة في الأرض فصعب نزعها . إن لم تقاوم الرذيلة في بدايتها فكيف تطمع في مقاومتها بعد تمكنها ، وإن كنت لا تقدر على محاربة عدوك وهو صغير ضعيف ، فكيف تستطيع مغالبته ومنازنته وهو أسد مفترس .

اضبط حواسك وتصوراتك وعقلك ، وروضها على أعمال الفضيلة . لترتفع نفسك عن الدنيا وآياتي الرذيلة ، تخير الموت عن أن تأتي أمراً دنساً يهين الله ، ولتكن طهارة القلب وسلامة النية سجيتين فيك ورائدين لك في كل أعمالك وتصيرفاتك . عشر الآقياء والورعين ، خالط أهل الفضل والكمال . تأمل في نفسك دائماً واستوعب مزايا كل فضيلة لتحبها حباً شديداً ، ونتعشقها عشقاً مفرطاً وتصبو إليها دائماً . لا تسمح لخيالك أن يمر به فكر دنس ، بل أطرده حالاً بالتأمل المقدس وأجعل يسوع وحياته دائماً نصب عينيك . أخضع وثبات الجسد الشريرة ، والجم آلامه ، أشغل كل أوقاتك بالأعمال النافعة ، ابتعد عن كل ما يثير عواطفك وأعمالك الكامنة ، وبحرك فيك الهياج والاضطرام . ابحث عما يعوقك عن طريق الفضيلة وذللله

بسرعة وافحص نفسك دائمًا ، فتش خميرك كل يوم ، ودرّب ذاتك على تمييز الأفعال وتبين أسبابها ونتائجها ، ليشعر قلبك بالفرح حين تعمل الخير ، اكره الرذيلة وامقتها ، اسع في اقتلاعها من الآخرين وكن ذا غيرة للفضلة ، ليمتلئ قلبك بالرغبة في انتشارها وامتداد فروعها . أخضع ذاتك لحقائق اليمان ، واحترمها من كل قلبك ، افتح قوادك لقبول وصنایعها اللذية . واكرز بها للأخرين كوسائل وحيدة لراحة الإنسان في هذه الحياة والحياة الأخرى العتيدة الأبدية .

الفصل الثالث والثلاثون

النظر الى سيرة القديسين والاقتداء بهم

يفيدك نمواً في النعمة والكمال ، النظر الى سيرة القديسين الذين، ماروا في طريق الفضيلة ، لأنه كما يعرف الفقير حقيقة حاله لدى نظره الى ذروة الغنى ، هكذا النفس متى شاهدت كنز النعمة ، وثروة البر التي، للقديسين ، عرفت احتياجها وفقرها وخففت من تسامحها وخففت من اغواتها .

فيامن تزيد الفضيلة ، سل الذين ساروا فيها قبلك واقتدى بهم واقرأ أحاديثهم ، ادرس أقوالهم ، وراقب سيرهم وانظر الى جهادهم . تأمل الى القديسين كيف كانوا يضيئون كالكوناكب . انظر الى حرارة ايمانهم . وقوه رجائهم ، وجزيل محبتهم ، وتعبهم وكدهم ، وأسهامهم وتأملاتهم على قهر نفوسهم ، ومواظيبتهم على الصلاة ، وتواضعهم ، وزهدهم في خيرات الأرض ، واعرضهم عن لذات العالم ، واحترامهم الغنى والزهو وكل أباطيل العالم . كانوا فقراء وهم بالايمان اغبياء . لهم ميراث مجد لا يقى . كانوا محقرین لدى العالم ، ولكنهم في عين الله مكرمون محبوبون . كانوا معوزين ، كثرين محزوظين . وفي قلوبهم ينابيع أفراح . سيل تعزيات لا تخطر على بال . تفيس على أرواحهم نعماً غزيرة ولذات لا حد لها . ما أحسن تواضعهم . ما أجمل محبتهم وصبرهم وطاعتهم . ما أسعد مزء يرسم خطواتهم ويقتدى بهم .

دع عنك البحث والتنقيب عن معايب الناس . أترك حصر نفائصهم . ووجه فكرك أولاً الى كمالات القديسين . أقرأ سيرهم وأخبارهم وتمثل بهم . كن كالنحلة تجمع عسلها من جميع الأزهار الجميلة . تعلم من أحدهم الصبر ، ومن آخر التواضع ، ومن غيره الحبة والدعة . تطلع الى المثل الحسنة ، ومارسها بهمة سامية ، وقلب شجاع ، وروح غير هيابة . فترى نفسك تصبو الى الفضائل السامية ، وقلب شجاع ، وروح غير ذات سوء . نفسك وتصبو الى الفضائل السامية وتشرق روحك وتبين رياض نفسك . تعلم الابيان من ابرهيم ، والطاعة من اسحق ، والعلفة من يوسف ، والصبر من ايوب ، والتواضع من داود ، والقداسة من اخنون ، والغيرة من ايليا ، والوداعة والحلم من موسى . تعلم سائر الكمالات من رب الكمالات يسوع . كن كمحصور ماهر يعد رسوماً جميلة للفضيلة ثم ينسج على منوالها وينهج منها ، لا تكون كذبابة تحوم حول الأقدار ، وتحلق فوق النجاسة والدناس . اتبع الخير واترك الشر ، لا تقتد بفاعليه ، ولا تتشبه بالذين ينزلون ويسقطون ، بل ليكن مثلك أولئك الذين يرتفعون ويصعدون الى العلاء بجمال سبرتهم .

الفصل الرابع والثلاثون

تفتيش الذات وفحص الضمير وحراسته

كن كالناجر الماهر يراجع حسابه اذا ما انقضى النهار ليعرف ريحه وخسارته . ابحث نفسك ، وفتش ضميرك ، افحص قلبك بكل دقة كي تتمكن من معرفة نفسك وتعلم أفي تقديم أنت أم في تأخر ، فهذه هي الوسيلة الصحيحة التي تحفظ بها سلامتك نفسك وتعزز نقاءها ، وتقيها هجوم الافكار الغريبة . داوم على ذلك كل يوم لثلا تزيد سقطاتك وتكثر عثراتك . اندم كل ليلة على آية زلة تصدر منك ، أو نقص يبدو فيك ، وقل « نضجع في خزينا ويفطبنا خلتنا لأننا إلى رب هنا أخطأنا » (أر ٢ : ٢٥) ان الليل هو الوقت الذي تفرغ فيه من أعمالك ، وتكون نفسك هادئة مرتابة من تعب النهار وأشغاله ، سيما قبل تهيئتك للرقاد . ففي هذا الوقت يمكنك أن تحاسب ذاتك على ما فعلت ، وتراجعها على ما عملت ، وتنذرك كل ما هو عليك من الخير والشر ، وما تكون قد أتمته أو أهملته .

ان فحصت ذاتك كل يوم ، خلصت قلبك من كل بذر غريب ومحنته من الرذائل ، فلا تكون كصاحب حقل كسلان متowan ، يهمل حقله يتنمو فيه الشوك والحسك ، ويتبثت فيه الزوان ليخنق الحنطة « عبرت بحقل الكسلان وبكرم الرجل الناقص الفهم . فإذا هو قد علاه كله القرفص ، وقد غطى العوسج وجهه ، وجدار حجارته انهدم » (أم ٢٤ : ٣٢٠ و ٣٢١) .

أفلح أيها الحبيب حقل قلبك كل يوم ونظفه ، لأن طبيعتنا الفاسدة لا تنتج لنا سوى ميلاً إلى الشر وتزروعاً إلى الفساد ، خذ منجل الروح وسل سيف الحق ، واستحصل كل ما تجده من آثار الشر في داخلك ، ابتهل لتنسكب مياه النعمة على البذور الحسنة التي في نفسك لتزداد نمواً وخصبة وتشمر لك ثمار البر والسلام والفرح بالروح القدس . لا تتغاض عن أن تفحص جميع أعمالك كل يوم لترى ماذا عملت ، وكيف عملت ، وما أهملت ، ولماذا أهملت ، فبدلك تصلح حالك وتتدارك اهمالك . افرح بما تعمل من الخير ، وأنت بعيد عن الكبرياء والمجد الباطل ، احزن وتأسف وأندم وأبك وانتحب على ما فعلت من الشر ، أو أهملت من الواجب ، تب وتمثل أمامك ملاك الرجاء والأمل واعزم عزماً ثابتاً على عدم الرجوع إلى الأهمال . ابحث عن الرذائل الكبرى الممكنة في نفسك وقتلها وعندها تصبح قادراً على ابادة سائر الرذائل . ألم القائد فتستطيع أن تقلب على الجنود ، أقطع رأس

جلبات الجبار وحيثند تعود وتهرم بقية الفلسطينيين وتشتتهم من أمامك ،
فمن يشقغل في البحث عن كنز أو كشف مخبأ لا يمل من الحفر . فما بالك
بمن يطلب كنز الفضيلة الذي لا سبيل الى الوصول اليه بغير الجد والثابرة
وتذليل الصعب وازالة الموانع . قل مع النبي « اتبع اعدائي فادرکهم
ولا أرجع حتى افنيهم ، أسلحهم فلا يستطيعون القيام . يسقطون تحت رجلي »
(مز ۱۸ : ۲۷ و ۲۸) .

حسن نفسك ، ومكن افالها ، وأوصد غرفها ودوام السهر على
حراستها لئلا يهجم عليك العدو ويتمكن منها . لا تستصرخ التافه من الأمور .
لئلا تفتح لابليس بابا يدخل منه . فكما ان العدو المهاجم الذى يحاصر المدينة
يقتش على اضعف الجهات وأوهاما ليتمكن من الدخول منها . كذلك عدونا
الروحى يدور ملتمساً موضع الضعف من ثقوبنا ليهجم علينا منه . فانتبه
وكن شديد الحذر على أسوار نفسك وحصونها ، وتأكد أنك لن تجد حارساً
يحرس نفسك من العدو غير يسوع اذا أسكنته قلبك ، ولن تجد قفلاً لباب
نفسك أحكم من نعمته .

الفصل الخامس والثلاثون

العمل وعدم الكسل والبطالة

تجنب البطالة ، واهرب من الكسل ، لأن عقل الكسان معجل الشيطان ، أتحبد ولكن مجدًا دائمًا ، حتى إذا جاء عدوك يجدك مشغولاً عنه ، فلا يجد له مللا في قلبك . إن البطالة سبب مميت ، وداء فتال ، هي عث للفضيلة ، والوالدة الخرافات والتخيّلات الفاسدة ، وهي جرثومة الشرور والأثام ، تجلب التجارب وتسبّب الأفكار الباطلة ، الكسل يبيّد قوة النفس ويسبّب الضجر والنفور من الأعمال الروحية ، وهو يضعف حرارة العبادة ، وهو يتولد غالباً من خمود الحرارة في الروح ومن كثرة الشغل الجسدي ، ومن نسيان خيرات السماء . فكن محترساً وامنع كل ما من شأنه أن يولد في نفسك الضجر والملل ، لئلا تهن قوتك وينصرف عن العبادة قلبك . رتب أمورك دائمًا بحسب مقتضيات الحكمة ، ولا تدع عزّك يخور ونفسك تفتر ، لا تترك ما بدأته به ، التفت دائمًا إلى يسوع فيوليوك قوة تشدّدك في عملك وتقوى عزيمتك . أقم مجد السماء العتيق تجاه عينيك فتشدّد وتنشجع ، داوِ الكسل بالترتيل والصلوة والتأمل في خيرات السماء وجهاد القديسين ، احذر ترك عملك وأعلم أن عدونا يأتينا أحياناً في صورة الخير ، ويدركنا بأعمال ضرورية نعملها أو أفكار نتدبرها لنترك عملنا .

ان المياه ان سكتت أست وفسدت ، والحديد ان أهمل علاه الصدا ، كذلك من لا يتحرك فهو ميت ، ومن لا يشغل عقله تسكته الاضطرابات واللوساوس ، ويصير كصر خرب تأوى إليه وحوش الفقر وتملؤه البوّوم ، وتسكته أفراح النعام ، وتصبح فيه بنات آوى ، وتعوى في جنباته الذئاب (ابن ١٢ : ٢٤٢١ : ١١) .

ان تكاثرت عليك التجارب الدنسة والهواجس الرديئة ، فلا تنسب ذلك الا لبطالتك وكسلك ، صن باب نفسك ، ولا تدعه مفتوحاً لدخول الأفكار الرديئة فيه ، بل ليكن عقلك دائمًا منشغلًا بالسمويات مفكراً في الروحيات . نعم لابد لك من وقت ترتاح فيه من عملك وتعبك ، ولكن لا تفال في التماس هذه الأرقات حتى يخلو عقلك من كل شيء ، فتحلق في الخيال ، وتهيم في اللذات ، وتبني قصوراً فوق الرمال ، بل اكتب تصوراتك واحصرها في الله تعالى ، وروض ذاتك بالتأمل في الفضيلة واشتغل بكل ما يماثل ذلك .

الفصل السادس والثلاثون

امانة الذات وكبح جماح الشهوات

ان الفضيلة مهما كانت سامية وكماله ، ومهما كان صاحبها مرتفعاً بها الى أسمى درجاتها ، يصعب عليه دوامها دون قهر الجسد وأمانة شهواته ، فاننا نولد ماثلين نحو الخطية ، وأهواؤنا تقاتلنا كل يوم بل في كل دقيقة قتالاً مراً ، وحب الذات لا يزال يتملك ناصيتنا وصورات الجسد لا تفت في عراك وخصام وحرب ونزال . ولا تزال الحرب قائمة لا تكف ولا تهدأ بين النفس والجسد . لعمري أى شيء يعيينا على رد هذه الاهواء ؟ وأية قوة لنا تجاه هذا القتال ؟ ليس لنا سوى كبح جماح الشهوات وقهر آلام الجسد وأمانة اهواء النفس .

ان النفس لا يمكنها البلوغ الى حرية مجد أولاد الله ما لم تقم شهواتها وتقيدها . ولن تدخل المجد بدون جهاد ، او تكال دون حمل الصليب . لقد قيل عن المسيح أنه ينبغي أن يتالم بهذا ويدخل الى مجده (لو ٢٦:٢٤) فكيف تثال ذلك عفواً بلا تعب ولا ألم ؟ انظر الى جراح يسوع فيبون عليك كل شيء . كيف تستطيع ان تتبع يسوع العريس السماوي والله متذذ بالعالم وشهواته بينما هو مجروح مخضب بدمائه ، مكلل بالشوك لأجلك . وما صلب الا لكى تصلب أنت شهوتك ، وما مات الا لكى نمسوت نحن عن الخطية ونجينا له وحده *

محال ان تتبع يسوع وعلى كاهلك انقال الخطية وتنزارك شهوات الجسد فهي تعوقك عن الاقتداء به ، وتقعد بك عن طريق بلوغ الكمال . لا يتاتي لك كل الوصول الى ذلك الا بقمع الحواس واخضاع نزعات الجسد الثائرة ، ولن تذوق اللذة الصحيحة والنعيم الحقيقي الا بإنكار كل لذة ونبعيم دنيوي . ان أوتار القيثارة لا تذوق الحواس ما لم تشد وتتضرب . كذلك حواسنا فانها لا يمكن ان يكبح جماحها ما لم تشد وتقرن وتضرب بسياط التأديب *

أتريد ان تخلص وتتحرر من نير الخطية ؟ اذا قاوم ميلك وأمساك بزمام آلامك واكبح جماح شهوتك واقتله محبة الذات في نفسك وأمت النزعات الجسدية حتى تقفى ولا تعود لها حياة في جسدك . احمل صليب يسمع وانكر ذاتك وارفض كل خصالك ومشتهياتك الرديئة . ان كنت زانيا تصر عقلياً وان كنت شرها تصبح قنوعاً . ان كنت جباناً ضعيفاً تصبح قرياً

شجاعاً فإن انكار الذات هو تحويلها من حال إلى حال . فانكر ذاتك وشهوتك ورغائبك وكل ما تجده في نفسك غير صالح فتصير رجلاً غير ما كنت وتخلق خلقة جديدة وتحيا حياة جديدة في البر والقدسية . فإن هذا هو صلب الأهراء وكبج الآلام الجسدية وهو الكمال بالذات وهو طريق يسوع وهو الصليب الذي يجب أن نحمله على منكبينا . « حاملين في الجسد كل حين اماتة الرب يسوع » (٢ كور ٤ : ١٠) لأن الفضيلة والحياة الروحية المسيحية قائمة في الانتصار على الشهوات وأماتة اللذات والحياة الله « لأن الذين للمسيح قد صلبوا الجسد مع الاهواء والشهوات » (غل ٥ : ٢٤) « عالمين هذا أن إنساناً العتيق قد صلب معه أى مع المسيح) ليحيط جسد الخطية كى لا نعود نستعبد أيضاً للخطية لأن الذي مات قد تبرأ من الخطية . كذلك أنت أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياه الله بالمسيح يسوع ربنا » (رو ٦ : ٦ و ٧ و ١١) « لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله » (كور ٣ : ٣) « قد متم للت-naوس بجسد المسيح لكي تصيروا لآخر الذي قد أقيم من الأموات لنشرم الله » (رو ٧ : ٤) ، مع المسيح صلت فاحيا لا أنا بل المسيح يحيا في ، فما أحياه الآن في الجسد فانما أحياه في الإيمان ، إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلِي » (غل ٢ : ٢٠) .

إذا كنت مائتاً عن العالم فانت حي بالمسيح وفي المسيح وللمسيح وإذا كانت هذه الحياة في المسيح فالعلاقة بينك وبينه شديدة وثابتة ومتıkمة . « إن الميت لا يقوم بأعمال العالم ولا علاقة له به . كذلك المسيحي المائت عن الخطية لا علاقة له بها ولا عمل له من الأعمال في خدمتها . فبالموت تتحرر من سلطنة العالم وعبوديته ولا يعود له علينا حق ولا تصبح له ولادة . كما مستعبدين للخطية ولكن بموتنا عنها ، لم يعد لها علينا سلطان ولا سيادة ، بل تحررنا من ثيرها .

لا تظهر ذاتك الجسدية فقط . بل عليك أن تظهر شيئاً آخر هو أسمى وأجل وأوفر استحقاقاً منها ، الا وهو الرذائل والاهواء والغضب وكل شهوات النفس وعليك الصبر في الضيق والاستيلاء على العين والأذن واللسان وسائر الحواس والحركات والانعطافات البدنية . أعلم أن كل تغلب منك على آلامك وانتصارك على شهوتك يصيرك ملكاً قاهراً متسلطاً على ذاتك . ومن يملك نفسه خير من يفتح مدينة . ولكل في شهامة جنود المسيح وشجاعتهم خير أسوة ، فيها قهروا الرذائل ، وانتصروا على الشهوات ، وجحدوا ذاتهم ، وقمعوا اهواء أجسادهم ، واحتقروا ترف الجسد ، ولذات الحياة الدنيئة ، شيوسف العفيف بانتصاره على تلك التجربة الشديدة قام بعمل يفوق ويفصل

جميع تدابيره في مصر ، وداود الذي ياخذ قوته الغضبية واماته روح
الانتقام من شاول أظهر قوة أشد مما أظهرها بقتله جليات الجبار .

اجتهد أن تعيت كل شهوات الجسد وعش بالروح ، « فان الذين هم
حسب الجسد فيما للجسد يهتمون . ولكن الذين حسب الروح فيما للروح
لأن اهتمام الجسد هو موت ، ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام ، لأن
اهتمام الجسد هو عداوة الله .. لأنك ان عشت حسب الجسد فستموتون .
ولكن ان كنت بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون » (رو 8 : 5 - 7) .

الفصل السابع والثلاثون

قهر الذات يرفع النفس الى الروحيات

ان النفس تسر وتستبشر وتطير فرحاً وتسعد شوقاً الى الروحيات . ولكن الارادة ضعيفة غير نشيطة ، والجسد كثيف يمنع صعود الروح وارتقاءها ، فاذا انت أخضعت ارادتك وروحيت نفسك ، ومررت ذاتك ، وعودتها الانزعان والانقياد ، وصرت حراً من كل هوى جسدي ، ومجرداً من الانسدادات الغريبة ، وبمناي من الاشتباكات الدنيوية ، اذا فعلت ذلك تطبع فيك صورة الله وحكمته العالية ، وتنتمي فيك نعمته السامية ، وتكون ستيقاً لسكنى الله معك ، لأن الله يريد أن يستأنر بالقلب وحده ليملأ بالسلام والاطمئنان والهدوء ، ولن تحصل على ذلك الا بأماماته الالام الشهوانية ، واحمد الامواء الجسدية الثائرة ، التي تبكي بالقلب فتعمق الشعور الروحي ، وتعمى البصيرة ، وتضعف قوة الارادة وتسلب الصواب .

متى كبحت آلامك الثائرة من حدتها ، عاد قلبك آمناً ، وصار عقلك هادئاً مستنيراً ، وارادتك حرة طلقة ، منصرف نحو الخير ، وتعتلى نفسك بهجة ونشاطاً روحياً ، وتشعر بسلام وراحة واطمئنان . ان الاستغافل بالجسدية يحرم النفس خيراً ، ويحبim على العقل بغيره كثيفة ، ويجهن الآشرافات والالهامات الالهية ، ويمنع حضور الله ويفقد الشعور به في القلب ، لأن انسان الحيواني لا يفهم ما لروح الله (اكو ١٢: ٢) وتعلق القلب بالعالم يربط النفس بالدنيويات ، ولا يدعها تسير بخفة وسهولة نحوه الله ، فاقفلج اولاً عن قلبك حب الزمانيات لتتمكن من الوصول الى الابديات ، اترك جانبها الامور الأرضية لتقدر على الصعود الى السماويات ، بع الجسدية لترى الروحيات .

كل شيء يتحرك حسب ثقله ، فالخفيف يرتفع الى اعلا كالنار والهواء ، والثقيل يهبط الى أسفل كالحجارة والماء ، كذلك انت ترتفع او تهبط بحسب ميلك ، وتصعد او تنزل بحسب ميولك وزن عاتك ، فأن كانت رغباتك جائحة الى الأرضيات ، ومائلة الى طلب اللذات وكان ذلك متمكاناً فيك ومستولياً عليك ، كانت حياتك كلها جسدية ، وميلوك ارضية . ولكنك اذا كنت منفصلاً عن محبة العالم ، فمحبة الله حينئذ تكون راجحة فيك ، وتصعد الى فوق وتحسّر حياتك في السماويات .

الله روح كل البساطة ، فما لم تتجرد بالمرة عن الأصول الحسية ،
بلا قدرة على أن تتصرف مع الله وتقاوض معه المقاومة اللذيدة الروحانية ، كل
شيء يميل وينجذب إلى شبهه ، فإذا كانت نفسك شهوانية ، وجائحة إلى
اللذات الأرضية ، اندفعت أميالك إلى العاصي ، وهياكل أن تشبع من خرائب
الفن ، وإذا كانت نفسك روحية مائة إلى الروحات ، فلن تجد راحتكم إلا
في التردد على الله والمقاومة معه . إن لم يكن قلبك صافيا كالماء لا تنطبع
عليه صورة الله ، فظهور نفسك من اللذات الحسية ، وأبعدها عن الأصول الأرضية
العقيبة ، لينكشف لها الله فتفهم أسراره الفامضة ، وتعain وجهه الرب .

٤ طوبي لأنبياء القلب لأنهم يعاينون الله ، (مت ٥ : ٨) .

الفصل الثامن والثلاثون

الجسد هو عدوك الألد

إن جسدك هو عدوك الألد الذي يسعى بك إلى الموت ، ولأجل لذة حقيقة فانية يتمتع بها زماننا يسيراً ، يجتهد في أن يلقيك في بئر الهلاك الأبدى . أنظر كم مرة صارعك ؟ وكم مرة أسقطك ؟ ما أكثر حروبه ! وما أخرف قتاله وأشنعه ! يبعدك كثيراً عن رحمة الله ويقودك إلى مخالفة مراده الكريمة ، أما أبعدك مراراً عن خيرات الله ونعمته فافقدك الحياة الروحية ؟ ألم يصدك عن طريق الخلاص ، ويوصد في وجهك باب النعمة ، ألم يجتهد كل ساعة في أن يوقعك في مخاطر جسيمة تؤدي بك إلى الردى والهلاك ، فهل تحب عدواً مثل هذا وتصغى إلى مشورته الدنسة ، وهو يهوى بك إلى الشرور والمجاصد ، ويفقدك الخير والسعادة ، فان كنت تمقت الشيطان فامقت جسدك أكثر من مقتك لكل عدو ، فجميع أعدائك لا يمكنهم إيصال الأذى إليك الا ب بواسطته ، اذ هو القناة التي تجري اليانا منها الشرور ، وتسرير فيها سعوم الخطية القاتلة ، فلا ترفهه لثلا يتمرد عليك كوحش كاسر ويفترسك ، الجم رغباته وأكبح جميع شهواته . قال بولس الرسول : « أقمع جسدي وأستعبده حتى بعد ما كررت للأخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً » (أكو ٩ : ٢٧) .

حقاً أن هذا الجسد يستحق الاستعباد والتقييد والقمع ، فاستعبده وقيده والجمه لثلا يثور عليك ويستعبدك ، استئسره قبل أن يستأسرك و يجعلك عبداً ذليلاً خاضعاً لمشيئته . ان هذا العدو يستحق الموت والصلب ، فاصلبه وقيده بالأغلال ودق فيه المسامير ، أنته على الصليب حتى لا يحييا بعد ، من ذا الذي لا يخشى رجلاً يواكله ويعيش معه ويحسن اليه ، ومع ذلك يريد قتله جراء ذلك الاحسان ؟ ان من يربى عبده في عز ورفاهية يتمرد عليه أخيراً ، واذك فاني أتصحك : استعبد اهواك ، وأنت جسدك وأمسك عنه كل ما يريد من الشهوات فانه عدو يحتقر الله ويكرم العالم ، يجب ذاته ويسسلم للشيطان . ليضعف رب هذا الجبار العنيد ويبطل قوته ويكسر شوكته .

انك أيها الحبيب ، ان اقمعت جسدك وأستعبده ، وأنكرت على ذاتك شهواتها ، فانك في الحقيقة لم تبغضها ، بل تكون قد أحببتها وأحسنت إليها ، فالطبيب لا يبغض المريض حين يمنع عنه ما يريد ويشتهيه . الا يكون جداً عظيماً وأحساناً كبيراً ان يجعل جسدك وتفسك مستريحين من آلام

الخطية . وتحفظهما من الفساد ، وتعدهما لسعادة أبدية لا تنتهي « فان من اراد أن يخلص نفسه يهلكها ، ومن يهلك نفسه يجدها » (مت ١٦ : ٢٥)

قال الحكيم « قد رأيت عبيداً على الخيل ورؤساء ماشين على الأرض كالعبيد » (جا ١٠ : ٧) ان روحك أيها الحبيب هي التي تقودك ، وما جسدك الا كبها يقودها عقلك ، فهل يجعل تلك الدابة الخرساء العمياء تهيمن على نفسك الناطقة العاقلة؟ ويidel أن تقودها تقودك هي الى الدنيا والشهوات ليس ذلك عاراً على ناطق مثلك ، مخلوق على صورة الله في البر وقداسة الحق !

الفصل التاسع والثلاثون

عدم الاستسلام للأهواء

قاوم أهواك غير المرتبة ولا تتبع ما ظهر لله بادئ الأمر حسنه دون أن تفحصه جيداً ، اضبط رغائب قلبك ولا تسر مع الهوى ، فأنك بذلك لا تخدم سريراً ، ولا يجد القلق إلى نفسك سبلاً . ان مجاهدة النفس ضد الأهواء وان كانت صعبة الا أن ثمرتها سلام للنفس وهدوء للروح . ايها الانبياء لكل هوى تخاله موافقاً لك ، كما لا ينبغي أن تفر من أمر يظهر لك في بدايته أنه مخالف لميولك ، أقمع هواك واستبعده ، رتب ميولك وروضها ، علمها أن تخضع وتقنع وتسر بالأمور البسيطة ، عودها إلا تتذمر مما لا يلائمها ، فان شهواتنا غالباً تضلنا وتغينا ، وأشواقنا تلقطنا ، وحواستنا تخدعنا .

ان أعظم عقاب يناله الانسان هو أن يتركه الله لشهواته ويسلمه الى نفسه . قال رب « فلم يسمع شعبي لصوتي واسراييل لم يرض بي ، فسلتمهم الى فساد قلوبهم ليسلكوا في مؤامرات انفسهم » (مز ٨١ : ١١ و ١٢) وقال الرسول « وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله الى ذهن مرفوض ليفعلا ما لا يحق » (رو ١ : ٢٨) فاذا ترك الانسان لذاته وبعدت عنه نعمة الله سقط في مهارى الهوان ووقع في يد وحش مفترس قاس يذيقه الويل والعقاب ، لأن تخلى نعمة الله عن الانسان جحيم شديد ليس أخوف ولا أرهب منه . فاحذر أيها الحبيب من أن تخلى عنك العناية ولا تهدا حتى تكون خطواتك حسبما ترشد اليه النعمة ، اقترب من قدمي يسوع وأبك وأنتicip بشدة حتى يعييك اليه وبيعد عنك أهواك التي تلقي بك الى الهاك ، ومن اتبع شهواته وأطاع هوى جسده تصير أهواه كفرون حموح لا يستطيع كبحه، ثم هو يطوح به من فساد الى فساد ويستدرجه من رديلة الى أخرى أشر منها . الى ان يهبط الى أدنى دركات الهوان، وأخيراً يكون جزاؤه العذاب الأبدي . فلا تطبع أيها الحبيب شهواتك ، ولا تاذن لأهواك أن تتحكم فيك ، ولا تشمت بك عدوك وتستسلم له لثلا يفعل به ما لا يليق ، وتنبذك النعمة الالهية ، واذا تركتك نعمة الله ورحمته تعالى فبمن تلوذ وتدنس ، وعلى من تعتمد ، والى من تلتجم ٩ .

الفصل الأربعون

تشخيص نجاسة الخطية وتأثيرها على الطبيعة البشرية

الخطية هي التعدي ، وهي مرض أدبي وداء روحي من شر الأدواء وأخبثها ، يفتك بالروح وتذيل به زهرة الحياة ، هو مرض أصحاب الطبيعة البشرية فاذلها وأنهك قواها وأفقدها الحياة . كان الإنسان قبل الخطية ظاهراً نقياً بارأ مشتملاً بالنعمة والمجد والبهاء ، متعمقاً بالمؤانسة مع الله ومبتهجاً بالعاشرة معه تعالى ، حاصلاً على السعادة والراحة والمجد ، ممتنعاً بالنعمة والقدسية ، قابضاً بيديه على الحياة الأبدية ، غير خاضع للآلام ، منزهاً عن كل ما يهين ويشين ، مالكاً كل ما يمكن امتلاكه من الراحة والنعيم . لاشيء ينزله ، ولا مكرر يذكره ، لا شقاء يصييه ، ولا تعب يرهقه ، ولا مرض يلحقه ، ولا موت يفتك به . لا فكر يشغله ، ولا حزن ينزع سلامه ، وقد كان أيضاً سعيداً مرتاحاً في سلام واطمئنان . حائزًا كل الخير والسعادة والسرور . ولكن والأسفاء أصحابنا الخطية فنزعنا منا كل ما وهبنا الله لنا وسلبتنا كل شيء وأنزلتنا من علياء القدس . وطردتنا من الفردوس . وسببت لنا الأوصاب والأمراض ، وأخضعتنا للبلاء من التعب والفقر والمرض والجوع والعطش والشيخوخة والموت . فأظلمت عقولنا . وأفسدت أرادتنا . وتجسست قلوبنا . ومالت إلى الشر والفساد فنزعنا أكاليل النعمة من فوق رؤوسنا . وأنهكت قوانا الروحية . وشوهدت نظام طبائعنا البشرية . فانحطت القوى . وارتفع قدر الشهوات والرذائل . وانخفضت منزلة الفضائل . وسمت الدنيا . فإذا الطهارة والقدسية تتوارى . والوقاحة والأرجاس تطفو وتظهر .

إن الخطية تفعل في النفس أشر مما يفعل أخبث الأمراض في الجسم . فشوشت جمالها وأضاعت وزنها وبهيجتها وجعلت منظرها كثيناً حقيراً . فالذاكرة مرضت بالنسيان ، والضمير أصيب بداء وأخذ في الانحطاط والشهامة انخفضت قوتها والإرادة ضعفت عزيمتها وفقدت قوة التمييز بين الخبر والشر ، وأصبح الناس يفعلون الشر وهم يشعرون وينغمسون في الدنيا . وهم لا يبالون ويتمرغون في الأدناس من الرأس إلى القدم ولا يحسون ، وصارت الخطية كجبل ثقيل ضغط على القلب ومنعه من الظهور ، وأفقدته الشعور والاحساس حتى وسیرته في دجى الظلام ، وفي أودية مخيفة وهو لا يدرى ، ويتلمس شيئاً في نور الظهيرة فلا يرى . وبعد أن كان القلب هيكلًا لله خلقه لذاته ، جعلته الخطية مقرأً لابليس

وحفوه ، يأون اليه ويسكنون فيه ، وامتلا بادناس وأرجاس ، وذئامه
ووحش ، وصار مقرًا تس肯ه الشعاب والغريان .

قال اشعيا « ها أن يد الرب لم تقم عن أن تخلص ... بل
اثامكم صارت فاصلة بينكم وبين الحكم ، وخطاياكم سرت وجهه عنكم ...
لان أيديكم قد تنجرست بالدم ، وأصابعكم بالاثم ، شفاهكم تكلمت بالكذب
ولسانكم يلهم بالشر ، ليس من يدعوا بالعدل وليس من يحاكم بالحق » .
يتكلمون على الباطل . ويتكلمون بالكذب . قد حبلوا بتعب ولدوا أثما .
ففسوا بيض أفعى ونسجوا خيوط العنكبوت ، الأكل من بيضهم يموت والقى
تكر تخرج أفعى ، خيوطهم لا تصير ثوبا ولا يكتسون بأعمالهم .
اعمال اثم وفعل الظلم في أيديهم . أرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلى سفله .
الدم الزيكي . أفكارهم أفكار اثم ، في طرقهم اغتصاب وسحق ، طريق السلام
لم يعرفوه وليس في مسالكهم عدل . جعلوا لأنفسهم سبلا معوجة كل من
يسير فيها لا يعرف سلاما » (أش ٥٩ : ١ - ٨) .

قاتلها الله . ما أشد ضرها . ثقلت علينا يدها ورزحنا تحت أثقالها .
وأنسرا تحت نيرها واستعبدتنا شهواتنا حتى صيرتنا أسرى بعد أن كنا
احرارا . وأفت شجاعتنا . وأضعفتنا فيما حب الخير . وجعلتنا جبناء
وضعفاء في كل شيء ، وصيরتنا مولعين بحب الدنيا ومتبعين أهواء نقوستنا
تاركين خيرات السماء متهاهفين على خيرات أرضية زائلة وصرنا مقصرین في
واجباتنا . غير ضابطين حواسنا ، مرتبكة أمرنا . مشتلة عقولنا ، نعمل
إلى اللهو ونعنك على الخلاعة ونسارع إلى اللذات ، لقد أضعفتنا فيما هي
القلب إلى الخضوع والخشوع وعكرت صفونا الروحي . جعلتنا متخاذلين
عن الخير . أبطالا في الشر . ضعفاء في العبادة . أقوىاء في التراخي
والاهمال . غير قادرين على مكافحة الأهواء . تشيطين في عبادة الجسد .
جعلتنا متكبرين متفاهين مبغضين سالبين حقوق الآخرين . جعلتنا أبناء
الغضب بعد أن كنا أبناء الله وأسمعتنا رعودها بعد أن كنا متععين بصوت
الله العذب وجعلت الأرض تخرج أشواكها وقد كنا قبل ذلك خيراتها . قلت
نظام الطبيعة وأفسدت كل ما فيها وغيرت خلائق الإنسان وصدته عن الأعمال
الرفيعة وأهملته إلى الأمور الوضيعة الخسيسة وجعلتنا نطبع في أحراج المال .
حريصين على جمعه ، أشحاء في الاحسان . بخلاء على الفقراء . فاقدين
قوة النفس . عاجزين عن الفضيلة . غير مهذبين في أخلاقنا ، ضجرين في
أعمالنا ، متيقظين لاستعمال الأباطيل وأحاديث الشر والخلاعة ، متکاسبين وقت
الصلوة وحين تلاوة الكتب المقدسة ، متوانين في العبادة ، مسارعين إلى
الغضب واهانة القريب ، ضعفاء في المحبة ، شجعان في البغضة ، مباليين

إلى دينونة الآخرين ، قساة في معاملتنا ، غير مترفقين بالضعفاء ، بطريرن في الرذاء ، جزعين لدى الشدة ، وبالجملة فإنها ملكتنا وولدت فينا الرذائل ، ومكنت في قلوبنا شهوة الجسد ، وشهوة العين ، وتعظم المعيشة ، الأمور التي من العالم (أيو ٢ : ١٦) .

فيما تكمن الكربلاء بصورتها الشنيعة ، والريء والتصنع والدهاء والخديعة ، والراغب النجسة ، والشهوات الدنسة ، وتغفلت في قلوبنا أحقاد وضيائين وشتائم وتجاريف وجور وظلم واغتياب ونميمة وجسه ، فتال للتفوس ، وطبع لا تحد رغائبه ، وقساوة قلب ، وعدم انعطاف وحشوا من أجل ذلك ابتعد الحق عنا ولم يدركنا العدل ، ننتظر نوراً فإذا ظلام ، ضياء فتنسير في ظلام دامس ، نتلمس الحائط كعمى وكاذب بلا أعين تتحسّس ، قد عثرنا في الظاهر كما في العتمة ، في الضباب كموته ... تعديننا وكذبنا على رب ، وحدنا من وراء هنا ، تكلمنا بالظلم والمعصية . جبلنا ولهمجا من القلب بكلام الكذب ، وقد ارتد الحق إلى الوراء والعدل يقف بعيداً ، لأن الصدق سقط في الشارع والاستقامة لا تستطيع الدخول ، وصار الصدق معدوماً والحادي عن الشر يسلب ، فرأى رب وسأء في عينيه أنه ليس عدل ، اش ٥٩ : ٩ - ١٥ .

فمن لا يحزن ويكتب ويبكي ويندب متسرعاً على ما أهاب طبيعتنا .
ـ من مفرج عنى الحزن ، قلبي في سقيم ، هؤلا صوت استغاثة بنت شعبي من أرض بعيدة ، أعل الرب ليس في صهيون أو ملكها ليس فيها ... مضى الحصاد انتهى الصيف ونحن لم نخلص ، من أجل سحق بنت شعبي انسحقت . حزنت . أخذتني دهشة . أليس بلسان في جلعاد ألم ليس هناك طبيب ! فلماذا لم تعصب بنت شعبي ، (أر ٨ : ١٨ - ٢٢) .

لم يقدر الأنبياء ، ولا الكهنة ، ولا فروهن الناموس ولا الذبائح الرمزية ، أن تخلصنا من الخطية ، ولكن يسوع وحده استطاع أن يشفينا منها ، فتبارك لأنه صار لنا براً وفداء وحكمة لأن « أحزاننا حطها ، وأوجاعنا تحملها ، ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً . وهو مجريوح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا ، تأديب سلامتنا عليه وبحبره شفينا » . (اش ٥٣ : ٤ - ٦) .

الفصل الواحد والأربعون

مقاومة اهواء الخطية واشهار الحرب عليها

الخطية قد مدت أصولها ، وأستولت على النفس ، وإن كانت النعمة نظل النفس ، ويبزغ نورها في القلب فتمدح سريان الخطية ، إلا أنه لا يزال متربكاً فينا جذوعها ، فيجب علينا أن نجد ونجهد كي تقاومها وتنبع امتدادها ، إذ لا يمكن أن تنزع حركات الخطية منها ، لأنها متأصلة فينا ، ولكن لا نخف إذ لا قوة لها ولا سلطان على أولاد الله الذين فيهم روحه ونعمته . فإن كانت الخطية فيك تدفعك لفعل الشر فلا تظن أنك متربوك بلا قوة تنبعها عنك ، فإن روح الله الذي فينا يكسر شوكتها ويضعف سلطانها ، فترافقك النعمة دائماً لغبطة هذه الميل ، فإذا أشرقت الشمس تبدد الظلم ، ومتى أقبل النهار انهزم الليل ، وكذلك حين تتبعث أشعة الروح القدس ، وتتفقد في القلب الإنسان ، فإن جميع الأرجاس تهرب من أمام وجهه وتطرد الآبالسة وكافة الرذائل التي ولدتها الخطية ، لأن النعمة نور وضياء ، والخطية ليل وظلام ، فمتى أقبل الروح القدس فر أبليس هارباً ، ومتى أشرقت النعمة انقضت الخطية كالدخان .

لا تقطع رجاءك لوجود بذور الخطية فيك . فقد عاشت راحاتك في وسط الآثار ومع ذلك نجاها إيمانها ورجاؤها . فالخطية لا تؤدي المتكلمين على رب . أحذر من أن تقول « هؤلاء الشعوب أكثر مني كيف أقدر أن أطردهم فلا تخاف منهم ... لا ترهب وجوههم . لأن رب الهك في وسطك الله عظيم ومخوف . ولكن رب الهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلاً ... ويدفعهم رب الهك أمامك ويوقع بهم اضطراباً عظيماً حتى يفنوا » (تث ٧ : ١٧ و ٢١ - ٢٣)

إذا قاومتك تجربة فلا تلن قناته لها ، فتنتصر عليك ، إياك أن تتمم مشيئتها ، لأنك إن طاولتها لا تشفق عليك ، بل تصمد لحاربتك حتى تقودك إليها قسراً ، أن طردتها دفعة واحدة بشجاعة وثبات ، تنفذ أمامك سريعاً ، وهكذا تظل أنت شجاعاً قوياً ، ظافراً غالباً ، لا تقدر عليك الشهوات ، ولا تظفر بك الخطية ، فقاوم بنشاط كل آلامك ، فيضعف الميل نحو الشر ، وتقوى نفسك على الخير والفضيلة .

وإذا شعرت في ذاتك بدافع يحركك نحو الخطية ، فلا تدع هذا الاحساس يكمل فيك بالرضا ، بل اطرد الخطية حالاً ولا ترض بها ، اعلم

ان تبولك تلك الحركة هو مفتاح يفتح به ابليس حضون القلب . ان ذلك الحس انما نتج من الوراثة التي ورثتها في طبيعتك من الخطية الأصلية التي سرى سمعها في الطبيعة البشرية حسب قول الرسول « أرى ذادوسا آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي » (رو ٧ : ٢٣) وهذا الشعور لا يكون خطية الا اذا ارتضيت به او اتممته بالفعل فلا تسمح للتقائص الطبيعية ان تولد فيك شرورة وتبدز فيك اثما ، بل سر في طريق الفضيلة والكمال ، غير متلفت إلى شهوات الجسد وضجيجه . اياك ان تصفعى لمشورة الجسد ، او تميل إلى آلامه ، بل دس بقدميك على كل تهويلااته ، والروح القدس الساكن فيك يعطيك الحياة ويهبك النمو في النعمة .

الخطية لن تبرح ساكنة فيك ، والحياة القديمة لن تزال متربدة عليك لتخدعك ، وتنتفث فيك سمعها القتال ، فلا تقبل حيلها وخداعها ولا تعقد معها اتفاقا ، ولا تدعها تسير معك في الطريق . باعهد رجلك عن مسالكها ، وانفر من تملقاتها ولا يمل عقلك اليها . غضن طرفك عن النظر إليها ، ولا تسمح لأنذريك ان تصفعى لمداهنتها ، ولا تدع معها قط . لا تسلم لها أفكارك ولا ميولك ، بل أشهر عليها حروها عرانا ، وقتلا عنفيا ، والتجيء إلى الله ليصحها تحت قدميك .

خف من الخطية خوفك من السم ، واهرب من الاثم هروبك من الأفعى وان سقطت فقم سرعا ، ولا تدع الشر يجعل له ذي ذلك مكانا ، ولا تقل ذوسك بخطية فوق خطية ، لئلا يصعب عليك الخلاص منها .

لا تخطيء وتقول ان رحمة الله خطيبة ، لأن هذا خداع شنيع من العدو تهين به رحمة الله اعلم أن الله عادل أيضا . وبخطيتك تستوجب عقاب العادل ، فإن أهنت الرحمة الإلهية فالى من تتجيء حينئذ . اذا كانت السحب والغيوم متراكفة ومتلبدة في السماء ، فلا تستطيع رؤية النحوم ويحتجب عنك نور الشمس والقمر ، هكذا القلب اذا أسللت عليه غيوم الخطية يصيغ مظلما ولا يرى فيه شيء من النور . الدخان يؤذى العين بمنع اشراق النور ، الخطية تعمى البصيرة ، وتحجب الاشرافات الإلهية عن القلب . فلا تسمح للخطية اذن ان تسكن في قلبك ، ولا تدع ابليس يمهد له ولجنوده في نفسك طرقا ومسالك ومحابر ، لئلا يأتي جنود الشر ويختفون في تلك المسالك ويجولون ويمشون في تلك الطرق فيكون قلبك مأوى وجحيم اسكنى الأبالسة . اطرد حالا الأفكار النسنة ولا تدعها تتربد عليك وتتدخل وتددرج كما تشاء ، وتجعل فؤادك معبرا لها .

الفصل الثاني والأربعون

الحياة حرب وجهاد دائم

ان حياة الانسان كلها حروب روحية ، وجهادات نفسية ، لا تكفي ولا تنتهي ، فان الجسد لا يزال حيا ، وأبليس لن يروح شهراً الحرب على النفس ، ولا تبلغ الراحة وتبطل هذه الحروب الا عندما تهتف بصوات الفرح والنصرة « أين شوكتك ياموت ؟ أين غلبتك يا هاربة (الكو ١٥ : ٥٤) .

مادمنا في الجسد فهناك قعقة الأسلحة ودوى النيران ، وما نفوسنا داخل أجسادنا الا كالسفن وسط بحر عجاج تلاطمها الأسواج وتنقاذهما الرياح من كل جانب . او كوقود في آتون متاجع سعيره تصلة النار من كل جهة . فلا تظن أيها الانسان انك في هذه الحياة بامان . بل انك تسير في طريق كثها فخاخ ، بين شراك متصوبه ومنافش ممدودة ، وأعداؤك يبدلون قصارى الجهد في ايصال الأذى اليك ، وسلب حياة النعمة منك ، والعدو لا ينفك في محاربتك ، ولا تهن قوته من مناشك ، لا يتمن راحه في الحرب ، ولا يتطلب هدنة . بل حروبه دائمة ، ومسارعاته متواضلة ، فاحذر وانتبه ، ولا تطمئن اليه وتستخف بهذه الحرب المشؤومة . ليكن اذياته داعيا لاستمداد القوة من الله لمحاربته وخذلانه والانتصار عليه واستعن بقوة يسوع الطافرة ، ونعمته خير المغلوبة .

انك لمخدوع أشد الخداع أن ظننت انك تستطيع ان تخلي من التجارب وتنهي من كل الالم ، اذ بينما تظن ذلك اذا بالعدو يجول ويزار حولك ملتمسا من يبتلعه (ابط ٥ : ٨) وحين تخال انك في سلام وراحة تكون في خطر ، وهناك أبليس كامن لك في الذفاء تحت مظهر مخيف وجهاد شديد . لا تجزع من التجارب : لا يجبن قلبك لدى ورودها بل اعتبرها علامة حسنة لك ، لأنها دليل على انك تثبتت الشرير وانتصرت عليه بعد ان تأومنته ونازلتة وغابتة ، ولذلك تجده يضطهدك ويمازلك ويعيد الكراهة عليك ليظفر بك حنقا منه وغيطا ، فاجتهد دائماً ان تكون خافرا .

ان هذا العدو لا يشغل نفسه في محاربة أولئك الذين هم تحت سلطانه وفي قبضة يده ، ولكنه يجاهد الجهاد الشديد ويقاوم المقاومة العنيفة أولئك الذين يخذلونه ، ومتي خذلته مرة صار النصر دائمـاً حليفك ، فقسرعـه

وتذلّسه في كل واقعة ، جاهد اذن وكافح وأسهر وصل لئلا تدخل في تجربة ، خذ كل أسلحة الروح ل تستطيع أن ترد سهام ذلك الشرير المتبعة و تقو في الرب وفي شدة قوته . ألبس سلاح الله الكامل لكي تقدر أن تثبت ضد مكائد أبليس ، فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم ، بل مع الرؤساء مع السلاطين ، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشر الروحية في السماويات . أثبت منطقاً حقريك بالحق ، وألبس درع البر وأحمل وفق الكل ترس الإيمان ، وخذ خوذة الخلاص وسيف الروح الذي هو كلمة الله ، صل بكل صلوة وطلبة في الروح » (اف ٦ : ١٠ - ١٨) .

ان الجندي القريب من العدو لا تغفل عينه ولا ينام ، بدل يسهر دائماً مستعداً للقتال . واللاح الماهر يترقب حركات الجو . وبمسك بالدفة في وسط الأمواج والأنواء الشديدة ليحفظ سفينته من الغرق والهلاك . فانتبه يا سهر وتيقظ وتهيا ، كن شجاعاً متسلحاً في كل وقت تجاه العدو والتجارب المحدقة بك ، كن حكينا يقظاً واهجم على عدوك قبل هجرمه عليك . حصن نفسك من كل جهة ، والتبعي إلى الله دائمًا ، ولا تخرج من الحسين ، ولا تلمس الحياة أو تلعب معها أو تلاطفها لئك تلدغك ، اه رب سناها فتنجو من سمعها ، اقطع أسباب الخطية ولا تقرب النار لئلا تحرقك ، لا تكون سبباً لسقوط ذاتك « احذر من أن تغير بهذا الموضع لأن الأذميين حالون هناك » (٢ مل ٦ : ٩) .

اطرح كل ثقل وجانب الخطية المحيطة بك وارکض وجاهد في الجهاد الموضوع أمامك « ناظراً إلى رئيس الإيمان ومكمله ، يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهينا بالخنزى ، فجلس عن يمين الله ، فتقىروا في الذي احتمل من الخطأ مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكروا وتخوروا في نفوسكم » (عب ١٢ : ٧ - ٣) .

الفصل الثالث والأربعون

الاحتراس من تجارب العدو

ان أبلیس عندما يرشقنا بسهامه ويشهر علينا حربه ، فليس ذلك عدواً وبغضنا لمنا فقط بل لعداؤته له ومذخالفته اياه ، وبما ان الشيطان لا يقدر على ايصال الآذى اليه تعالى فإنه ينتقم من خليقته ويغويهم لبشراركوه في عذابه الأليم . فتأمل أيها الحبيب ، اتك بما قومنتك . ومحاربتك لا يليس لا تدفع الشر عن نفسك فقط ، بل تدافع عن شرف الله ، فخير لك أن تموت شر ميتة وتتھشم أعضاؤك وتحتمل كل محاربات أبلیس من أن تهين الله قم بخذلاتك أمام عدوه . لا تظن أنك تحارب وحدك الرب يعطيك النصرة على عدوك قم يارب يا الله أرفع يديك . لا تننس المساكين . لماذا أهان الشهير الله » (مز ۱۰ : ۱۲ و ۱۳) « أمسك مجاناً وترسلـوا وانهضـوا الى معونـتـي ، واسـرع رـمـحاً وصـدـ تـلـقاء مـطـارـدـي . قـل لـنـفـسي خـلاـصـك أـنـا » (مز ۳۵ : ۲۳) .

« لا تخـف أـنـت لـى . اذا اـجـتـزـت فـى الـمـيـاه فـاـنـا مـعـك ، وـفـى الـأـنـهـارـ فلا تـخـمـرـك ، اذا مـشـيـبـ فـى النـارـ فـلا تـلـذـعـ ، وـالـلـهـيـبـ لا يـحـرـكـ . لأنـي اـنـا الـرـبـ الـهـكـ قدـوـسـ اـسـرـائـيلـ مـخـلـصـكـ » (اش ۴۳ : ۱ - ۳) .

ان أبلیس لا يحاربنا الا عندما يأنس الضعف في نفوسنا ، فهو يبحث دائمـاً عن أـوهـى الـأـمـكـنـةـ فـيـنـا وـيـضـعـ فـيـهـاـ شـرـاكـهـ ، كـمـاـ يـفـعـلـ الصـيـادـ المـاـهـرـ حينـ يـرـيدـ أـنـ يـصـطـلـطـ عـلـىـ الطـيـورـ ، فـكـثـيرـاـ مـاـ يـحـارـبـناـ وـيـسـتـمـيـلـنـاـ وـيـاتـيـنـاـ مـنـ الـجـهـةـ التـيـ تـوـافـقـ مـيـولـنـاـ . الـاـ تـرـىـ آنـهـ أـوـقـعـ أـبـاـنـاـ آدـمـ بـوـاسـطـةـ حـوـاءـ ، وـخـدـعـ شـمـشـوـنـ وـأـسـقطـهـ بـوـاسـطـةـ دـلـيـلـةـ التـيـ كـانـ يـحـبـهـ ، وـأـغـرـىـ سـلـيمـانـ بـحـ النـسـاءـ ، وـيـهـوـذاـ بـحـ الـفـضـةـ ، فـكـنـ كـطـبـيـبـ مـاـهـرـ ، وـعـالـجـ نـقـائـصـكـ وـأـمـرـاضـكـ بـمـاـ يـشـفـيـ مـرـضـهـ . خـفـ منـ كـبـرـيـائـكـ بـالـتـواـضـعـ ، وـدـاوـ زـهـوـكـ وـتـشـامـخـكـ بـاحـتـقـارـ الذـاتـ . اـحـتـرـسـ وـلـاـ تـغـتـرـ بـظـواـهرـ الـأـسـورـ ، لأنـ أـبـلـیـسـ قـدـ يـتـشـكـلـ بـصـورـةـ مـلـاـكـ النـورـ ، وـيـضـعـ السـعـمـ فـيـ الدـسـمـ ، وـوـيـرـبـمـاـ يـضـعـ صـنـارـةـ الـهـلـلـكـ فـيـ طـعـمـ لـذـيـنـ وـيـنـصـبـ فـخـاـنـاـ لـيـرـقـعـهـ فـيـ حـبـائـلـهـ ، وـيـوـهـمـكـ اـنـ الصـلـاحـ وـالـخـيـرـ فـيـمـاـ يـرـسـمـهـ لـكـ . فـلاـ تـنـخدـعـ وـلـاـ تـغـرـ . بـلـ اـفـحـصـ الـأـمـورـ وـقـابـهاـ عـلـىـ وـجـوهـهـاـ لـتـسـلـمـ مـنـ شـرـورـهـ . اـمـاـ أـسـلـمـ يـهـوـذاـ مـيـدةـ وـقـيـةـ ! اـمـاـ قـتـلـ يـوـآـبـ اـمـصـيـاـ بـيـنـمـاـ كـانـ يـتـنـاهـرـ بـأـنـهـ وـدـودـ مـحـبـ وـصـدـيقـ مـخـلـصـ ! ليـكـ اـعـتـمـادـكـ عـلـىـ اللهـ وـسـلـمـ اـلـهـ قـيـادـكـ . اـرـجـعـ اـلـهـ فـيـ كـلـ اـمـرـ . ليـكـ هـوـ سـنـدـكـ وـمـلـجـؤـكـ فـيـ كـلـ شـيـءـ .

الفصل الرابع والأربعون

في تجارب الحياة وفوائدها

ان حياتنا كلها تجرب وآلام لأننا خرباء في دار منفانا . فلا غرابة إذا أبتلينا بتجارب كثيرة . وتمرّسنا بنوائب وشدائد في هذا الوادي وأدى الشقاء والأحزان . وهما تدري أننا لا ننجو من تجربة حتى نقع في أخرى ولا نداوى جرح آخر . ولا ندرك ترتفع رأسنا حتى تصدمنا موجة تلقى بنا إلى العمق ، وهاهي ذى المصائب تحنى ظهورنا وتخفض رؤوسنا . فمن من الناس نجا من تجربة أو شدة حتى المساوكة والقياصرة الجالسون على عرش سلطانهم . لا يخلون من التجارب والأوصاب والمشقات والمتابع والشدائد والتجارب . وإن كان لا بد منها للجميع إلا أنها يختص بها القديسون . قال الرسول : « لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح ، لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أيضاً أن تتسللوا لأجله » (في ١ : ٢٩) « انه بضيقات كثيرة ينبغي أن تدخل ملكوت الله » (اع ١٤ : ٢٢) .

انه لدواء نافع وعلاج مفيد أن نقع في تجارب متقدعة ، حتى نطلب داراً باقية أبدية . فالشدة معلم حاذق يعلمنا الأدب والتواضع ومحاربة الذات وحسن السلوك . ويهدب أخلاقنا . وبروض نفوسنا . ويرتب أفكارنا ويكيح شهواتنا . هي معلمة الحكمة ، وقادمة إلى الرمانة . تجعل التكبر متراجعاً . والقاسي ليتا . والغضوب وديعاً أنيساً . وذى السرجس هادئاً رضينا . وترد العاصي إلى الله خاشعاً . الشدائـ تستأصل منا العجرفة والخيلاء ، وتصوتنا من العجب والزهو الباطل ، وحين تسلم بنا الشدائـ نفقـة وندرك شدة افتقارـنا إلى الله وحاجتنا إلى معاونـته . ونتأكـ أذهـ لا أمن ولا سلام في هذه الدار . حيثـ تطلعـ على شـقاـقـتنا وضـعـفـتنا ونـعـرـفـ ما نـحنـ عـلـيـهـ منـ الضـعـفـ والـوـهـنـ .

التجارب تروضـنا علىـ الفـضـائلـ . وتسـتدـعـيـ مـزيـدـ اـنتـباـهـاـ لـأـلـاـ نـستـغـرقـ فـيـ نـوـمـ عـمـيقـ وـرـقـادـ ثـقـيلـ ، فـبـهاـ تـتـنـقـيـ وـتـهـذـبـ وـتـأـبـ . وـتـكـملـ وـنـهـيفـ وـذـركـ ، وـلـوـلـاـ ماـ عـرـنـاـ ذـواـتـناـ . بـلـ لـاستـعـظـمـنـاـ قـوـتـناـ ، وـذـذـنـاـ إـنـنـاـ شـءـ يـذـكـرـ ، فـهـيـ تـظـهـرـ ضـعـفـنـاـ وـتـدـعـنـاـ نـتـذـلـلـ أـمامـ الـرـبـ . قـالـ الرـسـوـلـ « وـلـئـلاـ اـرـتـفـعـ بـقـرـطـ الـاعـلـانـاتـ اـعـطـيـتـ شـوـكـةـ فـيـ الـجـسـدـ مـلـاـ الشـيـطـانـ . لـيـلـطـمـنـيـ إـنـلـاـ أـرـتـفـعـ » (كـوـ ١٢ـ : ٧ـ) « فـطـوـبـيـ لـرـجـلـ يـؤـدـبـهـ

الرب ، فلا ترفضن تأديب القدير ، لأنّه هو يجرح ويعصّب يسحق ويدها
تشفيان » (اي ٥ : ١٧و ١٨) « لأنّ الذي يحبه الرب يؤبهه وكأنّ
يسر به » (ام ٣ : ١٢) .

ان بنى اسرائيل كانوا عند الشدة والخبيث يلتصقون بالرب ويتجهون
اليه بالدعاء ، ولدى الرخاء يتناسونه ويتركونه ، وداود الملك حين
فرجه وسروره سقط في الخطية ، ولكن لدى شدته قال « ذي يرم ضيقى
التنست الرب » (من ٧٧ : ٢) والابن الشاطر لم يقع في تلك الغافقة
ما عرف حالته وعاد الى بيت أبيه ، قال اشعيا النبي « يارب في الضيق
Hallouk سكروا مخافة عند تأديبك ايامهم » (اش ٢٦ : ١٦) قال المثل « اذ
قتلهم طلبوه ورجعوا الى الله » (من ٧٨ : ٤) .

الكرمة لا تنمو فروعها ، وتتشعب أغصانها ، وتزهو بنشرتها وتحمل
العنقى الكثيرة ما لم تشذب ، وكذلك الاوتار فأنها لا تعطى صوتاً
شجياً ما لم تشد جيداً وتضرب بالأصابع ، وأيضاً العود الند لا تفوح
منه الرائحة الزكية الا بأحرقة في النار ، والذهب الحقيقي لا بد أن
يمحسن في الأتون ، والماض لا بد أن يقطع ويسوى ، والحنطة لا بد أن
تدق قبل أن تدخل الى الأهراء . كل القديسين والأبرار ساروا في هذا
الطريق ، وجميع ورثة السماء الذين يتمتعون الان بالمجده قد جازوا هذا
المسلك الوعر ، بل ربكم ومخلصكم حرب في كل شيء ودعى « رب جل
الأوجاع وختير الحزن » فلا ترفضن التجربة عند ورودها ، ولا تضجر
عند اشتدادها بل فوض أمرك الى الله وسلمه همسيتك ، دعوه يفعل
ما يشاء ، وطن ذاتك لاحتلال التجربة واحتسابها من أعظم التعزيزات لك في
هذه الحياة ، ومتى كنت محباً للحقيقة قيلت الشدائـد بفرح كانت كفت
تتحققها ، ومن ذا الذي لا يقبل من يد الله الشفاعة الخلوة كل ما يسمع
بس . اذك اذا فعلت ذلك تمسير الشدائـد عنك هيئة عذبة ولذيدة مسداـدة
« احسبوه كل فرح يا أخواتي حين تقعون في تجارب متزوعة . عالين ان
امتحان ايمانكم ينشيء صبراً » (يع ١ : ٢) « لأن آلام الزمان الحاضـر
لا تقاس بالجد العتيد ان يستعلن فينا » (رو ٨ : ١٨) .

الفصل الخامس والأربعون

احتمال المشقات على مثال المسيح لأجله

إذا أصابتك بلية أو وقعت في تجربة ، فلا تخر لها ولا يجن قلبك لوروثها ، بل احتلها بصبر جميل وافتح لها صدراً رحيباً ولا تدعها تغلبك ، بل اجتهد أن تنتصر عليها . تذكر أن مذلك جرب مثلك في كل شيء « لأنه فيما هو قد تالم يقدر أن يعین المجربيين » (عب ٢ : ١٨) هو قادر أن يرثي لضيق انتقامتك بل ماجرب في كل شيء مثلنا بلا خطية (عب ٤ : ١٥)

كيف تقدر أن تمثلك مع المسيح أن كنت لا تتالم معه ، فان شئت ان تحييا معه فمت معه تحت ألام الصليب ولا تبال بالام بصيرتك ، وتعبرت نفع عليك ، واهانات توجه اليك ، فقد سبقك مذلك في احتمال كل هذه التجارب . ولن تقدر ان تصير مثل هابيل ان لم يصبك شر قابيل ، ولا تدخل ارض كنعان ما لم تعبر البرية . ولا يدخل الجنة ويملك مع المسيح من لا يرتضي ان يعلم منه . فان شئت ان تحييا معه فلابد ان تشابهه في كل شيء . وكما مات هو مت انت معه ، وكما تالم هو تالم انت معه ، وكما قام هو قم انت معه ، وحيثند تقدر ان تدخل معه مجده كما تحمل هو « ان كان تالم معه لكي تتجدد أيضًا معه » (رو ٨ : ١٧) .

ان اشتدت عليك التجارب او تزايدت ، فلا تجزع بل اعلم ان الرب يقتضي الاتقياء من التجربة (بط ٢ : ٩) ان الفخاري لا يترك آنيته في أتون النار حتى تحرق والصائغ لا يدع فضشه وذهبته في البرقة أكثر مما ينبغي ، فلن يتركك الرب في أتون التجربة ، بل « ان الله أمين لا يدعكم تجريون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضا المنفذ لستطيعوا ان تحدملوا » (اكو ١٠ : ١٣) فاقبل بفرح وسرور وصبر جميل كل ما يأتيك من التجارب ، وما يحيق بك من الضيق والأوجاع والآلام والمتاعب والبلايا والأمراض والاضطرابات والشتائم والمثالب والمذمات والاحتقار والاهانات ، وكل ما يقابلك من الشدائيد . ان نصبت أمامك مثال المسيح هانت عليك شدائيد لأنه جرب في كل شيء مثلك ، ويستطيع أن يعین المجربيين . ان جربت بالفقر . وألمك اشتداد البرد . أو كنت بلا مأوى ولا كسوة . أو امتلأت نفسك هواناً فاذكر « ان للشحالب أوجرة ولطيور النساء او كاراً وأما ابن الانسان فليس له أين يسند رأسه » (مت ٨ : ٢٠)

ان أصبت بمرض آلم نفسك وأضنى أعضاء جسدك فأعلم أن مخلصك
كان رجل أوجاع ومخترق الحزن . أخذ أسلومنا وحمل أمراضنا (مت ٨ :
١٢ راش ٥٣ : ٤) .

ان فقدت صديقاً عزيزاً ومحباً مخلصاً فاذكر أن يسوع بكى وانتصب
على حبيبه لعاذر ، وان ابتهل بخيانته أحد أحبابك فلا تنس أن صديقه
واللينه بل تلميذه أكل خبزه ورفع عليه عقبه وبادره الى أعدائه بثلاثين من
الفضة . وان اتهمت بأمر أو افترى عليك أحد . أو اساء الظن فيك .
أو اغتابك بمكروه أو شان صبيتك باكاذيب وافتراطات . فلا يخر عزمك
ولا بضيق صدرك . بل تشدد وتقو وأنذرك بأن كلام التجديف واللعنة
والاهانات قد جازت قلب المسيح كشهام حادة . انهم دعوة سكيراً ومدمن
خمر . وصديقًا للخطاة والعشاريين . حركوا بذلك شفاهم . واندلعت به
الاستئناف . فإن سمعت كلام التجديف والاهانات . فاعلم أن ذلك أضنى قلب
مخلصك وألم فؤاده قبلك .

احتمل ذلك كله « لأنه فيما هو قد تالم يقدر أن يعين المجربيين »
ولا تدع التجارب تضعفك . وتبليغ عزيمتك . بل ليظفر بها صبرك وثبات
ایمانك فالنجوم لا تظهر إلا في الليل والحوالك . والجندى الباسل لا تتضخم
بسالته وشجاعته إلا وقت الحرب والعارك ، والربان الماهر لا تعلن مهارته
الا حين ثوران العواصف والرياح ، كذلك أنت لا يظهر صبرك ، وثبات ايمانك الا
وقت اشتداد أمواج التجارب ، وحين هبوب عواصف المحن ، وجريان رياح
البلايا والمصائب . فكلما زادت عليك التجارب ، وتراءكت الهموم ، كان
ذلك سبباً لزيادة نموك في النعمة ولتنمية صبرك واقتدائك بالرب يسوع ،
كما كان بنو اسرائيل يزدادون نمواً وكثرة عند تجربتهم .
وكما أن السفينه تعلو وترتفع كلما علت المياه ، هكذا أنت فلتترتق
نفسك ولتسنم بالفخيلة حين اشتداد وطأة التجارب . ولتكن ذلك كله
داعياً إلى اسراعك والتجائلك إلى يسوع الملاجأ الأمين والحسن القوى
المحسين .

الفصل السادس والأربعين

الاحتراس من الصغائر وقتلها قبل أن تتساعد

احترس ما أمكنك من الصغائر التي تظهر بادئه بدء أنها أمور هينة ، خفها وأحذر منها أكثر من حذرك من الخطايا الكبيرة ، لأن الصغائر تولد الكبائر ، ومعظم الناس من مستحضر الشر ، والانسان لا يبلغ درجة الكمال والانتهاء في الخير في الأمور الطبيعية أو الروحية الا تدريجيا ، فالطفل يتدرج من طفولة إلى شباب إلىشيخوخة ، والزرع ينمو ويكبر شيئا فشيئا ، والبيت لا ينهدم دفعة واحدة ، بل يسبق ذلك ضعف الأسنان وتصدع الأركان . وذلك الضمير الذي كان يرتعب من أمر صغير لا يفتئ أن يعتاد الخطايا الثقيلة ويتممها بلا خوف ، فإن تهاونت في أمر صغير صار كبيرا ، وإن بذلت على الرمل رزغعت الرياح أساسك ، وهدمت العواصف ببنائك فيسقط سريعا . تلك الزلالات الصغيرة أو العادات البسيطة التي لا تخشها في أول الأمر ، قد تنمو وتتكبر وتتأثر وتولد فيك خطايا لا يمكنك بعد ذلك اقتلاعها بسهولة ، وتلك الديadan الصغيرة التي لم تعن بقلتها لا تبرح نامية حتى تصير حيات سامة وأفاعي مميتة ، فحاربها وهي صغيرة والا استعصم عليك التغلب عليها . ذلك الرماد يتخلله وميض نار ان لم تطئه يتاجج لهيبه ويبلحظى سعيده . وإذا أنت أهملت الصغائر ولم تحذر منها تعرضت نفسك للوقوع فيما هو أكبر منها ، وتلك الشعالب الصغار لا تفتئ أن تصير كبيرة وتقتل الفضيلة ، وذلك الشبل عن قريب يصيرأسدا ، فاقتلها وافترسه قبل أن يفترسك . أمسك الشعالب الصغار المفسدة الكروم (نش ٢ : ١٥) أمت تلك الانحرافات التي تظهر للك في بادئ نظر غير ظاهر ، إن مثل هذه الأشياء يتضح لك في أول الأمر أنها مجرد تأمل ثم تصير تسلبة ، ثم تتقوى شيئا فشيئا حتى تولد في القلب أثما وشر ، وتطبع في الفؤاد صوراً وخیالات لا حد لها ترتكب في الذهن وتدنس الضمير النقى ، وتفسد العفاف الظاهر ، فاحذر واحترس ، وبادر إلى اقتلاع الخطية وهي عشب ، الللا تنمو وتتكبر وتصير شجرة كبيرة يصعب عليك قلعها ، ولا تتهاون ولا تتوان في زلة مهما كانت صغيرة ، والا فستجد منها أخيراً سيداً قاسياً عنيداً تضطر أن تصير أمامه كعب مقيد نليا .

ينتبه الانسان الى تلك الخطايا الكبيرة ، وبما وجہ فکره الى

اقلاعها ، أو الفرار منها ، أو النهوض والتخلص من حيالها بسرعة ، ولكن تلك الصغار قلما يلتفت إليها أحد أو يوجه نظره إلى اقتلاعها أو يعتد بها، ولذلك يسهل سقوطه فيها وتقيده شيئاً إلى أن توشك القيود الخفيفة أن تصير سلسل حديدية يصعب التخلص منها فيما فيما بعد وتؤدي إلى الهاك . قد تفرق السفينة من ثقب صغير في أسفلها ، كما تفرق من موجة كبيرة تصدمها أو عاصفة تصادفها ، وقد يمكن انتقاء الأنواء والزوايا ، ولكن ثقباً صغيراً لا ياقت إليه قد ينال ضرره ولا يمكن انقاء شره . فان كنت قد طرحت أشامك الثقيلة ، وتحررت من نير الخطية ، فاحذر الزلات الطفيفة ولا تستغفرها ، وإن كانت سفينتك جازت وسط البحر ، وأمنت الصخور ، وقاشت الزوابع والعواصف . فاحذر شديد الحذر من الريح اللينة ، والأحوال القليلة ، والقش الضعيف .

الفصل السابع والأربعون

في الثقة باه وقـت التجـربـة

لا تفشل ولا تخـرـ حين التجـربـة والجـهـاد ولا تظنـ أنـ العـدـيـ يـقـدرـ عـلـيـكـ طـالـماـ اـنـتـ مـعـ اللهـ وـكـانـ اللهـ مـعـكـ لأنـ الـرـبـ قدـ أـضـعـفـ قـوـةـ الشـيـطـانـ وـقـهـرـ سـلـطـانـهـ ، وـانـ ظـهـرـ الـعـدـوـ بـمـظـهـرـ الـأـسـدـ الـجـبارـ وـالـبـطـلـ الـمـغـوارـ ، فـاـنـمـاـ هوـ كـذـلـكـ لـأـولـئـكـ الـجـبـنـاءـ الـضـعـفـاءـ الـذـيـنـ لاـ يـقاـمـوـتـهـ وـلـاـ يـلـجـأـوـنـ إـلـىـ الـرـبـ فـيـ حـرـوبـهـمـ مـعـهـ . أـمـاـ حـقـيقـتـهـ فـهـوـ كـلـ بـحـقـيرـ وـنـذـلـ جـبـانـ لـأـولـئـكـ الـذـيـنـ لاـ يـصـغـفـونـ إـلـيـهـ لـأـنـهـ وـضـعـواـ ثـقـتـهـمـ فـيـ الـرـبـ ، وـأـلـقـواـ رـجـاءـهـمـ عـلـىـ نـعـمـةـ الـمـسـيـحـ . اـنـ إـبـلـيـسـ لـاـ يـقـدرـ أـنـ يـصـبـيـنـاـ بـتـجـربـةـ ماـ لـمـ نـرـدـهـاـ نـحـنـ لـأـنـفـسـنـاـ ، وـهـوـ يـشـيرـ عـلـيـنـاـ فـقـطـ بـالـأـلـامـ وـنـحـنـ نـكـلـهـاـ ، وـلـكـنـ لـدـيـ مـقاـومـتـهـ يـهـرـبـ مـنـاـ . حـيـنـ جـاءـ إـلـيـنـاـ مـجـرـيـاـ إـيـاهـ قـالـ لـهـ اـطـرـحـ نـفـسـكـ إـلـىـ أـسـفـلـ فـخـذـلـهـ السـيـدـ بـقـوـلـهـ «ـ مـكـتـوبـ لـاـ تـحـرـبـ الـرـبـ الـهـكـ »ـ (ـ مـتـ ٤ـ :ـ ٧ـ)ـ فـعـلـىـ هـذـاـ النـوـالـ يـجـبـ أـنـ تـنسـجـ حـتـىـ لـاـ يـقـدرـ إـبـلـيـسـ أـنـ يـطـرـحـكـ إـلـىـ الـأـسـفـلـ ، وـأـزـجـهـ وـحـارـبـهـ بـشـجـاعـةـ وـبـأـسـ . فـيـنـخـذـلـ إـمـامـكـ ، وـثـقـ بـإـنـ الـقـدـيرـ حـاضـرـ مـعـكـ ، وـنـاظـرـ جـهـادـكـ ، إـلـبـولـيـكـ النـصـرـ عـلـىـ أـعـدـائـكـ ، وـبـرـسـلـ إـلـيـكـ مـلـائـكـتـهـ لـيـحـدـطـوـاـ بـكـ كـيـ لـاـ تـسـقـطـ وـلـاـ تـعـثـرـ . اـذـاـ وـثـقـتـ بـذـلـكـ اـشـتـدـتـ أـحـقـاؤـكـ ، وـتـثـبـتـ قـدـمـاكـ ، وـتـشـجـعـ قـلـبـكـ ، وـخـرـجـتـ مـنـ مـيدـانـ الـجـهـادـ ظـافـرـاـ مـنـتـصـراـ «ـ لـاـنـ عـنـيـ الـرـبـ تـجـولـانـ فـيـ كـلـ الـأـرـضـ لـيـتـشـددـ عـلـىـ الـذـيـنـ قـاـوـبـهـمـ كـامـلـةـ نـحـوـهـ »ـ (ـ إـيـ ١٦ـ :ـ ٩ـ)ـ «ـ جـعـلـتـ الـرـبـ أـمـامـيـ فـيـ كـلـ حـيـنـ ، لـاـنـهـ عـنـ يـمـينـيـ فـلـاـ أـتـزـعـزـعـ ، لـذـكـ فـرـحـ قـلـبـيـ وـابـتـهـجـتـ رـوـحـيـ ، حـسـدـيـ أـيـضاـ يـسـكـنـ مـطـمـئـنـاـ »ـ (ـ مـزـ ١٦ـ :ـ ٩ـ)ـ «ـ الـرـبـ مـعـيـ كـجـيـارـ قـدـبـرـ مـنـ أـجـلـ ذـلـكـ بـعـثـرـ مـضـطـهـدـيـ وـلـاـ يـقـدـرـوـنـ خـزـنـاـ جـداـ لـاـنـهـ لـمـ يـنـجـحـواـ ، خـزـنـاـ أـبـدـياـ لـاـ يـنـسـيـ »ـ (ـ اـرـ ٢٠ـ :ـ ١١ـ)ـ .

قالـ الـرـبـ لـبـولـسـ الرـسـوـلـ «ـ تـكـفـيـكـ نـعـمـتـيـ لـاـنـ قـوـتـيـ فـيـ الـضـعـفـ تـكـملـ »ـ عـنـ ذـلـكـ قـالـ الرـسـوـلـ «ـ فـبـكـلـ سـرـورـ اـفـتـخـرـ بـالـحرـىـ فـيـ ضـعـفـاتـيـ ، لـكـيـ تـحلـ عـلـىـ قـوـةـ الـمـسـيـحـ ، لـذـلـكـ اـسـرـ بـالـضـعـفـاتـ وـالـشـتـائـمـ وـالـضـرـورـاتـ وـالـاـضـطـهـادـاتـ وـالـضـيـقاتـ لـأـجـلـ الـمـسـيـحـ ، لـأـنـيـ حـيـنـاـ أـنـاـ ضـعـيفـ فـحـيـنـدـ أـنـاـ قـوـيـ »ـ (ـ كـمـ ١٢ـ :ـ ٩ـ)ـ وـقـالـ «ـ أـسـتـطـعـ كـلـ شـيـءـ فـيـ الـمـسـيـحـ الـذـيـ يـقـوـيـنـيـ »ـ (ـ فـيـ ٤ـ :ـ ١٣ـ)ـ .

قالـ الـرـبـ «ـ وـأـنـاـ درـجـتـ أـفـرـايـمـ مـمـسـكـاـ إـيـاهـمـ بـأـزـرـعـهـمـ فـلـامـ يـعـرـفـوـاـ أـنـيـ شـفـقـتـهـمـ ، كـنـتـ إـجـذـبـهـمـ بـحـبـالـ الـبـشـرـ بـرـبـطـ الـمحـبةـ ، وـكـنـتـ لـهـمـ كـمـ يـرـفـعـ

النبر عن أعناقهم ومددت اليه مطعماً اياه » (دو ١١ : ٤٢) .

« الرب الحكم السائر أمامكم هو يحارب عنكم في مصر أمام أعينكم وفي البرية حيث رأيت كيف حملك الرب الهك كما يحمل الإنسان ابنه في كل الطريق التي سلکوها » (تث ١ : ٢٠ و ٢١) « أحاط به لاحظه وصانه كحدقة عينه » (تث ٣٢ : ١٠) « هو الله الذي يمنطقنا بالقوة ، ويجعل أرجلنا كالايل ، وعلى المرتفعات يقيمنا ، ينطقطنا بقوته للقتال ، ويصرع أهدا القائمين علينا » (مز ١٨ : ٣٢ و ٣٩ و ٤٢) « باسم الرب الهك نرفرع رأيتنا ، هؤلاء بالمركبات ، وهؤلاء بالخيل ، أما نحن فاسم الرب الهك نذكر ، هم جثوا وسقطوا أما نحن فقمنا واستقمنا » (مز ٢٠ : ٥ و ٧ و ٨) « لأن عوننا باسم الرب الصانع السموات والارض » (مز ١٢٤ : ٨) .

فلا تخف ولا تحزن ولبيطئن قلبك ، لأن الذي معك أشد وأقوى بأسا من الذين عليك . تشدد وتشجع وانتظر الرب فيخلاصك . « يعطي المعين قدرة ، ولعديم القوة يكثر شدة ، الغلامان يعيون ويتبعون ، والفتىان يتغشرون تعثرا ، وأما منتظرو الرب فيجدون قوة يرفعون أجنهة كالنسور ، يركضون ولا يتبعون ، يمشون ولا يعيون » (اش ٤٠ : ٢٩ - ٣١) ها هو يقول لك « لا تخف لأنني ذيتك ، أنت لمي . اذا اجتزت في المياه ذاتا معك ، وفي الأنهار فلا تتمرك ، اذا مشيت في النار فلا تذعرك ، واللبيب لا يحرقك ، لأنني أنا الرب الهك قدوس إسرائيل مخلصك » (اش ٤٣ : ١ - ٣) « تشدد وتشجع ، لا تخف ولا ترعب وجوههم ، لأن الرب الهك سائر معك لا يهلكك ولا يتتركك » (تث ٣١ : ٦) « أنا أسير قدامك والهضاب أمهد ، أكسر مصرا على النحاس ومجالق الحديد أقصف » (اش ٤٥ : ٢) « لا تخف لأنني معك ، لا تتلفت لأنني الهك ، قد أيدتك وأعنتك وعداك بيمنين برى ، انه يخزى ويخرج جميع المغناظين عليك ، يكون كلامي مخاصمك وبيهودون ، تفتش على منازعيك ولا تجدهم ، يكون محاربوك كل شيء وكالعدم ، لأنني أنا الرب الهك الممسك بيمنيك القائل لك لا تخف أنا أعينك » (اش ٤١ : ١٠ - ١٣) .

ثق بالرب دائمًا ولا تجزع لأن القدير معك ، وهو لا يتركك . أنت بطيئتك ضعيف ، ولكن حين تمسنك يمين الرب تكون كعمود من نحاس لا يتزعزع ولا يتقلقل ، وحين تأتيك نعمة الرب تقدر أن تطا الأفعى بقدميك . فالذي خلص دانيال من جب الأسود ، وحفظ الفتية في أتون النار ، وحمى بونان في بطن الحوت ، هو أيضًا يحفظك ويخلاصك .

« من يقوم لي على المسيئين ، من يقف لي ضد فعلة الأثم ، لولا أن الرب معيني ، لسكت نفسي سريعاً أرض السكوت ، اذ قلت قد زلت قدمي ، فرحمتك يارب تعصبني . عند كثرة همومي في داخلى تعزياتك تلذذ نفسى » (مز ٩٤ : ١٦ - ١٩) .

الفصل الثامن والأربعون

الاطمئنان بالرب والاحتماء فيه

« توكل على الرب بكل قلبك ، وعلى فهمك لا تعتمد » (أم ٣ : ٥) ، فإن المتكلمين على الرب كجبل صهرون الذى لا يتقلّل بل يسكن إلى الدهر » (مز ١٢٥ : ١) « ألق على الرب همك وهو يحولك ، لا يدع الصدق يتزعزع إلى الأبد » (مز ٥٥ : ٢٢) .

اطمئن بالرب دائماً وهو لا يتركك ولا يدعك تتزعزع وقت الضيق ، ولا تظن أن الذى أوجدك من العدم ، وعرف أمرورك قبل رجمودك ينساك بعد أن أوجدك . اذا احتميت بالرب فلا شيء على الأرض يقلقك ، ولا عدو يقدر أن يغلبك . اذا رمى انسان حجراً على حائط ، او صوب شخص سهامه الى جبل شاهق فلن ينقض الحائط بحجره او ينزل الجبل بسهامه ، كذلك أنت ان لبست قوة الرب ، وتذرعت بشدة يأسه وجبروته ، او احتسبت بظل جناحيه فلن يقدر عليك العدو ، وان رماك بسهامه فلا بد من ارتدادها اليه ، لأن قوة الرب تحيط بالانسان من كل جهة ، وهو يرد السهام النارية عن شعبه ، ويسكن العاصف الهائجة ضدهم ، وهو ملجاً للذين لا معونة لهم ، وفرح للنائمين ، وتعزية للحزاني ، ومجد للمزدرى بهم « أما أنت يارب فترس لى مجدى ورافع رأسي ، بصوتي الى الرب أصرخ فيجيئني من جبل قدسه » (مز ٣ : ٣ و ٤) فلا تخاف ولا تضطرب ، ولا بجزع قلبك ، لأن الرب الله قوتك وعننك وهو معك في كل سياحتك على الأرض . يساعدك في طريق غربتك . في أي مرحلة تجده جانبك معك . وفي أي مكان تراه منتظرًا قدومك . وفي آية بلية تجده جانبك يعزك ويعينك ويشدك . وفي كل نقطة تشاهد آثار مخلصك . فهو معك في كل شيء سواء كنت في ضيقة او في بليه او في غربة او في واد او في بحر او في نار . وفي كل شيء تجد يسوع هناك . أما سابقًا او منتظراً او مرافقاً لك في سيرك .

احتسب في يسوع كثير يلتجرء على وكره الأمين . ان الطير متى ارتفع إلى العلو يأمن شباك الصياديـن ، فخذ أنت جناحـي الرحمة الالـهـية ، والأذـرع القويـة ، تنـجـ من مخالـب الأعدـاء الذين يـكمـنـونـ لكـ فيـ الطـريقـ

« ارحمني يا الله ارحمني ، لأن بك احتمت نفسي ، وبطل جناحيك احتمي الى ان تعبر المصائب ، أصرخ الى الله العلي ، الى الله المحامي عنى ، ليمرسل من السماء ويخلصنى » (مز ٥٧ : ٣ - ١) .

لا تستطيع أن تجوز البحر وتعبره بدون سفينة ، فخذ سفينه الروح فهي تمكنت من أن تجوز معبور الضيق وتوصلك الى عيناء السلام والراحة الابدية . كن كثلف كلما فزع بكى والتبا الى حضن أمه ، فاطلب أنت في ازمنة الضيق والتجربة حضن الرحمة الأبوي . عندما ترى القوقة أحدا تخنق داخل صدفتها ، والقندقد يختنق داخل اشواكه فلا يقدر ان يمسه ، فكن أنت كذلك . عندما ترى العذر احتجب في يسوع فلا يقدر أن يهاجمك . أهرب الى الحصن فلا يتمكن من مقاتلتك . أسرع الى اللجاج فلا يستطيع الوصول اليك . ادخل الحظيرة فلا يفتك بك ذلك الذئب .

ان الذى له اجنحة الله لا يحتاج الى ستر آخر ولا الى قوة أخرى ، لأن الاطمئنان بالرب والحماية به أفضل من الاقفال والمداريس ، كثيرون من جباررة اسرائيل كانوا يحرسون سليمان وقت نومه ، ولكن هل أستراح أكثر من داود أبيه الذى كان يتذبذب الأرض فراشه والسماء شطاءه ، وكانت الأعداء تتبعه متغطشة لدمه . ما أحلى أن ينام الانسان فى حضن رب تحرسه حمايته ، ان نومه يكون حينئذ لذىدا ومريحا ولأن الاطمئنان بالرب أنعم وسادة ، والاحتماء فيه خير فراش وأدفأ غطاء .

« من الضيق دعت رب فلجانبني من الرحب ، رب لي فلا أخاف ، ماذا يصنع بي الانسان ، رب لي بين معيني ، وأنا سأرني بأشدائي ، الاحتماء بالرب خير من التوكل على انسان ، الاحتماء بالرب خير من التوكل على الرؤساء ، كل الأمم أحاطوا بي واكتفوني ، باسم رب أبيهم ، أحاطوا بي مثل النحل ، انطفأوا كنار الشوك . باسم رب أبيهم ، دحرتني دحوراً لأسقط ، أما رب فغضبني ، قوتى وترنمى الرب ، وقد صار لي خلاصا ، صوت ترنم وخلاص فى خيام الصديقين ، يمين رب صانعة بياس ، يمين رب مرتفعة ، يمين رب صانعة بياس ، لا أموت بل أحياء وأحدث باعمال رب ، تأدبياً أدبني رب والى الموت لم يسلمنى » (مز ١١٨ : ٥ - ١٨) .

الفصل التاسع والأربعون

استدعاء الرب للنجاة من التجارب

« جعلت الرب أمامي في كل حين ، لأنَّه عن يميني فلا أزعزع
لذلك فرح قلبي ، وابتهرت روحى ، جسدي أيضاً يسكن مطمئناً » (مز ١٦ : ٩ - ١٠)

« ولكنِّي دائمًا معك ، أمسكت بيدي اليمني ، برأيك تهديني وبعد إلى
مجد تأخذنى ، من لى في السماء ومعك لا أريد شيئاً في الأرض ، قد
فنى لحمي وقلبي ، صخرة قلبي ونصبى الله إلى الدهر ، لأنَّه هؤلاً البعداء
عنك يبيدون ، تهلك كل من يزني عنك ، أما أنا فالاقتراب إلى الله
حسن لى ، جعلت بالسيد الرب ملجائِي لأُخبر بكل صنائعك » (مز ٧٢ :
٢٨ - ٢٣)

« ولكنَّ الله معى كجبار قدير من أجل ذلك يعثر مضطهدى ولا
يقدرون ، خزواً جداً لأنهم لم ينجحوا خزيًا أبدية لا ينسى » ار ٢٠ : ١١
« قم يا رب . يا الله ارفع يدك . لا تنس المساكين . . . قد رأيت لأنك
تبصر المشقة والغم لتجازى بيتك ، اليك يسلم المسكين أمره ، أنت صررت
معين اليتيم » (مز ١٤ : ١٢ - ١٠)

« أمسك مجاناً وثريساً وانهض إلى معونتى ، واشرع رمحًا وصد تلقاء
مطاردى ، قل لنفسى خلاصك أنا . ليخز وليخجل الذين يطلبون نفسى ،
ليرتد إلى الوراء ويخرج المفكرون باساعته . . . أما نفسى فتفرح بالرب
وبتبتوجه بخلاصه ، جميع عظامى يقول يا رب من مثلك ، المنتذ المسكين
من هو أقوى منه ، والفقير الباس من سالبه » (مز ٣٥ : ٢ - ٤ و ١٠ - ٩)

« من الأعماق صرخت إليك يا رب ، يا رب اسمع صوتي ، لتكن اذناك
مصغيتين إلى صوت تضرعاتى » (مز ١٣٠ : ٢١ - ١٣)

« أرفع عيني إلى الجبال من حيث يأتي عوني ، معونتى من عند
الرب الصانع السموات والأرض ، لا يدع رجلك تزل ، لا ينفع حافظك ،
ولا ينام حافظ إسرائيل ، الرب حافظك ، الرب ظل لك عن يدك اليمنى ،
لا تضررك الشمس في النهار ولا القمر في الليل . الرب يحافظك من كل
شر . يحفظ نفسك . الرب يحفظ خروجك ودخولك من الآن والى الدهر »
(مز ١٢١ : ٨ - ١)

الفصل الخامسون

الاستهانة بضيقات الحياة لأجل المكروت

تشدد وتشجع ، ليتأيد قلبك بالرجاء الموضوع لك في السماء ، « لأن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيق أن يستعلن فيها » (ور ٨ : ١٨) « ان كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه » (ع ١٧) سوف تنتهي هذه الأحزان وتبتلع هاتيك الأوجاع وتلك الشدائـد . انه لقريب شروق شمس ذلك اليوم ، وطلوع فجر الحياة الأبدية . تقو أيها الحبيب وتشجع بالرجاء ولا يضعف عزمه ولا توهن المصائب قوله « انكم ستبكون وتنسخون والعالم ينحر ، أنتم تحزنون ولكن حزنكم يتحول الى فرح ، المرأة وهي تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح ، لأنه ولد انسان في العالم ، فأنتم كذلك عندكم الأن حزن ، ولكنني سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم » (يو ١٦ : ٢٠ - ٢٢) « لا تضطرب قلوبكم . أنتم تؤمنون بالله فامنوا بي » (يو ١٤ : ١) .

ان كل آلام الحياة الحاضرة لا توازي ذرة من بهاء المكروت بل عندما يشرق فجر ذلك اليوم السعيد يتبدد ليل هذه الحياة ولا نعود نذكر ما قاسيناه من التعب والضنك ، ليس هناك حزن ، ولا رجع ، ولا ألم ، ولا بكاء ، بل هناك كل ما هو مفرح وسعيد إلى الأبد . بنو إسرائيل لما خرجوا من أرض الضيق لم يعودوا يذكرون شيئاً من بلواهم واتعابهم ، بل أخذوا صنوجهم ودفوفهم ليرقصوا فرحين مسرورين . ان نظرة واحدة في بهاء وجه يسوع ربنا المتألق ضياء ومجدًا سوف تبده كل آلام الحياة ، بما ان كل الضيقـات والتجارب والأتعاب لا تساوى نظرة في ذلك الوجه الأنـيس الإبارك فتشدـد وتقـو بهذا الـوعـد . واصـبرـ قليـلاً . جـاهـدـ وانتـظرـ الـربـ . وـانـ تـبـتـ هـنـاـ يـسـيرـاـ ، فـسـوـفـ تـنـالـ هـنـاكـ مـجـداًـ أـبـديـاًـ لـاـ يـنـعـتـ ولاـ يـنـتهـيـ . انـ بـلـايـاـ هـذـهـ الـحـيـاـ لـاـ تـدـوـمـ الاـ زـمـانـاـ قـلـيلاـ ، وـسـتـكـونـ نـهـاـيـهـ لـهـذـهـ الشـرـورـ . سـتـأـتـيـ سـاعـةـ فـيـهاـ يـزـوـلـ الـأـنـيـنـ وـيـنـتـهـيـ كـلـ تـعبـ وـنـصـبـ وـيـتـبـدـدـ كـلـ شـيـءـ مـعـ الـزـمـانـ . تـأـمـلـ الـجـدـ الـمـعـدـ فـيـ أـفـرـاحـ السـمـاءـ ، وـاـسـتـهـانـ بـكـلـ آـلـامـ الـحـيـاـ الـحـاضـرـ وـفـضـلـ أـنـ تـتـحـمـلـ كـلـ ضـيـقـاتـ الـعـالـمـ حـبـاـ فـيـ ذـكـ الـبـهـاءـ . تـأـنـ وـأـصـبـرـ وـاحـتـمـلـ الـمـشـقـاتـ بـدـعـةـ وـسـكـرـنـ لـأـجـلـ يـسـوـعـ وـأـعـلـمـ أـنـ سـاعـةـ الـإـسـرـاحـةـ قـرـيبـةـ جـداـ » لـذـكـ لـاـ فـشـلـ بـلـ وـانـ كـانـ اـنـسانـاـ الـخـارـجـ

يغنى . فالداخل يتجدد يوماً فيوماً . لأن خفة شبقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر ثقل مجدًا أبدیاً . ونحن غير ناظرين الى الأشياء التي ترى . بل الى التي لا ترى . لأن التي ترى وقته . وأما التي لا ترى فابدية » (أكفر ٤ : ١٦ - ١٨) « أنتم الذين بقدرة الله محروسين بيمان لخلاص مستعد ان يعلن في الزمان الأخير . الذي به تبهجون . مع أنكم الآن ان كان يجب تحذذون يسيراً بتجارب متعددة . لكي تكون تزكية ايمانكم وهي اثمن من الذهب الفاني مع انه يمتحن بالنهار توجد للدح والكرامة . عند استعلان يسوع المسيح » (ابط ١ : ٥ - ٧) .

« أيها الأحباء لا تستغروا البلوى المحرقة التي بينكم حادثة لأجل امتحانكم كانه أصابكم أمر غريب . يل كما اشتربتم في آلام المسيح أفرحوا لكي تفرونوا في استعلان مجده أيضاً مبهجين . وان عبرتم باسم المسيح فطوبى لكم لأن روح المجد واه يحل عليكم » (ابط ٤ : ١٢ - ١٤) .

« طوبى للرجل الذي يتحمل التجربة . لأنه اذا تزكي ينال اكليل الحياة الذي وعد به رب الذين يحبونه » (يع ١٢: ١) .

« فاشترك أنت في احتمال المشقات كجندى صالح يسوع المسيح . ليس أحد وهو يتجرد يرتبك بأعمال الحياة لكي يرضى من جنده وأيضاً ان كان أحد يجاهد لا يكلل ان لم يجاهد قانونياً . يجب أن الحراث الذى يتعب يشترك هو أولاً في الشمار ... ان كان تحصير فسملك أيضاً معه » (٢٢: ٣ - ٦) .

« من سيفصلنا عن محبة المسيح . أشدة . أم ضيق . أم اضطهاد . أم جوع . أم عرى . أم خطر . أم سيف . كما هو مكتوب . اننا من أجلك نمات كل النهار . قد حسبنا مثل غنم للذبح . ولكنـا فى هذه كلها يعظام انتصارنا بالذى أحرانا . فانى متيقن من أنه لا موت ، ولا حياة ، ولا ملائكة ، ولا رؤساء ، ولا قوات ، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ، ولا علو ، ولا عمق ، ولا خلقة أخرى . تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى في المسيح يسوع ربنا » (رو ٨ : ٣٥ - ٣٩) .

الفصل الواحد والخمسون

الاحتشام والأدب وحسن السيرة

كن محششاً مهذباً أنيساً في جميع أفعالك وأقوالك وتصراتك ولا تدع شيئاً فيك يسبب غثرة لأحد . كن مثلاً كاملاً وقدوة صالحة في كل فضيلة وكمال . لأن هذا يفييك لبنيان الآخرين . ول يكن سيرك على الدوام أمام الجميع بتواضع ودعة وبشاشة ولطف ووقار ورقة وهيبة وسكون وهدوء وزانة وكمال . لأن ظواهر الإنسان الرصينة تدل في الغالب على جمال النفس كمال الأخلاق ، وتقوم مقام واعظ يظهر آداب الديانة المسيحية وقداسة سيرتها . كان الوثنى في الأجيال الأولى إذا قابل رفيقة الوثنى مثله ورأه محششاً وديعاً ، يبادره بالقول : هل قابلت مسيحياناً في الطريق ؟ لأن منظر المسيحيين وسيرتهم كانت تقطر دعة وخشوعاً وتسلل آداباً وكاماً ، وكانوا يطعون في غيرهم بصورة الوداعة والاحتشام بمجرد المقابلة ووقوع العين على العين ، فما بالك لا تتفقى آثارهم ، وتسير في طريق الكمال التي ساروا فيها ، أن معدن الجرس يعرف من ربئ صوته ، فاحذر لئلا تكون غريباً عن دعوية إسرائيل بسيرك وسلوكك .

ان قيمة المرء في هذه الحياة والحياة الأخرى ليست بما يدخله من الأموال ، ولا بما يملك من قوة ، ولا بما يحصل عليه من لقب الشرف . بل بما في نفسه من الصفات الحديدة والأخلاق الفاضلة ، كالتواضع والدعة والمرءة وعزّة النفس وطهارة القلب وسلامة الطوية .

لتكن صفاتك الظاهرة طبيعية فيك ، لا تتصنع شيئاً ، ولا تلبس ثوب الرياء لأن شوبي شفاف ، ومهما أخفى الإنسان قبائمه فلن تخفي على الكثرين ، بل تأبى الا الظهور ، على أنها ان خفيت على الناس فلا تخفي على الله ، ان ظواهرك تدل على ما في باطنك وأنه لينطبع على وجهك ، فما تكتنه من الخصال ان كانت صالة أو سيئة يقرؤها الجميع على محياك وفي عينيك وتظهر آثارها في هيئتك . من انتظام دقات الساعة يعرف إنقاذه . كذلك من انتظام سيرك الخارجي واحتشامك الظاهري تعلم انتقامتك ونقاء سريرتك ، وقد بين لنا الروح القدس على لسان الحكيم ظواهر ما يمكنه قلب الشرير بقوله « الرجل اللئيم يسعى باعوجاج الفهم ، يغمز بعينيه ، يقول برجليه ، يشير بأصابعه ، في قلبه أكاذيب . يختبر

الشر نى كل حين ، يزرع خصومات » (ام ٦ : ١٤ - ١٢) .

اعلم أن للقلب أبواباً تدخل المؤثرات منها إليه ، وهذه الأبواب هي الحواس الظاهرية ، ويدونها لا تعرف النفس من تلك المؤثرات شيئاً ، فكل ما تراه أو تسمعه أو تلمسه أو تذوقه أو تشمّه تشعر به نفسك حالاً ، وتكثر الحواس تأثيراً على النفس حاستا النظر والسمع فما شاهده بعينيك أو تسمعه بأذنيك يرتمس سريعاً داخل قلبك . إذا كانت المنظورات والسموعات حسنة كانت تلك الرسوم والأشكال التي تتطبع في النفس على قدرها ، وبعكس ذلك إذا كانت الحواس تنقل إلى قلبك مരئيات دنسة أو مسموعات رديئة يكون ما في قلبك صورة ما أوصلته إلى نفسك حواسك ، وكما أن الدار المفتوحة أبوابها على الدوام للخارج والداخل ، بلا انتظام ، يستحيل أن يكون شيء فيها في مأمن ، كذلك إذا كانت النفس بلا أفال تدخل إليها الأنكار الدنسة والصور القبيحة المنظر ويستعين عليها أن تجد هناك هدوءاً وسكينة وسلاماً ، بل تكون قلقة ومضطربة فحسن نفسك وأدراكك على حواسك أن تتقبل ما هو دنس ونجل وشريف .

كن محتشماً واحترم مقام كل إنسان ، اقتبس خصالاً محمودة حقيقة وأظهرها بطرق مستظرفة ومتواضعة ، اهرب من مجالس المهزوء والمذاخر غير اللائق .
كن أنيساً بشوشآً في معاشرتك ، ولا تتعزّز الكآبة وتقطب الوجه لثلا
تزعج الذين يعاشروك ، اقض أمورك كلها بهدوء وسكنٍ بعد فهم ،
وتذبّر دون غيّزاً وغضباً . اخجل راستيج دائماً من الشر في أفعالك
وأقولك ، احفظ ذهلك نقياً واطلب معاشرة الأقياء والجلوّن مع الصالحين .

الفصل الثاني والخمسون

التواضع

التواضع أجمل الفضائل وأشهارها وأجلها وأسماها ، والكثير ياء سبب الخطية وعلة السقوط وأصل الشرور . التواضع هو الدواء الذي به شفاؤنا ، أتريد أن تعرف التواضع ؟ أعرف من أنت ، وأبحث ذاتك لا شيء ولا تستحق شيئاً ، لأن كل شيء من الله فلما سلب حق الله بكربياً ، لأن كل ما عندك ولديك هو من واهب العطايا ، فإن كان فيك نور فهو ليس منك ، بل من مفيض الأنوار وموزع النعم .

التواضع أنس الفضائل ، وأساس المحبة ، وميناء الوداعة ، ورباط الكمال . هو مقاوم الغضب ، ومهذب الروح ، ومدخل السلام إلى النفس . هو أساس الطاعة ، وكمال الحكمة . طريق المسيحى . به تستثمر النفس ، ويستضىء العقل . هو كنز مملوء بالحكمة لا يسلب ولا يسرق ، وباب الأفضلة ، وفتح للراحة والنعمة ، وقفل للكمال ، ورباط الصلاح والسلام ، وحذف للمحبة ، وإناء مفعم بهدوء الضمير ، وينبوع لكل فضيلة .

تعلم التواضع فتصبو نفسك إلى الفضائل ، فإذا كنت متواضعاً تحيط جميع سنن الله ونوميسه بلا تعب ولا عناء ، ويكون إيمانك قوياً ورحاؤك ثابتاً . أعلم أنك لا تستحق شيئاً لذاتك ، وإنك من عدم وإلى عدم وحدثت ذلك رجاءك على الله الذي من قبله وباستحقاقه ثلت ما عندك . إن تواضعك يجعلك محبًا حقيقة لا خداع ولا ريبة ولا غش ولا مكر عندك لأن المحبة بالتواضع تجعلك تفرح لخير القريب ، وترى لنجاح الغير . المتعاصم لا يحسد من يحوز موهاب أو خيرات لا يملكها غيره ولا يذكر نفائس الغير أو يؤنب الآخرين على زلات قد يسقطون فيها ، بل يلتقي إلى زلات نفسه ونقائه ، فإن كنت متواضعاً تحب الآخرين من أعماق قلبك وتحترمهم وتكرمهم وتعاشرهم معاشرة جميلة ، بلا غضب ولا احتقار ، وتعيش في سلام ، لا يهمك أن كنت منسياً وغدرك قد طبقت شهرته الآفاق ، أو كان غدرك في أسمى الوظائف وأنت في أحقرها وأدنائها ، وتحتمل بصبر وطول أناة كل ما يصيبك من التجارب ، مقرراً بضعفك ، مستهيناً بذاتك ، عالماً أنك أهل لكل تجربة ، ومستحق حتى الفسب بالسياط . إذا كنت أشعـعاً تحتمل كل ذلك بصمت وسكون ، بلا ضجر ولا تذمر ، بل

تقول مع النبي « لكتنى أرافق الرب أصيبر لأله خلاصى ، يسمعنى الهى اذا جلست فى الظلمة فالرب نور لي ، احتمل غضب الرب لأنى اخطأت اليه » (مى ٧ : ٧ - ٩) ان كنت متواضعاً تعال السلام والراحة والهدوء والسكينة ، لأن الدعوة لا تقبل الخصام ، والتواضع ينفر ويهرب عند الشاجرة ، « الخصام انما يصير بالكثرياء » (ام ١٢ : ١٠) « وأما الودعاء فيرشون الأرض » (مت ٥ : ٥) .

لا تظن ان التواضع هو قول الانسان انى متواضع وحقير ، ولا تترهم انه فى ارتداء الملابس الحقيرة الرثة ، ومعاطاة الأعمال الوضيعة ، لأن لو كان ذلك هو التواضع لأمكن لكل انسان ان يكون متواضعاً ، ولا تحسين انك متواضع اذا كنت هادئاً الطبع منخفض الصوت مطرق الرأس ، ولكن تواضعك الحقيقى يعرف من قوة صبرك على الامانات لأجل الله ، ومن احتمال التجارب بصبر ، ومن خشوعك أمام رب ، وانسحاق روحك فى الداخل ، ومعرفتك حقاره ذاتك . حينئذ تكون متواضعاً حقاً . تأمل فى ذاتك ، ماذا كنت ؟ وماذا أنت الآن ؟ وماذا تكون فيما بعد ؟ لا تعلم أنك كنت عندما غير موجود ، وحين وجدت تكونت من مادة حقرة دنيئة ، وأنت الآن جسد حقير بال مفعم ببناثة ونفس مسكنة رازحة تحت أثقال لا حد لها . تأمل فى الأزهار والأشجار فأنها أجمل من جسدك ، أما تخرج الأشجار زيتها وأشماراً لذيدة شهية ورائحة عطرة ، أما جسدك فيفتح اقداراً وأوساخاً . تأمل نهاية حياتك الا يعود جسدك هذا الى تراب ورماد ، فعلام تفتخر وأنت تراب ؟ وبم تتعالى وتتکبر وأنت رماد . « ما هي حياتك ؟ إنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل » (يع ٤ : ١٤) انظر الى جسدك تجده كعشب يذبل ، وكزهر الحقل ييبس . انظر الى آمالك الدنيونة تتها هابطة الى القبر بغير رجاء ، ابحث عقلك تجده ضعيفاً غير قادر على ادراك الأمور كلها فهى لا تقع تحت حصر . فتش قلبك تجده فارغاً خالياً نجساً . التفت الى حواسك تجدها ضعيفة وكل ما فيه حquier ولا شيء فيه يستحق الكراهة . ما أنت في هذه الحياة الا كورقة تحركها الريح ، وكريشة في مهب الهواء ، تارة تؤلوك التجربة ، وحياناً يحزنك الضيق والسر . مرة يحررك الغضب ، وأخرى تأسرك الخطية . آونه ترفعك الكثرياء وتارة يزعجك الخوف وترهبك مصائب الدهر . طوراً تتبع اهواءك ، ما حياتك سوى سلسلة اتعاب وشقاء . فما اضعف الانسان وأوهى قوته وأشد ذله . انه عبد ضعيف نليل اسير لأمياله وعاداته . خاضع لأرادته وملائكته . ومع ذلك يتعالى ويقطن انه شيء . « تواضع قدام الرب فيرفعك » (يع ٤ : ١٠) « لأن الله يقاوم المستكبرين . وأما المتواضعون فيعطيهم نعمته » (ام ١٢ : ١٨) « الله ينظر الى المسكين والمسحوق الروح » (اش

٦٦ : ٢) « هكذا قال العلي المرتفع سـاكن الأبد القدس اسمه .
في الموضع المرتفع المقدس اسكن . و مع المنسحق والمتواضع الروح . لأحبي
روح المتواضعين ولأحبي قلب المنسحق » (اش ٥٧ : ٥) .

ان المتواضع مع احتقاره لنفسه واستهانه واستهانة ذاته . يمجده ربه ،
ومع انه يهرب من التعالي ويضيع ذاته ، فالله يرفعه . انه يهرب من المجد ،
والمجد يتبعه ، لأن الرب يكرم الذين يكرمنه . التواضع كالمسك كلما أخفى
وحفظ ، عبق رائحته وانتشرت . قالت السيدة العذراء « تعظم نفسى الرب
وتبتهر روحى بالله مخلصى ، لأنه نظر الى اتضاع أمته ، فهوذا منذ ان
جميع الأجيال تطوبنى » (لو ١ : ٤٦ - ٤٨) .

التواضع رفع حنة ، وملك داود على كرسى اسرائيل ، وجعل استير
زوجة للملك أحشويروش ، وبه ارتفع يعقوب على أخيه عيسى ، وبه يصعد
ويرتeti القديسون .

الفصل الثالث والخمسون

نصائح للتواضع

لا تظهر لأحد ما تعلمه من الخير ابتعاء المجد من العالم ، ولا تعمل عملاً أو تتكلم كلاماً طلباً ل مدح الناس ، لئلا تستمع السيد يقول لك « الحق أقول لك إنك قد استوفيت أجدرك » بل أهرب من كل ما يسبب لك الكبراء . كن محبًا للتواضع ، وافرح متى حصل ما يضعف من تسامحك ، ولا تشته أن يمدحك أحد . ان مدحت على شيء أتيته فأجعل المديح وسيلة لازدياد تواضعك ، وافرح بالشكر لغيرك ، لا تمل الى الحسد بل تعلم الغيرة المقدسة والنشاط . لا تكون بغيفتك رضي الناس ، يا ليك رضوان الله أمام عينيك لتحوز رضي الله والناس ، وجه عزيزتك في كل اعمالك أولاً لمجد الله ، ولا تدع قلبك يفتخرا بأعمالك ، بل ليتعظم رب وحده في نفسك وقل « لأن منك الجميع ومن يدك أعطيناك ... إنما هي من يدك ولد الكل » (١٦١ : ٢٩) .

اطرد من قلبك الميل الى الزهو والكبر والمجد الفارغ ، ولا تمتفع لأجل خير القريب ومحبته من أن تقدم للغير خدمه مستحقرة وأفهم جيداً أن كل ما تملكه على الأرض ليس هو منك ، بل كل ما عندك من خير أو عطية صالحة هو من لدن أبي الأنوار . ليكن قلبك متواضعًا وديعاً ، ولا تقابل الشتيمة والشر الا بالوداعة ودماثة الأخلاق . تخلاص من ضرر الغير لك بالهروب او بالصبر او بالحلم او باللفاظ عنبة . كن حليماً وديعاً لكل الناس ولتكن دعاتك خالية من الضعف . سر مع اخوتك ورفاقك وجميع معاشريك بالمحبة وعاملهم بالوداعة والتواضع . كن خادماً لهم وكاملهم بلطف وحادthem ب بشاشة واحترمهم من كل قلبك وقدمهم في الكرامة . كن مثالاً لهم في الدعة والتواضع وأقبل من يد العناية الإلهية كل ما يحل بك بصير جميل عالماً إن الله هكذا أراد .

التواضع أفضل من العلم . رجل فقير قليل المعرفة ومتواضع أفضل بكثير من فيلسوف غني متكبر فاجتهد كى تكون عيشتك صالحة أفضل من ازيدية معارفك بدون فضلة وأعلم أن الفضيلة أرفع مقاماً وأبهى رونقاً من العلم . لا يرتفع قلبك ولا تستعمل لا تعظام فإن المتكبر ممقوت من الله والناس . لا تفتخر بعلم ولا تتباء بصناعة بل الأخرى بك أن تتعلم التواضع . أعلم أنك لم تقل شيئاً بقوتك وإنما أعطاك الله . إنك متى

زهمت انك حاصل على مقدار وافر من الفطنة والمعرفة فانتظر انه تنقصك امسور كثيرة لا تعلمها ، واذا امتنلا عقلك بالعلوم والمعارف فتتأكد انك لا تزال على شاطيء بحر العلوم الواسع تجمع اصدافها . اعترف بجهلك وقصورك ولا تظن بنفسك شيئا ، احسن ظنك بالآخرين لأن معرفتك ذاتك وحسن ذللك بغيرك حكمة باللغة وفصيلة سامية . اذا رأيت انسانا وقع في زلة فلا تؤاخذه سريعا بل اطلب له النــوض من عشرته لأنك لا تعلم ماذا يصادفك او يلم بك . اذا شاهدت آخر سقط في جرم كبير فلا تتوهمن انك افضل منه لأنك لا تعلم هل تثبت على الخير او تقع في التجارت نكنا ضعفاء ومتقرون لعونه الرب لتحفظنا من فخاخ الاستعلاء والكبرباء . ان رأيت في نفسك نقية او امراً يحتاج الى الاصلاح فلا تمنعك الكبرباء من اصلاحه ، ولا تدع فرصة للاستعلاء ليزيد فساد ما ت يريد تقويمه .

اقبل نصيحة الآخرين بكل شكر واجعله وسيلة لاصلاح ذاتك ، وان نصحت انسانا فليكن بمحبة وتواضع ووداعة ، كن قدوة للجميع كى تعلن ان المسيحية قد جعلتك وديعا شفوفاً ذا اخلاق هادئة وحياة سعيدة .

كن متواضعا مع الكبير والصغير ، وديعا امام الجميع تصر محبوبيا من الله والناس . لا تعجب بنفسك اذا حزت امراً حسنا ، بل مجد الله الذى وهبك تلك العطية وانعم عليك بهذه النعمة ، لا تفتخر بجمال وجهك ولا بقوه شبابك ، لأن الشباب والجمال زائلان ، وبمرض يسيطر تذهب نظارة الوجه وتضعف قوه الانسان . لا تفتخر باموالك ان كانت وافرة فقد يلحقها الصدأ ويسرقها السارقون . لا تتباه باقاربك واصدقائك لأنهم اشراف وأقوياء ، لا تتكلم عن مفاخر اسرتك . بل ليكن مجال فخرك انك تعرف الرب الذى انت كل شيء لتقيه . لا تحسين نفسك افضل من غيرك لئلا تحتقر فى اعين الجميع . فالله يمقتك والناس تتفرق من حولك وتشتمز منك . بل عد ذاتك اذل من الجميع . ان كان لديك شيء حسن فاعتقد بان عند غيرك احسن منه . لن يدرك اذا اتضعت نفسك لكل انسان . ولكن يدرك اذا ارتفعت عالي بعض الناس . لا تحب الظهور عند العظام والكبار وكأن جذلا مسروراً بمعشرة المتواضعين والسدج . ابتعد عن الرباء بعدك عن الافعي . اطرد من قلبك النفاق . ول يكن ظاهرك كداخلك . ولا تستمع لنفسك ان تعرف الخداع والغش ولا تحتقر احدا من الناس او تهنه او تستهزء به . لا صغيراً لصغره . ولا فقيراً لفقره . لئلا تعتبر معيلا لخالقه . بل راع شرف الجميع وشعورهم على السواء . اذا رأيت عاجزا في الطريق فقده الى حيث يشاء ولا تستنكف ذلك . لا تستعن من خدمة صغيرة تفرضها عليك

الفضيلة والانسانية بدعوى انها حقيرة ودنيئة ، بل كن مثلاً للجميع في خدمة غيرك عالماً ان سيدك ما جاء ليخدم بل ليخدم (مت ٢٠ : ٢٨) .

زر المحبوبين . افتقد المرضى . أضف الغرباء واس الفقراء . ساعده بالاعفاء . عز قلوب الحزانى . اجبر صدع المنكسرین . أغث لهفة المتضايقين والمنكوبين . تأن وأرفق بحال المساكين ، اطلب السماح ممن اسأته . بارك من يضطهدك وأحب الذين يسيئون إليك . ان احتررك الناس وعيروك على هذه الخصال المقدسة . فاقرر وسر لأن أجرك تضاعف زان تحققت جزيل الثمن في السموات .

الفصل الرابع والخمسون

شر الكبُر

الكبر أساس الشر ، هو متولد من القلب المتعسّاظم . مبعد عن الله ، سائق إلى الهلاك . محبط لاعبادة . مغر على الرذائل ، حائل دون الفحائل . الكبر سُمّ دفين وطاغون خفي والله الحميد والغدر والخيانة ، لص سارق مجد الله وهو من اختراع الشيطان محقر لدى الله والناس . يجعل الإنسان يفتش عن نفائص الآخرين وما هو الا علامة فساد القلب ودليل على جدب الروح وحرمانها من النعمة . فما أشنع هذه الرذيلة ، وما أقبح صورتها . إنها وحش كاسر مفترس مبيد لسائر الفضائل ونار محقة للجزاء ومجففة لماء النعمة .

أما اسقط الكبر ملائكة كانوا كــواكب الصبح يتربّدون ، أما أنزل الترقى والاستعلاء مقام آدم وسلبه الذمة حين أطاع العدو طمعاً في الألوهية . أما أحط أقواماً ودك ممالك وقوض عروشاً . لم تمرّ أن كثيرين بعد أن كانوا متسامين في الفضيلة أصبحوا كالخفاش الذي لا يرى ضوء النهار وشمس الظهيرة ، وقد اسقطهم التسامي من مرتبتهم السامية وحطّمهم من مقامهم الرفيع فاضمحلوا وفنوا وباد ذكرهم . انه لص يسرق وينهب ويسدّ ويختلس ما لله وينسبه لنفسه المحتقرة الدينية . فالمتكبر يريد أن يشارك الله في مجده ، في妄من تحبون الكبriاء والسؤدد والمجد لتصيروا مثل الله انظروا إلى يسوع تروا أنه كان رجل أرجاع ومختبر الأحزان . ولد في مذود البقر ، وعاش عيشة الفقر والذل بحياة مملوقة تواعضاً ووداعاً كي يحطم كبرياءكم ويذكر شمامختكم .

لا تعتمد بذاتك في شيء من الأشياء ، لأن بطرس الرسول ما كان ليسقط لو لم يعتد بذاته عندما قال ، وان شرك فيك الجميع أنا لا أشك أبداً « (مت ٢٦ : ٣٣) » قلت في طمأنينة لا أتززع . حجبت وجهك فصرت مرتاعاً « (مز ٣٠ : ٧٦ و ٧٦) » لا تنسب لنفسك شيئاً ولو حصلت على كل الموهب المادية والروحية وتسمّيت إلى أقصى درجات الفضيلة ، أو أعطيت موهب الروح القدس السامية ، كاقامة الموتى ، وإخراج الشياطين ، وشفاء المرض ، لأنك لم تهب نفسك هذه الموهب ، احذر أن يرتفع قلبك وتأخذك الكبراء فتسقط وتكون فضائلك سبباً لسقوطك ، وقيامك واسطة لكسرك .

علم فتخر أليها الانسان وليس لك في ذاتك شيء ، بل كل ما لديك هو من الله ، فهل تفتخر أنت على الله « هل تفتخر الفاس على القاطع بها ٠ أو يتكبر المشار على مردده ، لأن القبيح يحرك رافعه لأن العصا ترفع من ليس هو عوداً » (اش ١٥ : ١٠) ما أنت إلا كعوب لا يتحرك وحده ، إنما أنت في يد الله يحركك كيف شاء ومتى شاء ، وبقدر ما يشاء الـم يختـر الله الذين بـشـروا باسمـه من عـامـة النـاسـ وـادـنـيـاءـ العـالـمـ ؟ نـسـعـ اـخـتـارـ اللهـ جـهـالـ العـالـمـ لـيـخـزـىـ الـحـكـماءـ ، وـاخـتـارـ اللهـ ضـعـفـاءـ العـالـمـ لـيـخـزـىـ الـأـقـرـاءـ ، وـاخـتـارـ اللهـ أـدـنـيـاءـ العـالـمـ وـالـمـذـرـىـ وـغـيـرـ الـمـوـجـودـ لـيـبـطـلـ الـمـجـودـ ، لـكـيـ لـاـ يـقـتـرـ كلـ جـسـدـ أـمـامـهـ » (أـكـوـ ١ : ٢٧ - ٢٩) ٠

« ان ظن أحد أنه شيء وهو ليس شيئاً فإنه يعيش نفسه » (غل ٦: ٣) ٠
« ان كان أحد يظن أنه يعرف شيئاً فإنه لم يعرف شيئاً بعد كما يجب أن يعرف ، ولكن ان كان أحد يحب الله فهذا معروف عنده » (أـكـوـ ٨ : ٤ و ٣) ٠

، ولكن لنا ثقة مثل هذه بالسيح لدى الله ، ليس أنفسنا كفأة من أنفسنا أن نفكـرـ شيئاـ كـانـهـ مـنـ أـنـفـسـنـاـ بلـ كـفـائـتـنـاـ مـنـ اللهـ » (أـكـوـ ٣ : ٤ و ٥) ٠

الفصل الخامس والخمسون

المجد الباطل

المجد الباطل شر خفى ورياء مستور وطاغون مبيد ودود يفسد
الأعمال الصالحة وغرور كاذب يمثلنا بغير ما نحن عليه ، ويغيل لنا
فضائل ومواهب ليست فينا ولا نعرفها ، ويغفى عنا ما نحن عليه من
الضعف . انه لص سارق يختلس كل امتعتنا ، ويسلبنا كل ثمار جهودنا .
فاذره أيها الحبيب ، لأنه دليل الترفع وأثر من آثار الكبريا . احترس
لذاته لئلا تكون سالكا السلوك الحسن في فضائلك ويسرقها منك المجد
الباطل ، فتفرق وانت في الميناء وتذهب وانت في محل الامن ، والا كنت
كأنسان ملا سفينته ببعض ائمه ثمينة ، وترك فيها ثقبا صغيرا دخل منه الماء
فأنغرتها . حين يمدحك أحد على فضيلة ذيك ، فاذكر أن خطايا ونفائس حدة
لا تزال متغيبة عليك ، حينئذ تجد نفسك غير مستحق لذلك المديح . اعلم أن
الفضيلة لا تحتاج الى مجد الناس ، لأن هذا المجد الباطل عدو للحق ،
وغير ضر الكذب ، وحليف للرياء والتفاق ، لأنه يحب للانسان التقدم في
صدر المجالس . وهو وحش كثير الآنيات ، أو آناء متقوب لا يحفظ ما
يوصع فيه من الفضيلة ، وأعمال صاحبه كدخان يتبدد ويضمحل في الهواء
فاحترس من المجد الفارغ لأنه عدو ماكر ولص سارق يختلس منك ما
اكتتبته من الفضائل ، ويلاج نفسك بخفة ويقضى هناك وطره دون أن تحس به .

قال القديس غريغوريوس « المجد الفارغ لص مخفي متذكر يرافق
المسافر كأنه مثله عابر سبيل ، وبعد ذلك يختلسه ويقتله حينما يكون
أقل حرصا على ذاته ويظنه أنه في سلامته » . وقال عنه القديس
باسليوس « انه يختطف الكنوز الروحية بحلوة ، وهو عدو أنفسنا بلذة » .

إذا زينك الله بفضائل سامية لا تتلفها ولا تفقدها بالمجده الباطل ، هل
بعد ما تعبت وكابدت العنااء الشديد تصير نفسك بهذه الرذيلة خاسرا ولا
تملك شيئا . عالج هذا الداء بأن تفعل كل شيء لمجد الله ، وليكن قصدك رضا
الله عن عملك ، لا تكن كذبوخذنصر ذلك الذي افتخر وقال « أليست هذه بابل
العظيمة التي بنيتها بقروة باسى » (دا ٤ : ٣٠) بل كن كشمدون الذى
قتل الأسد ولم يخبر أباه وأمه (قض ١٤ : ٦) ان سمعت مدحا من

أحد أعط الرب مجد اسمه الذي يليق له وحده . قالت حنة أم حموئيل
« لا تكثروا الكلام العالى المستعلى ، ويتبرج وفاححة من أفواهكم . لأن
الرب الله علیم وبه توزن الأعمال .. يقيم السكين من التراب ، يرفع
الذى من المزبلة للجلوس مع الشرفاء ويملكهم كرسى المجد » (۱ ص ۲ :
و ۳) .

أتريد دواء ناجعاً يشفيك ويحفظك من المجد الباطل ؟ وجه نيتك في
كل ما تعمله لجد الله الأقدس . فبقدر ما تصفو نيتك تكون أعمالك أكثر
استحقاقاً للثواب لدى الرب « سراج الجسد هو العين فان كانت عينك بسيطة
فجسديك كله يكون نيراً وإن كانت عينك شريرة فجسديك كله يكون مظلماً »
(مت ۶ : ۲۲ و ۲۳) فالعين هي النية « فان كل الأصل مقدساً فكنزك
الأغصمان » (رو ۱۱ : ۱۶) وإن فسست أصول الشجرة لا تنبت سوى الحطب
القابل للحريق .

« الله وحده الكرامة والمجد » (تى ۱ : ۱۷) « ومجده لا يعطيه
لآخر » (اش ۴۲ : ۸) فمن أراد المجد في العالم فهو شيطان يسلب
حقيقة الله . « ليس لنا يارب ليس لنا . لكن لاسمك أعط مجدًا » (مز
۱۱ : ۱) « ان كنتم تأكلون او تشربون او تتعلون شيئاً فافعلوا كل شيء
لجد الله » (اكو ۱۰ : ۳۱) « ان كان يتكلم أحد فكافروال الله ، وإن
كان يخدم أحد فكأنه من قوة يمنحها الله لكي يتمجد الله في كل شيء
بيسوع المسيح الذي له المجد والسلطان الى أبد الآبدين آمين » (ابط ۴ :
۱۱) فإذا قرأت ، أو علمت الناس ، أو أنتزرت بكلام الله ، أو خدمت
الآخرين ، أو سعيت في الخير ، فاعمل كل شيء لمجده تعالى « خادمين بنية
صالحة كما للرب ليس للناس » (اف ۶ : ۷) .

الفصل السادس والخمسون

عدم مدح الإنسان ذاته

قال الحكيم « لمدحك الغريب لافمك : الأجنبي لا شفتك » (أم ٢٧ : ٢) وقال « طلب الناس مجد أنفسهم ثقيل » (أم ٢٥ : ٢٧) ان من يتفاخر بأعماله الصالحة ويتمدح بها ، غير ذاكر نفائسه ، يشبه من يخرج دمه الجيد ، ويفي لنفسه الدم الفاسد . فيا من تمدح ذاتك ! التعطى المجد لنفسك ، أنتن أنتك باظهار أعمالك تزايد محبة الناس لك ! لعمري انهم يستخفون بك ويحقرونك ، لأنك مجد ذاتك ، وان كانوا يعدونك عاقلا رزينا يحسبونك خفيفا طائشا . فاختف فضائلك واستر كل أعمالك الخيرية ، ولا تدع لسانك يذكر منقبة واحدة تمتاز بها عن غيرك ، ولا تكون مفتخرأ على الله والناس على مثال ذلك الفريسي الذى وقف أمام الله وقال « اللهم أنا أشكرك انى لست مثل باقى الناس الخاطفين الطالبين الزناة ولا مثل هذا العشار ، أصوم مرتين فى الأسبوع وأعشر كل ما أقتنيه » . فانه لم يحصل على آية فائدة ، ولكن العشار تبرر بتواضعه أمام الله « وذهب الى بيته مبررا دون ذاك ، لأن كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع » لو ١٨ : ١١ - ١٤ .

قال الحكيم « أكثر الناس ينادون كل واحد بصلاحه ، أما الرجل الأمين فمن يجده ... من يقول انى زكيت قلبي تطهرت من خططي (أم ٢٠ : ٨) .

قال المخلص « متى دعيت من أحد الى عرس فلا تتكلء في المتكأ الأول ، لعل أكرم منك يكون قد دعى منه ، ف يأتي الذى دعاك وأياه يقرئ لك اعط مكانا لهذا ، فحينئذ تبدئ تأخذ الموضع الأخير ، بل متى دعيت فاذهب واتكل في الموضع الأخير ، حتى اذا جاء الذى دعاك يقول لك يا صديق ارتفع الى فوق ، حينئذ يكون لك مجد أمام المتكئين معك ، لأن كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع » (لو ١٤ : ١١-٨) .

قال الحكيم « لا تتفاخر أمام الملك ، ولا تقف في مكان العظماء ، إنه خير أن يقال لك ارتفع الى هنا ، من أن تحط في حضرة الرئيس الذى رأته عيناك » (أم ٢٥ : ٦٧) .
كبرياء الإنسان تتضعه ، والوضيع الروح ينال مجدًا » (أم ٢٩ : ٢٣) .

عدم الفاخر بشرف الجنس

لا تفخر بشرف أصلك ونسبك ، فماذا يفيدك الأصل العالى والنسب الشريف ، وماذا تنفعك الدرجات العالية والمناصب السامية إن كنت فى ذاتك غير فاضل . لتكن الفضيلة وحدها هي الشرف الحقيقى الذى تنسب اليه ، أتريد ياهدا أن تعرف شرف أصلك ، افتح القبور فتشاهد هناك عظاماً نخرا ورمماً بالية ، فهل هذه هي ما تفخر بها ؟ قال أىوب « قلت للقبر أنت أبي ، وللدود أنت أمى وأختى » (أى ١٧ : ١٤) انه لخير لك أن تكون تقىاً فاضلاً وأنت ابن انسان فقير وحفييد شخص لا في العير ولا في التغير ، من أن تكون من أبناء الكرام وأفاضلهم وأنت شقى تعيس ، خال من الصلاح والأدب . ان كانت أسرتك شريفة كريمة الحسب والنسب وأنت رئيسي الخصال سيء السيرة فقد دنست شرف أصلك . انه لأحسن منك من يكون فاضلاً وينشئ شرفاً له ولعائلته وهو ليس بشريف الأصل او كريم الجدوى ، لأن من ينشئ الشرف أفضل من يضيعه ، أية فائدة تفيدك من شرف أصلك وكرم محتلك وأنت لست من ذلك الشرف فى شيء . ان افتخارك بشريف أصلك يدل على أنك حقير فقير ترى أن تأخذ ما لغيرك وتستغنى بل ، وأنك شقى عريان تفترض حلة الآخرين لتزين بها نفسك . فهيهات أن تفيدك هذه الأمور المستعارة التي لا تملك منها شيئاً ، وما مثلك في هذه الحال الا كمن يشهر فضائل غيره ويعلن للناس عيوبه . ان الذي يشرفك هو ملاحك لا نسبك ، وعملك لا حسبك .

قال المخلص لليهود الذين كانوا يفتخرون بانتسابهم الى ابرهيم « لو كنتم أولاد ابرهيم لكنتم تعملون أعمال ابرهيم » (يو ٨ : ٢٩) فإن كنت يا هذا تحب الانساب الى شرف أصلك وتريد حفظ اسم عائلتك ، فسر كما سارت وأسلك كما سلكت .

ان داود كان من أصل حquier ، ولكنه بقواته وتمسكه بالفضيلة قد شيد لهم صروح مجد ، وأسس لهم شرفاً سامياً . ولكن ماذا فعل آخاب الملك الشيرير الذى كان ملكاً ومن نسل ملوك ؟ مازا يفيد جريان الماء نى قناة خالية من الأوساخ وهو متذكر ممتلىء بالأوحال . قال حزقيال

النبي يوبخ أورشليم « أبوك أموري وأمك حثية » (حز ١٦ : ٢) قال ذلك
لَا لأنهم من نسلهم ، ولكن لَا تباعهم شهواتهم .

لَا تفتخرون بأنك شريف الأصل . ثم تحقر غيرك لأنك وضيع ومن
عائلة حقيرة . السينا كلنا من أب واحد ، فأن كان شريفاً فكلنا أشراف .
وان كان حقيراً فنحن منحدرو نمن صلبته . حسينا شرفاً وأعتبرنا مجدنا إننا
أولاد الله الملك السماوي ندعوه بدالة المحبة « أبانا » ليس أباً لواحد مننا
ولكنه أب لجميعنا . وأما إن كنت شريف الأصل فلا تسمع إلا . « أنت من
أب هو أبليس وشهوات أبليس تريدون أن تعملوا » (يو ٨ : ٤٤) .

إن انتساب الإنسان إلى والدين وضياعين لا يحسب عاراً ولا يعد
احتقاراً ، لأن الإنسان لم يختر لنفسه هذا الحسب ، فلا تحقر من كان
كذلك بل أحترمه واحتبسه كنفسك مادام فاضلاً تقىاً ، وأعلم أنه لو كنت
ملكًا أو أميرًا أو متسليطاً أو غنياً فاذكَ انسان ، وذاك أيضًا مهما كان
حقيراً فهو أيضًا انسان مثلك ، ولم تزد أنت عليه شيئاً إلا باعراض
فانية وصور وهيبة .

اختار الله شاول الملك من أصغر القبائل وملكه على إسرائيل ،
وانتصب الرب يفتاح المطرود من أخيته المولود من امرأة زانية لقيادة بني
إسرائيل لإنقاذهم من يد العمونيين (قض ١١) . والمخلص لم ينتخب
رسله من الأمراء والاشراف بل من الصيادين والجهلاء والمزدرى بهم ليخزى
الآغذاء والحكماء .

الفصل الثامن والخمسون

عدم التباهی بالقوّة والشدة

قال رب « أبطل تعظيم المتكبرين وأضع تجبر العتاة » (أش ١٢ : ٦) لا تنتخر ولا تتباه ولا تتجبر بقوتك وبأسك مهما كانت قوتك . فإنَّ ربَّ يسُّنَ المتكبرين ، ويُضِعُ العتاة ، فجليلات الجبار المتباهی بشدة قوته ، قتلها داود وهو أعزل بقدرة رب ، وقطع رأسه بسيفه .

قال المرتل « لَنْ يخلصَ الْمَلِكُ بِكَثْرَةِ الْجَيْشِ ، الْجَبَارُ لَا ينقذُ بِعَظَمِ الْقُوَّةِ ، بَاطِلٌ هُوَ الْفَرْسُ لِأَجْلِ الْخَلَاصِ وَبِشَدَّةِ قُوَّتِهِ لَا ينجي » (مز ٣٢ : ٦ و ١٧) .

وقال « لأنى على قوسى لا أتكل وسيفى لا يخلصنى » (مز ٤٤ : ٦) قال الحكيم « ان الحكمة خير من القوة والحكيم أفضل من الجبار » (حكمة ٦ : ١) .

ان القوّة الصحيحة والشجاعة الحقيقية هي شهامة النفس وقوتها هي الا تخاف الا من الشر ، وأن تصرير على التجارب والاتّهام . هذه هي القوّة التي ليس بعدها قوّة ، ان قوّة الجسد قد منحها الله للبهائم . فليس لك فخر مهما حصلت منها . أما قوّة النفس ففيها شرف نفسك ، كيف تدعى القوّة والشهامة وأنت ترغى وتزدد عند سماع كامنة صغيرة تقال فيك . فإن كنت صبوراً لدى المحن والنوائب ، فلا تنزعج لنزول أدنى تجربة بك وأاحسفي عن أساء إليك فأنت القوى الحقّى ، أما أن اضطربت من أقل شيء وخرجت عن طورك لأقل شيء ، وأرقت لأقل شيء . فأنت جبان وضعيف وخائن العزم والقوّة ، وكفاك ضعفاً أن تفهرك آلامك وتملّك شهواتك .

أين قوتك وشهادتك . والى أى درجة تنتهي صولتك وجبروتك وبطشك اذا كانت لذة دنسة تفهرك ، ان كنت بطلاً شجاعاً وبطلاً مغواراً ، فاقهر سلطنة القبر وشوكة الموت قبل أن يقهرك الأداء ، أيها الانسان المغرور بقوتك المتباهی بباسك . اعلم أن ذلك كله باطل في جانب قوّة النفس وشهامة القلب .

فمن قاوم الخطية فهو عظيم القوّة ، ومن قمع الجسد بسلاح القناعة فذاك هو القوى البطش ، ومن قتل الأفكار الشريرة والظنون الرديئة . فهذا هو الفاتح الظافر الذي يستحق أن يتوج بأكليل الغلبة .

الفصل التاسع والخمسون

بطلان جمال الجسد

قال الحكيم « الحسن غش والجمال باطل » (ام ٢١ : ٣٠)

ان من جملة الأمور التي تمجد الخالق في مصنوعاته الحسن والجمال ، غير أن كثيرين يخدعون ويجهلون الجمال ويفخرون به وينقادون له ، بدل اعطاء المجد لله عليه ، لعمري أن جمال شعر أبيشالوم وحسن حمار له آلة لموته (١٨ حم ٢٤) .

ان الأطفال الصغار حين يشاهدون صورة جميلة ، أو نقشاً في كتاب أو على حائط ، تأخذهم الدهشة ويطبلون النظر اليه فرحين ، فلا تكن طفلاً صغيراً حين تشاهد الجمال البديع ولا تقف مبهوتاً منهشاً ، بل اقرأ التعليم الصالح والأداب المقدسة في ذلك الجمال ، ففيه تراها مسطورة تشير إلى عظمة الخالق وجماله الفائق . اعلم أن كل ما تراه من جمال الخلية إنما هو نقطة من بحر جمال الخالق الذي لا يدرك .

لا تنظر إلى جمال الجسد ، ولكن تأمل جمال النفس الداخلية ، وأفصل بين الروح وجمال الجسد ، فلن تجد في الجسم سوى حيفة يأكلها الدود ، ثم رائحة كريهة تتبثع منها . لا تلتفت إلى الخارج ولكن انظر إلى ذلك الحسن الكائن في الباطن ، لا يبهرك الجمال الخارجي فإنه باطل ، يغيره الزمان ويتلفه المرض ويبده الموت ، أترى ذلك الجسم التضير وذلك القوام اليابس الذي لا يزال في ابان شبابه كزهر الربيع الأخضر ، سوف يأتي عليه يوم يكون طعاماً للدود والحشرات الدينية . انظر إلى تلك الطلعة البهية وذاك الوجه الصبور سيتحول إلى جثة صفراء خرساء . هل تشاهد تلك الأعين الجذابة ، سوف تغور وتتحول إلى تراب ، لعمري ان الجمال يخدع الانسان بلا صوت ولا كلام ، فاحذر أن تطيل نظرك اليه وضع حارساً لعينيك . كل جسد عشب وكل جماله كزهر الحقل . يبس العشب ذيل الزهر لأن نفحة الرب هبت عليه » (اش ٤٠ : ٦٧) .

زهرة الشباب لابد أن تجف عند الشيخوخة ، وليس الجمال الحقيقي هو الذي يفنى ولا يدوم ، بل هو ذلك الذي لا يغيره سقم ولا يعتوره ذبول ولا يتأقه موت ، وهل ترى ذلك الا في النفس الخالدة المخلوقة على صورة

الله ، فلما جمال لنفسك وأي بهاء تشمل عليه ذاتك ! لو كانت النفس ممنظورة وتطلع إلى جمالها الفائق لهزات بكل جمال الخليقة . ها انت قرئ المخلوقات والكائنات البدعة ولكن ليس شيء منها خلق على صورة الله ، وأما النفس فهي وحدها التي تجملت بذلك الجمال الفائق الذي يبهر العقول ويفتن الألباب .

ان شئت الجمال الحقيقي فجمل نفسك بالفضيلة والأداب الحسنة ولا تشوهد بها بالرؤيا والأخلاق الرديئة ، ربما شاهد انساناً جميلاً ذات طلعة بهية أنيقة ، ولكن نفسه غارقة في الأذناس ومشوهة في الداخل بالخطية ومسودة من كثرة الأثم ، وقد ترى غيره قبيح المنظر ، مشوه الجسد ولكن نفسه مزينة ومجملة بالفضيلة ، مستنيرة بالنعمة ، متحلية بالأداب المقدسة ، فلا تنظر إلى الخارج بل التفت وتأمل دائماً في الباطن .

الفصل السادسون

عدم التأثر الزائد بالملابس الفاخرة

ان القصد من الملابس هو ان يستر الانسان بها جسمه وأن تحميه من زمهرير الشتاء وحرارة القِيظ فلا تقصد بها الى غير ذلك ولا تهتم بالزينة الخارجية، لامك مهما تزيينت بابهى الحال فلا يمكنك أن تظهر بهيا أكثر من زنابق الحفل، **ذلك** **التي** سليمان في كل مجده لم يلبس كواحدة منها (مت ٦ : ٢٩) .

قال بولس الرسول « فأن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما » (أتى ٦ : ٨)
قال بطرس الرسول عن زينة النساء « ولا تكن زينتكن الزينة الخارجية من خضر الشعر والتخلى بالذهب ولبس الثياب ، بل انسان القلب الخفى فى العديمة الفساد ، زينة الروح الوديع الهادىء ، الذى هو قدم الله كثير الش恩 » (بط ٣ : ٤ و ٥) .

وقال بولس الرسول « ان النساء يزينن ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل ، لا بصفائر او ذهب او لآلئ او ملابس كثيرة الشمن ، بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحة » (أتى ١ : ١ و ٩) .

فإذا كان هذا هو أمر الرسول للنساء ، فكم بالحرى يجب عليك أنت أيها الرجل أن تكون زينتك الروح لا اللباس ، فأى فائدة اذا كنت من الخارج مزيلا ، وفي الداخل دنسا . فكأنك مثل القبور المكشدة من الخارج مبيضة ومن الداخل مملوقة عظاما نخرا ، او كصنم مطلى بالذهب والفضة ولا روح العبة في داخله (حب ٢ : ١٩) .

بأى وجه تزين جسدك بأنواع الزينة الباطلة ، وتدع نفسك عريانة وهي التي تستحق كل اكرام وزيينة ، انك لخطيبك لا تستحق سوى الاذلاء ، ماذا تقيدك كل هذه الاباطيل وأنت بعد قليل « تفرض تحت الرمة ويكون خطاؤك الدود (اش ١٤ : ١١) .

ان اهتمامك بالزينة الخارجية والملابس الفاخرة لما يجعلك حقيرا في اعين الذين يعرفونك ، فبدلا من ان يعتقدوا فيك العقل والرزانة يحسبونك جاهلا طائشا ويستخونون بك .

ليته ترفع الحاظك الى مخلاصك وتنظر اليه عريانا على الصليب لأجلك . ليته تجعله نصب عينيك ، اذا لكنت تهتم بتزيين روحك بالزينة الحقيقة

الفصل الواحد والستون

عدم توخي مرضاة الناس

قال الرسول « أفالستعف الآن الناس ألم الله . أم أطلب أن أرضي الناس » ، فلو كنت بعد أرضي الناس لم أكن عبداً للمسيح » (غل ١ : ١٠) « فمن أراد أن يكون محبًا للعالم فقد صار عدواً لله » (يع ٤ : ٤) قال المخلص « مجدًا من الناس لست أقبل . كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجددًا بعذرك من بعض ، والمجد الذي من الآله الواحد لستم تطلبوه » (يو ٥ : ٤٤) .

ليكن رائدك في كل شيء أن ترضي الله وحده ، ولا تتبعي رضا الناس بوجهه من الوجوه . لا تفرح أن أكرمه الناس ، ولا تفتهم أن تهاونوا بك ، فإن مدح الناس لا يزيدك حسلاحة ، ونفهم واستهانتهم لا تقصسان من قيمتك عند الله ، فإن الظن البشري أعمى في غالب الأحيان ، لا يعرف الحق ويخدع في أمور كثيرة ، احذر في كل أعمالك أن تكون مبتغياً مجد العالم ورضا الناس لئلا تضيع استحقاقك ، وإن فعلت أمراً حسناً فأعطي المجد له الذي أسعذك وقواك على ذلك العمل ، وإذا رأيت قوماً أحبوك واستأنسوا بك أو رضوا عنك فلا تحسب ذلك لفضيلة أو استحقاق فيك ، بل لفضيلتهم ونقاوة قلوبهم ، وقل في نفسك إنهم لو عرفوا حقيقة حالى لما بذلوا لي المحبة والود ، وإن لم تر أحداً راضياً عنك فعد ذلك لذنبوك وعدم استحقاقك ، وانظر إلى ذاتك كي تقوم ما فيها من الاعوجاج .

ان احقرت او اهنت او ازدرى بك في بعض الأحيان فلا يحزنك ذلك ، بس سلم الأمر الله واطلب تعزيرته ورضاه وحده . ان قيلت فيك كلمة ردئه فلا تفتهم لها لأنه ليس بعجب أن يقول الناس عنك ما قد تجاست عليه وفعته ، وإن كان قول الناس فيك لا أصل له فلا يضرك . ان جراء البشر حقير ودنى وزائل سريع الفناء ، فلا تنتظر مكافأة منهم ، بل اطلب كل مكافأتك من الله الذي لا يضيع أجر أحد . ان كانت لديك درة ثمينة فهل تطلب أن يشننها لك من لا يعرف قيمتها ، لا . كيف اذن تتبعي رضا أحد غير الله وحده ، وهو الذي يعرف قيمة اتعابك وأفعالك ، من دون الناس .

الفصل الثاني والستون

عدم الاقتراء لآقـ والغير ، وانه لا ينبغي ترك عمل

الخير لأجل كلام الناس

ما دمت طالبـ مرضـة الله في كل اعـمالـك ، فلا تخـشـ كلامـ الناسـ
وتـقـرـلـاتـهمـ البـاطـلـةـ ، ولا يـهـمـكـ أـمـدـحـ النـاسـ أـمـ نـمـوكـ وـاـنـ سـمـعـتـ ذـمـاـ وـقـدـحـاـ
وـعـدـمـ اـسـتـحـسـانـ لـعـمـلـ تـعـمـلـهـ لـمـجـدـ اللهـ ، فـلاـ يـؤـلـكـ ذـكـرـ الـكـلـامـ ، وـلاـ تـدـعـهـ يـثـبـطـ
عـزـيـزـ تـكـ وـيـوهـنـ قـوـتـكـ ، ما دـمـتـ لـاـ تـبـغـيـ رـضـاـ النـاسـ بـلـ مـرـضـةـ اللهـ .

قال الرسول « البـسـواـ الـربـ يـسـوعـ الـمـسـيـحـ » (رو ١٣ : ١٤) وـمـتـىـ
لـبـسـتـ الـرـبـ يـسـوعـ حـيـنـذـ تـعـودـ قـادـرـاـ عـلـىـ فـعـلـ مـاـ تـرـيدـ مـنـ خـيـرـ وـلـاـ يـؤـذـيـكـ
كـلـامـ النـاسـ ، وـلـكـنـ اـحـذـرـ وـاحـتـرـسـ مـنـ أـنـ تـكـونـ لـابـساـ صـورـةـ الـمـسـيـحـ مـنـافـقاـ
وـمـرـائـيـاـ ، تـظـاـهـرـ بـالـقـرـىـ وـالـورـعـ أـمـامـ النـاسـ وـأـنـتـ فـيـ الـبـاطـنـ تـرـكـبـ الـمـأـمـ
وـالـقـيـاحـ ، بـلـ الـبـسـ الـرـبـ يـسـوعـ نـفـسـهـ وـأـحـمـلـهـ فـيـ قـلـبـكـ ، وـلـكـنـ كـلـ حـيـاتـكـ
مـظـيـرـاـ لـحـيـاةـ الـمـسـيـحـ فـيـكـ .

انـ الـكـتـابـ مـدـحـ نـوـحـ الـبـارـ وـقـالـ اللهـ لـهـ « اـيـاكـ رـأـيـتـ بـارـاـ أـمـامـيـ »
(تـكـ ٧ : ١) وـقـالـ عنـ وـالـدـىـ يـوـحـنـاـ الـمـعـدـانـ « اـنـهـمـ كـانـاـ بـارـينـ أـمـامـ اللهـ »
(لو ١ : ٦) فـهـذـاـ هـوـ الـمـدـحـ الـحـقـيقـيـ لـأـنـهـ مـنـ الـرـبـ . كـانـ الـفـرـيـسـيـوـنـ
يـتـظـاهـرـونـ بـالـقـدـاسـةـ وـالـبـرـ بـيـنـمـاـ كـانـوـاـ فـيـ الدـاـخـلـ مـمـلـوـئـنـ دـنـسـاـ ، وـقـدـ
وـيـخـمـلـهـمـ قـائـلـاـ « وـيـلـ لـكـ أـيـهـاـ الـكـتـبـةـ وـالـفـرـيـسـيـوـنـ الـمـرـأـوـنـ لـأـنـكـمـ
أـشـبـهـوـنـ قـبـورـاـ مـبـيـضـةـ تـظـهـرـ مـنـ خـارـجـ جـمـيـلـةـ وـهـىـ مـنـ الدـاـخـلـ مـمـلـوـءـ عـظـامـ
أـمـوـاتـ وـكـلـ نـجـاسـةـ ، هـكـذـاـ أـنـتـمـ أـيـضاـ مـنـ خـارـجـ تـظـهـرـوـنـ لـلـنـاسـ أـبـرارـاـ ،
وـلـكـذـكـمـ مـنـ دـاـخـلـ مـشـحـوـنـوـنـ رـيـاءـ وـاثـمـاـ » (مـتـ ٢٢ : ٢٧ وـ ٢٨) .

انتـظـرـ مـدـحـكـ منـ اللهـ ، وـأـجـرـكـ مـنـ السـمـاءـ ، وـكـنـ مـعـ اللهـ فـلاـ تـضـرـكـ
أـقـوـالـ النـاسـ مـهـمـاـ كـانـتـ . كـثـيـرـوـنـ كـانـوـاـ مـمـدـوحـيـنـ مـنـ الـعـالـمـ وـمـمـجـدـيـنـ مـنـ
الـنـاسـ ، وـهـمـ الـآنـ فـيـ الـجـحـيمـ يـعـذـبـوـنـ ، وـكـثـيـرـوـنـ كـانـوـاـ مـحـتـقـرـيـنـ وـمـعـتـازـيـنـ
وـمـكـروـبـيـنـ وـمـذـلـيـنـ وـمـخـذـلـيـنـ وـهـمـ الـآنـ يـتـعـزـزـوـنـ فـيـ مـلـكـوتـ اللهـ ، وـقـدـ حـسـبـوـاـ
قـىـ عـدـادـ الـقـدـيسـيـنـ الـذـيـنـ لـمـ يـكـنـ الـعـالـمـ مـسـتـحـقـاـ لـهـمـ (عـبـ ١١ : ٣٨) .

قال الرسول « اـنـيـ اـرـىـ اـنـ اللهـ اـبـرـزـنـاـ نـحـنـ الرـسـلـ آخـرـيـنـ كـلـنـاـ مـحـكـومـ
عـلـيـنـاـ بـالـمـوـتـ . لـأـنـنـاـ صـرـنـاـ مـنـظـرـاـ لـلـعـالـمـ ، لـلـمـلـائـكـةـ ، وـالـنـاسـ . نـحـنـ

جهال من أجل المسيح ، أما أنتم فحكماء في المسيح ، نحن ضعفاء وأما أنتم فاقوياء ، أنتم مكرمون وأما نحن فبلا كرامة ، الى هذه الساعة تجوح ونطعن ونعزى وونكلم وليس لنا اقامة واتعب عاملين بآيدينا . نشتتم فباربه ، نضطهد فتحتمل ، يفترى علينا ذحظ ، هرنا كاذن العالم ووسخ كل شيء إلى الآن » (إكو ٤ : ٩ - ١٢) ما أكثر التعبيرات التي وقعت على بولس الرسول حتى سمي مهذارا (اع ١٧ : ١٨) وأنه يهزى (٢٦ : ٣٤) ، وما أكثر الافتراء الذي وقع على المسيحيين وعلى الكرازة باسم المسيح ، وقد كانت كلمة الصليب جهالة عند الأمم .

ان ذمك الناس ورذالت وانت سالك سبيل الرب فماذا يهمك ، ان البشر يحكمون حسب الظاهر ، وأما الله فمطلع على الباطن ، الإنسان ينظر إلى العينين ، وأما الرب فإنه ينظر إلى القلب (اص ١٦ : ١ - ٧) ليس في قدرة الناس ان يمنحك عطية ، أو يهتك الملكوت ، ولو كان كل افراد العالم أصدقاءك وخلانك لما استطاعوا أن ينقدوك من دينونة الله ، فاعمل ما يجب عليك ، ولا تلتفت إلى مذمة الناس وتغييراتهم ، وحسبك ان توجه قلبك إلى الله وتطلب رضاه . تجاهل كل اطرابات العالم وأصواته المزعجة .

ان الذين يركضون في الميدان لأجل الجعلة لا يهمهم رأي الناس ، الذين يمدحونهم او يذمونهم ، بل ينظرون إلى المكافأة والجزاء ، فانتظر الدح من الله والمكافأة منه وحده ، ولا يهمك أمدحك الناس أو ذموك ، فإن من يجمع الشهد لا يثنى لذع النحل ، ومن يتطلع إلى المعالي يستهين بكل شيء حتى يدرك غايته . ان المصور الماهر لا يتأمل ان عابه أحد الجهل . هل أنت أجل قدرًا من مخلصك الذي لم ينج من تعبيرات المفريسين ؟ قالوا عنه انه سامری ، وان به شيطانا ، وانه ليس من الله ، وأنه يمكث مع العشارين والخطاة وانه ينقض السبیت فإن كان مخلص العالم لم يسلم من الذم والهجو ولم يفلت من الأقوال المختلفة والظنون الكثيرة ، فما بالك أنت تحزن وتكتتب اذا لم يمدحك الجميع ، لقد قال المخلص « ويل لكم اذا قال فيكم جميع الناس حستا » (لو ٦ : ٢٦ - ٣٩)

من العار الشديد ان يمنعك كلام الناس عن فعل الخير ، ان الأعمى الذى كان جالسا في أريحا عندما كان يصرخ ويستغيث بيسموع لم يدخل من تبكيت بعض الناس له ، ولكنه كان يزداد صياحا كلما انتهروه (لو ١٨ : ٢٨ - ٣٩)

ان السنة المقوهين بالهر لن تكف عن التعبيرات والمذمات ولن تسكت

ابدا ، فاتبع طريق الفضيلة غير ملتفت الى كلام الناس وأعمل الخير وثابر على عمل الفضيلة . كن مصلحا مع الله وضميرك ، مزكي أمامه تعالى ، وأعمل مشيئته فيلزمه الهدوء والسلام .

ان الذين يتركون عمل الخير لأجل كلام الناس يشبهون الخيول التي تجفل من ظلها ، فلا تكن طفلا يرهب ثبع الكلاب فالعالم ينجي وراءه ليصدنه عن الخير فلا تلتفت الى ذلك لأن أحدا لا يقدر أن يضرك . لا يصدقك أحد عن أي عمل خيري فيه مجد الله وخير الإنسانية خوفا من كلام الناس ، لئلا تحسب من المبتفين كرامة العالم لا كرامة الله . اقطع رحاءك من العالم ، واحسبي غبارا وهباء أمام مجد الله .

قال الرسول « هكذا نتكلم لا كأننا نرضى الناس بل الله الذي يختار قلوبنا » (أنس ٤ : ٢) . ان كلام البشر ما هو الا ورقة تتعرك في الريح فهل تخافها وترتعب منها ! قال الحكيم « السالك باستقامة يتقى الرب والمعوج طرقه يحتقر » (أم ١٤ : ٢) « أهل الدماء ببغضون الكافر ، أما المستقيمون فيسألون عن نفسه » (أم ٢٩ : ١٠) لا تنقص قيمة الذهب اذا رفضته الحيوانات التي لا تعرف سوى التبن ، وليس بتقىمة للشمس ان لم ترها اليوم « ويل للقاتلين للشر خيرا وللخير شرا ، للجاعلين الظلام نورا والنور ظلاما الجاعلين المر حلو والحلو مرأ . ويل للحكماء في أعين أنفسهم والفهماء عند ذواتهم » (اش ٥ : ٢٠ و ٢١) .

أيتها النفوس لا تخافي ولا تجبني أمام الأشرار ، ولا يرجعونك عن عملك مثل هؤلاء المهدارين ، بل انظر إلى عريسك السماوي . أنه ليس بمحير ولا مهان حتى تخافي من أن تحمل عاره .
موسى لما كبر أباً أن يدعى ابن ابنة فرعون ، مفضلاً بالأحرى أن يذلل مع شعب الله ، على أن يكون له تمنع وقتى بالخطبة ، حاسبًا عار المسيح ففي أعظم من خزائن مصر ، لأنه كان ينظر إلى المجازاة » (عب ١١: ٢٤ - ٢٦) .

للرسول لما جدوا من مجمع اليهود ذهبوا فرحين من أمام المجمع . لأنهم حسروا مستاهلين أن يهانوا من أجل اسمه (اع ٥ : ٤١) .

قال السيد « ليس التلميذ أفضل من العلم ، ولا العبد أفضل من سيده ، يكفي أن يكون للتلميذ كمعلمه والعبد كسيده ، إن كانوا قد لقيوا رب البيت بعلزبول فكم بالحرى أهل بيته فلا تخافوهم » (مت ١٠: ٢٤ و ٢٦) .

« ان كان العالم يبغضكم فاعملوا أنه أبغضنى قبلكم ، لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته ، ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا أختاركم من العالم ، لذلك يبغضكم العالم » (يو ١٥ : ١٨ و ١٩) .

قال الرسول « لأن فخرنا هو هذا ، شهادة خميرنا أننا في بساطة وخلاص الله لا في حكمة جسدية ، بل في نعمة الله تصرفنا في العالم » (كوك ١ : ١٢) .

قال أيوب « الآن هوذا في السموات شهيدى ، وشاهدى في الأعلى » (إوى ١٦ : ١٩) .

فليكن على الله اعتمادك وبه رجاؤك ، ودع أصحاب الأباطيل يقولون ما يشأون ، فإن الزوان لا يخنق القمح ، والشوك لا يمنع نمو الورد .

الفصل الثالث والستون

عدم التهاون بصيتنا وأعراضنا

قال الحكيم « الصيت أفضل من الغنى العظيم » (أم ٢٢ : ١)
« الصيت خير من الدهن الطيب » (جا ٧ : ١) *

اننا وان كان يجب علينا الا نفشل ، ولا نهتم كثيراً لاقوايل الناس
الباطلة ، الا انه يجب علينا ان نحافظ على شرفنا وصيتنا امام جميع الناس ،
فلا تتهاون بحسن سمعتك وتدع الناس يقولون ما يشاءون نعم تقول هذا
القول عندما تؤدي كل واجباتك ومع ذلك يرميك الاشرار بالاذلال والمعايب
باضلا ، حين لا تقدر ان تدافع عن صيتك وحسن سمعتك ، فان الرسول
يوصينا قائلاً « معتنien بأمور حسنة قدام جميع الناس » (رو ١٢ : ١٧)
، ولا يفترى على صلاحكم » (رو ١٤ : ١٦) « متجلبين هذا ان يلومنا
احد في جسامته هذه المخدومة منا . معتنien بأمور حسنة ليس قدام الرب
فقط بل قدام الناس ايضاً » (كو ٨ : ٢٠ و ٢١) وقال « اخيراً ايها
الاخوة كل ما هو جليل ، كل ما هو عادل ، كل ما هو ظاهر ، كل ما هو
مسر ، كل ما صيته حسن ، ان كان فضيلة وان كان مدح ، ففي هذا
افتکروا » (في ٤ : ٨) وعلمنا ان الذى يختار الى وظيفة يجب ان تكون
له شهادة حسنة من الذين هم من خارج (اتى ٣ : ٧) وقال « لسنا
نجعل عشرة في شيء لثلا تلام الخدمة ، بل فى كل شيء نظهر أنفسنا كخدم
الله » (كو ٦ : ٤ و ٥) وقال عن المسيحيين « أنتم رسالتنا مكتوبة في
قلوبنا ، معروفة ومقرودة من جميع الناس . ظاهرين انكم رسالة المسيح
مخدومة منا مكتوبة لا يعبر بل بروح الله الحى ، لا فى الواح حجرية بل
فى الواح قلب لحمية » (كو ٣ : ٢ و ٣) « لكي تكونوا بلا لوم وبسطاء
أولاً الله بلا عيب فى وسط جيل معوج ومغلوط . تضيئون بينهم كأنوار فى
العالم » (في ٢ : ١٥) « مقدماً نفسك فى كل شيء قدوة للأعمال
الحسنة وقدماماً فى التعليم نقاؤة ووقاراً واحلاصاً وكلاماً صحيحاً غير
ملوم لكي يخزى المضاد اذا ليس له شيء رديء يقوله عنكم » (في ٢ : ٨ و ٧) .

قال بطرس الرسول « وإن تكون سيرتكم بين الأمم حسنة لكي يكونوا
في ما يفترون عليكم كفاعلى شر يمجدون الله في يوم الافتقاد من أجل

اعمالكم الحسنة التي يلاحظونها ، (ابط ٢ : ١٢) .

« من يؤذيكم ان كنتم ممثلين بالخير ؟ ولكن ان تالمتم من أجل البر فطوباكم . أما خوفهم فلا تخافوه ولا تضطربوا . بل قدسوا الله الآله في قلوبكم . مستعدين دائمًا لجاوبية كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم بوداعة وخوف ، لكم ضمير صالح لكم يكون الذين يشتمون سيركم الصالحة في المسيح يغزون فيما يقترون عليكم كفاعلي شر » (ابط ٢ : ١٣ - ١٦) .

فاحتفظ بشرفك الشخصي وحياته . لا تدع شيئاً يخدش حسن سمعتك .
إلى كن على الدوام مثلاً للكمال والأداب « فليضي نوركم هكذا قدام الناس .
لكي يروا اعمالكم الحسنة ويمجدوا أيامكم الذي في السموات » (مت ٥: ١٦)

الفصل الرابع والستون

في وجوب اقتران العلم بالعمل

قال الرسول « العلم ينفع ولكن المحبة تبني ، فإن كان أحد يظن أنه يعرف شيئاً فإنه لم يعرف بعد كما يجب أن يعرف ، ولكن إن كان أحد يجب الله فهذا معروف عنده » (أقواء ٨ : ٣ - ١) .

لا تفخر بعلمك ولا تظن بنفسك شيئاً مهما حصلت من المعرفة ، لأنك مهما بلغت إلى أقصى حدود المعرفة فلا تقدر أن تفوق الشياطين في علمهم .

قل لي أيها الأخ : ما فائدتك من معرفتك الكتب ومعانى الأسرار ورسوخك فى العلم وأنت سيء النية دنس الضمير ؟ فهذا العلم الذى لم يصل إلى قرارك قلبك وينير عواطفك ويهدبك ويصدقك عن الشر ، لا تدعوه علماً ومعرفة وحكمة . وإن أردت العلم الحقيقى فاغرس ما تعلمه فى قلبك ، واسلك السبيل الذى يرشدك إليه فى الباطن وأهتم بهدايته . تعمى ان الرجل المسيحي البسيط أفضل من ذلك العالم المتكبر الخالى من ذمة الله . قال المخلص « إن علمتم هذا فطوبواكم ان علتموه » (يو ١٢ : ١٧) . وقال يعقوب الرسول « ولكن من أطلع على الناموس الكامل ناموس الحرية وثبت وصار ليس ساماً ناسياً بل عاملاً بالكلمة ، فهذا يكون مغبوطاً فى عمله » (يع ١ : ٢٥) .

من ابتغى العلم وطلبـه لكي يكون عالـماً فقط ، فهـذا غـبي جـاهـل ، ومن قـصدـه ليكون مـعـروـفاً مشـهـورـاً لدى النـاسـ فهو مـغـرـرـ ، ومن توـخـاه طـلـباً للـرـبـيعـ والمـالـ ، فهو يـتـاجـرـ تـجـارـةـ خـاسـرـةـ باـطـلـةـ . ومن طـلـبـه لـأـصـلاحـ ذـنـسـهـ وـنـفـعـ قـرـيبـهـ . فـهـذا هو الـحـكـمـ الـفـاضـلـ الذـي تـمـسـكـ بـالـفـضـيـلـةـ الـكـبـرـىـ . العلم بـذـونـ عـمـلـ كـشـجـرـ بلاـ شـمـرـ لـاـ فـائـدـ فـيـهـ . انـ الكـهـنـةـ أـخـبـرـو هـيـرـوـدـسـ عنـ مـكـانـ مـدـلـكـ السـبـيعـ . ولـكـنـمـ لمـ يـذـهـبـواـ مـثـلـ الـجـوسـ لـيـسـجـدـواـ لـهـ . اـمـاـ اـولـئـكـ الرـعـاعـ السـدـجـ فـانـهـمـ اـنـقـادـواـ طـائـعـينـ لـحـسـوتـ الـبـشـارـةـ وـنـالـوـ النـعـةـ بـمـشـاهـدـتـهـمـ اـبـنـ اللهـ . انـ عـالـماـ وـاحـداـ ذـاـ ضـمـيرـ نـجـسـ يـضـرـ اـكـثـرـ مـائـةـ جـاهـلـ . لأنـ خـطـابـ الـعـلـمـينـ هـيـ كـبـرـياتـ الـخـطـابـاـ .

قال رب «أما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً في ملوك السموات» (مت ۵ : ۱۹) وقد قيل عن المخلص انه ابتدأ يعمل ويعلم (أع ۱ : ۱) ان من يعلم الفضيلة يجب عليه أن يعرف طرقها ، ويكون قدوة فيها قبل ان يعلمه ، والا كيف يقود شعباً في طريق لم يسلكه قبلهم . أيها المسلم اذا لم تذق حلاوة تلك الشمرة فبأي وجه تمرد الشجرة . ان السيد قد لعن تلك التينية التي لم يجد فيها سوى الورق . فاحذر ايها المعلم غيره لئلا يصيبك ما أصاب تلك التينية حين لا يوجد فيك ثمار الاعمال بل ورق الكلام فقط . وماذا تفديك حينئذ فصاحتك وحسن منطقك واقتدارك على التعبير . لا تكن كالبئر تغسل بعائتها الأوانى وهى ممتلئة بالأقدار والأحوال فى عمق قرارها ، ولا تكن كالضفاضع تتفنق وهى فى الطين . كيف تكون مغمورة بالرذيلة وفي الوقت نفسه تمدح الفضيلة وتدعى الناس اليها ؟ ان كلماتك البليغة وألفاظك الطلية لا تصل الا الى آذان السامعين . لأنها لم تبرز الا من الفم فقط . ولكن ان رمت امتالك القلوب ووصول كلامك الى عمق الأفئدة . فليصدر كلامك من قلبك ، فالنار لا تشتعل الا بنار مثلكما . كذلك ان شئت ان تشعل قلوب سامعيك فليلتهب قلبك اولاً بنار الحبة والفضيلة . وعند ذلك يمكنك اصلاح نارك فى تلك القلوب . فالقلب يخاطب القلب والروح تؤثر في الروح .

قال المخلص لقوم امسكوا امراة في زنى ليترجموها «من منكم بلا خطية فليرجمها اولاً بحجر . فعند ذلك خجلوا» (يو ۸ : ۱ - ۱۰) كذلك انت ابها المعلم أحذر أن تخجل ولا تقدر أن توبخ تلك الخطايا التي ربما سقطت فيها . قال الرسول «اقمع جسمى وأستبعده . حتى بعد ما كررت للأخرين لا أحسir أنا نفسي مرفوضاً» (اكو ۹ : ۲۷) .

قال يعقوب الرسول «من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطباً له» (يع ۴ : ۱۷) من يقول ولا يعمل فهو يزرع زرعاً جيداً ولا يأكل من ثمره . ويشبه انساناً يجلس على مائدة فاخرة ممتلئة أطعمة شهيبة يقدمها للآخرين ويقوم هو جائعاً خاويًا .

لَا أَعْطِيَ الرَّبُّ الشَّرِيعَةَ مِنْ جَبَلِ سِينَاءِ ظَهَرَتْ أُولَى بَرِيقٍ وَرَعْوَةٍ وَلَهِبٍ نَارٍ وَحِينَذْ ابْتَدَأَ الرَّبُّ يَتَكَلَّمُ . هَكُذا أَشْتَعِلَ أَنْتَ أُولَى بَنَارِ الْحَبَّةِ وَحِينَذْ تَصْدِرُ مِنْكَ رَعْدَ التَّوْبِيَخَاتِ الصَّارِمَةِ وَبِرُوقِ التَّعْلِيمِ الْأَلَهِيِّ ، فَيَكُونُ لِكَلَامَكَ وَتَعَّزُّ وَتَأْثِيرٌ فِي قُلُوبِ سَامِعِيكَ . أَنَّ الْمَرْضَعَةَ الَّتِي تَرْضَعُ الْفَلَلَ تَتَنَاهُوا لِغَذَاءِهَا الْجَيْدَ كَمَا يَسْتَهِيلُ إلَى مَادَةٍ مَغْذِيَّةٍ تَغْذِيَ الطَّفَلَ مِنْهُ . كَذَلِكَ أَنْتَ إِنْ لَمْ تَكُنْ مَتَغْذِيَّا بِالنَّعْمَةِ مَتَشَبِّعًا بِحَرَارَةِ الرُّوحِ فَلَا تَسْتَطِعُ إِنْ

تغدى غيرك . النار تحرق كل مادة قريبة منها قبل أن تلتهم المواد بعيدة ..
فلتلهمك أولا حرارة اليمان فأنك أقرب إليها ، وحينئذ تلهم البعيدين عنك ..

كيف تقدم مياها ليشرب منها غيرك وانت عطشان ظمان ! اشرب .
أولا ثم عد رارو ظما الآخرين .

قال الرسول لتيموثاوس « كن قدوة للمؤمنين في التصرف . في المحبة .
في الروح ، في الإيمان . في الطهارة . أعکف على القراءة والوعظ
والتحليم . اهتم بهذا . كن فيه لكي يكون تقدمك ظاهرا في كل شيء . لاحظ
نفسك والتعليم . وداوم على ذلك . لأنك إن فعلت ذلك تخلص نفسك والذين
يسمعونك أيضا » ، (أتى ٤ : ١٢ - ١٦) .

الفصل الخامس والستون

الرؤساء قدوة لغيرهم

ان كنت رئيسا فاجتهد ان تكون نموذجا حسنا في سائر تصرفاتك .
احذر في اي عمل تعلمه ان تميل هنا او هناك . لأنك امام مرؤوسك
عمرأة . ما يرونـه فيك يفـعلونـه وما تعلـمـه يـقـدـمـونـ به . فـإنـ كانتـ
اعمالـكـ كلـهاـ فيـ طـرـيقـ الخـيرـ أـقـتـدواـ بـكـ . وـانـ حدـتـ عنـ طـرـيقـ الفـضـيلةـ
تـبـعـواـ خـطـواتـكـ . وـانـ تـعـدـتـ الـوـاجـبـ وـاستـهـنـتـ بـالـحـقـوقـ سـارـواـ فيـ طـرـيقـكـ .
اعـلمـ انـ خطـاـ الرـئـيـسـ فـىـ اـىـ اـمـرـ مـهـماـ كـانـ صـغـيرـاـ يـعـدـ كـبـيرـاـ . لـانـ تـنـتـجـ
عـنـهـ حـثـراتـ وـتـعـديـاتـ لـكـثـيرـينـ . انـ سـقـوطـ حـجـرـ صـغـيرـ منـ جـبـلـ لاـ يـؤـثـرـ لـانـهـ
يمـكـنـ فـيـ مـكـانـ سـقـوطـهـ . وـلـكـنـ بـسـقـوطـ صـخـرـةـ كـبـيرـ تـسـقطـ أحـجـارـ كـثـيرـةـ
وـيـحـثـ ضـرـرـ بـلـيـلـ . انـ سـقـوطـ حـجـرـ مـنـ بـنـاءـ لـاـ يـحـدـثـ تـلـفاـ . وـلـكـنـ سـقـوطـ
حجـرـ مـنـ الـاسـاسـ يـتـلـفـ كـلـ الـبـنـاءـ الـمـرـكـبـ عـلـيـهـ . اذاـ ذـلـ الـمـدـ
الـأـفـرـادـ فـانـ ذـلـتـهـ لـاـ تـؤـثـرـ فـيـ غـيـرـهـ . وـلـكـنـ ذـلـةـ الـعـالـمـ الرـئـيـسـ الـكـبـيرـ مـدـهـةـ
ذـلـةـ الـكـثـيرـينـ وـسـقـوطـ الـأـخـرـينـ .

قال الحكيم ابن سيراخ « على شبه الوالى تكون خدامه . ومثل
مدبر المدينة هكذا يكون سكانها » (من ٢ : ١٠) ان كان العود مستقيما
كان ظله مثله . وان كان معوجا كان ظلـاـ معوجـاـ . ذـكـرـ أـبـيـمـالـكـ أـنـ أـخـذـ
الـفـائـمـ بـيـدـهـ وـقـطـعـ غـصـنـ شـجـرـةـ وـرـفـعـهـ وـوـضـعـهـ عـلـىـ كـتـفـهـ وـقـالـ لـلـشـعـبـ الذـيـ
معـهـ : ما رـأـيـتـونـ أـفـعـلـهـ فـاسـعـرـاـ اـفـعـلـواـ مـثـلـىـ . فـقـطـعـ الشـعـبـ أـيـضاـ كـلـ وـاحـدـ
غـصـنـاـ وـسـارـواـ وـرـاءـ أـبـيـمـالـكـ (قضـ ٩ : ٤٩٤٨) .

ان شئت ان يتبعك مرؤوسوك في كل ما تريده فكن قدوة لهم وسر
انت اولا في الطريق : افتح لهم طريقا وعبرأ فيجوزون بعدك الطريق الذي
فتحته لهم . ان الرأس هي التي ترشد كل الاعضاء ، فان كانت ضعيفة
وهنت جميع الاعضاء وضفت . وان كانت منتبطة فكل الاعضاء تكون
نشطة نشيطة . هكذا انت ما من القيت اليك ادارة منصب . كن حيا بشيطا
فاصلـاـ حـازـماـ مـثـالـاـ لـلـجـدـ وـالـثـبـاثـ فـتـجـدـ صـورـتـهـ قدـ اـنـطـبـعـتـ فـيـ كـلـ وـاحـدـ
عـنـ مـرـؤـسـيكـ . انـ الـخـرـافـ تـبـعـ رـاعـيـهاـ أـيـنـماـ ذـهـبـ ، وـالـرـعـيـةـ تـسـيرـ كـمـاـ

يسير رعاتها . فاحذر أيها القائد أن تكون عثرة لرعايتك . فمعى تعكرت
البلل من الداخل بالأوساخ تعكرت الراة التي فيها . فكذلك متى أضطرب
الرئيس أعمل نظام المرووسيين معه . لذلك لما أضطرب هيرودس أضطربت كل
أورشليم معه (مت ٢ : ٣) .

ان العيب الذى يبدو من عامة الشعب هو بمنزلة خدش فى اليد أو فى
الرجل يمكن ستره واحفاؤه . ولكن العيب الذى يبدو من رئيس أو شريف
فى قوله يكون كوشم فى الوجه يظهر واضحًا للناظرين ، فاحذر أيها الريان
أن تكون غير حكيم فتفرق السفينة ومن فيها ، وتجنب أيها الراعى أن تقود
رعايتك فى برية قاحلة فتهرب الغنم وتتوه منك فى الجبال ، احترس أيها
القائد خشية من هزيمة جيشك أمام الأعداء .

تبظ وتنبه وكن دائمًا مثلاً لكل فضيلة وكمال .

الفصل السادس والستون

المحبة

المحبة أساس الفضائل وينبع الأدب ورباط الكمال ، وهي عقد ثمين ينظم لأنى الفضائل ، ويدونها لا تحوز فضيلة من الفضائل ، فلا عبادة ، ولا صلاح ، ولا تقوى ، ولا خشوع ، ولا صلاة ، ولا تواضع ، ولا دعاعة ، ولا صبر ، ولا احتمال ، ولا صدق ، ولا احسان ، ولا لطف ، ولا سلام ، ولا امتناع عن خصم ، ولا نجاة من حرب وسلب ، الا بالمحبة وفي المحبة ولأجل المحبة ، انها أُس الفضائل ومنشأة القديسين ، ومكملة الأبرار . هي التي ملأت السماء بالبشريين .

المحبة مدرسة سامية مقدسة . تتعلم فيها كل دروس الفضائل . ورئيس هذه المدرسة معلم ماهر قد حاز كل كنوز الحكمة والعلم ، قادر على كل شيء حتى يسكن موهبة ونعمه على كل طلبة مدرسته . لا يمكن للحاق بهذه المدرسة الا بالمحبة ، وفوق بابها قد رفع علم مكتوب عليه بيد القادر على كل شيء ، بيد دائمة من أثر السامير « الله محبة » . وقد أسست على المحبة وبالمحبة ، فسقها محبة ، وأساسها محبة ، وأسوارها محبة ، وعلى يمينها وعلى يسارها محبة ، وكل شيء فيها محبة والدروس هناك لا تلقى الا على منبر المحبة والامتحان فيها تظاهر نتيجته من المحبة ، ولا يعرف التلميذ انه ماهر فيسائر فضائله الا ان اكمل المحبة . في هذه المدرسة قد تعلم القيسون وجميع الشهداء والمجاهدين ، وكل الذين في السماء تخرجوا منها ونالوا شهادتهم .
فمن لم يلسان فصيح ومقول ذرب بلية ، لأمدحك وأفروظك ايتها المحبة المقدسة يا منشأة القديسين ووالدة الأبرار والمنتخبين ، هل يقوى لسان العجزة ان يصف مقدارك ويحدد مدى فضلك غير المتناهي فأنت أساس الفضائل والكمال ، ومن امتلكك فقد حاز كل شيء ومن تلتمذ لك فقد تعلم كل شيء .

ان للمحبة فروعا كثيرة لا تعد ولا تستقصى . فالاتحاد ، والدعة والسامحة ، ووح الاحتمال ، من اصولها وثارها . والذئى ، والرفق والصبر ، واللطف ، والصدقة ، والائتلاف ، وعدم الشقاق ، وعدم الحسد ، وعدم الظن السيء . كلها من اولادها ، فهي تلد بنين وبنات مباركين في قلب الانسان ، وتفرخ اغصاناً طاهرة ، وتبث أشعة مقدسة نقية قوية

غير كل شيء . • الحب تنانى وترفق . الحب لا تحسد ، الحب لا تفاخر .
ولا تتفاخ . ولا تقبع . ولا تطلب ما لنفسها . ولا تحسد ، ولا تظن
السوء ، ولا تفرح بالآثم بل تفرح بالحق وتحتمل كل شيء وتحصدق كل شيء
وتروجوا كل شيء » (أكتو ١٢ : ٤ - ٧) . ٦

الحب أثمن كل شيء وأجمله . الحب تخف الآثار ، وتحتمل
المكاره بصبر ، وهي تجعل المر حلوا ، وتقود الإنسان الى العلو ،
وترغبة دائما في السلام . صادقة مسالة أنسنة وديعة أمينة . ذات
حلم ومرؤة في كل شيء ، وهي متواضعة ومطيبة . خالية من العجرفة
والكبرياء . هادئة ورحيمة ونقية . منها يصدر كل خير ، وصاحبها
يستريح في السلام والراحة الكاملة . لا شيء أحسن من الحب ولا شيء
أثمن ولا أجمل ولا أفضل ولا أكمل ولا أبهج ولا أعزب من الحب .• الحب
أرفع وأسمى وأجل شيء ، ولا يوازيها شيء في السماء ولا على الأرض .

من تسكن الحب قلب يكون صبوراً متأنياً مترفقاً وديعاً يفرح بالخير
للآخرين ويحتفل المتعاب والمشقات بصبر جميل ، يصدق الناس ولا يكتب
أحداً يرجو الخير والنفع للجميع كما يرجوه لنفسه . ومن تملكه الحب
لا يحسد ولا يتغطر ولا يتعالى ولا يغضب ، بل يكون ذا صفح وغفران
لمن بسىء اليه ، ولا يظن السوء بأحد .• الحب لا يطلب ما لنفسه لأن
محبة الذات تعدم أمام الحب الظاهرة .• الحب لا يريد خير نفسه فقط بل
يطلب الخير لكل أحد « فأن كان وعظ ما في المسيح ، ان كانت تسلية ما
للمحبة . ان كانت شركة ما في الروح ان كانت احشاء ورافة . فتعموا
فرحى حتى تفكروا فكرا واحدا ولكم محبة واحدة . مفتکرين شيئاً واحداً .
لا شيئاً يحزن أو يعجب بل بتواضع حاسبين بعضكم البعض أفضل من
أنفسهم » (في ٢ : ٣ - ١) الحب هي كل الأيمان والرجاء والصبر والدعة
والحق ، وبالجملة هي كل شيء .

الحب لا ينطق بكلمات قاسية تجعل آخاه مغيظاً محنقاً ، بل يعتبر
أنه خير له أن يموت من أن يسبب عشرة لأخيه . لسان الحب عذب
وكلماته لطيفة ممزوجة بالوداعة ، تقطر حباً ووداً وتسيل عذوبة ولطفاً .
الحب الوديع يسكن حتى في وقت اشتداد التجارب ونزول المحن الشديدة ،
لا يجد الغضب إلى قلبه سبيلاً ، وإذا حلت به الأوصاب يتقبلها بصدر
رحب فرحاً مسروراً .• الحب لا يتالم من قبح ، ولا يسر ب مدح ، سواء
عند السراء الضراء . قلب الحب عرش يسكنه الروح القدس ويحل فيه
الثالوث الأقدس ، والنفس المتمسكة بالحب تسكنها الوداعة والبساطة وطول

الإناة وهي ملأى من فرح الروح ومن سلام الله الكامل الذى يفوق كل عقل ، خالية من كل خبث ، لا تعرف المكر والأسوء ، ولا تسعى وراء الحبل وال fasد ، بل تفرح بالحق فى اخلاص وبساطة القلب ، وهى لا تعرف الرياء والتصنع والتفاق .

فطوبى لك وما أسعدهك يا من تمتلك الحبة ، ما أظهر نفسك ، وقدس روحك لأن الله يسكن معك لأن « الله حبّة » .

أيتها الحبة ! أنت وحدك الفضيلة العظمى التى من يمتلكك يمتلك كل شيء ، وعندك كل شيء نافع وبدونك لا شيء ينفع ، الا فاسع وراءها أيها الحبيب وتمسك بها ولا تدعها تفلت من يديك . اطلبها واجعلها تحيط بكل ما فيك . تلذذ بودها وارقو بحبها . احتضنها لأنك بها ترتفقى الى السماء وبها تدخل الجد . انها تقودك الى فردوس النعيم . فامسك بها لأنها هي الله « لأن الله حبّة ومن يثبت فى الحبة يثبت فى الله والله فيه » (١يو ٤ : ١٦) .

الفصل السابع والستون

تعليم الكتاب عن المحبة

• وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً . كما أحببكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً ، بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى أن كان لكم حب بعضاً لبعض » (يو ١٢ : ٣٤ و ٣٥) .

• تحب الرب الهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكري ، هذه هي الوصية الأولى والعظمى ، والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك ، بهاتين الوصيتيين يتعلق الناموس كله والأنبياء » (مت ٢٢ : ٢٧ - ٣٩) .

« لا تكونوا مديونين لأحد بشيء ، الا بأن يحب بعضكم بعضاً ، لأن من أحب غيره فقد أكمم الناموس . لأن لا تزن لا تسرق ، لا تقتل ، لا تشهد بالزور ، وإن كانت وصية أخرى ، هي مجموعة في هذه الكلمة أن تحب قريبك كنفسك ، المحبة لا تصنع شرًا للقريب ، فالمحبة هي تكميل الناموس » (رو ١٢ : ٨ - ١٠) .

• إن كنت انكلم بالسنة الناس والملائكة ، ولكن ليس لى محبة فقد صرت نحاساً يطن أو صنجاً يرن . وإن كانت لى تبورة وأعلم جميع الأسرار وكل علم ، وإن كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لى محبة فلا انتفع شيئاً . وإن أطعمت كل أمواли وإن سلمت جسدي حتى احترق ، ولكن ليس لى محبة فلا انتفع شيئاً » (أكو ١٢ : ١ - ٣) .

• إن الظلمة قد مضت والنور الحقيقي الآن يضيء ، من قال أنه في النور وهو يبغض إخاه فهو إلى الآن في الظلمة ، من يحب إخاه يثبت في النور وليس فيه عثرة ، وأما من يبغض إخاه فهو في الظلمة ، وفي الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضي لأن الظلمة قد أعمت عينيه » (يو ٢ : ٨ - ١٠) .

• نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الأخوة ، من لا يحب إخاه يبقى في الموت . كل من يبغض إخاه فهو قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه . بهذا قد عرفنا المحبة ، أن ذلك وضع نفسه

لأجلنا فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الأخوة ، وأما من كان له
معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشائه عنه ، فكيف تثبت محبة
الله فيه ، يا أولادي لا تحب بالكلام ولا باللسان ، بل بالعمل والحق ،
(أيو ٣ : ١٤ - ١٨) .

« لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة هي من الله ، وكل من يحب فقد ولد
من الله ويعرف الله ، ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة » (أيو ٤ :
٧ و ٨) .

« ان قال أحد انى احب الله وابغض اخاه ، فهو كاذب لأن من لا يحب
أخاه الذي ابصره كيف يقدر أن يحب الله الذي لم يبصره . ولننا هذه الوصية
منه ان من يحب الله يحب اخاه ايضاً » (أيو ٤ : ٢٠ و ٢١) .

« المحبة فلتكن بلا رباء » (رو ١٢ : ٩) .

« أما غاية الوصية فهي المحبة من قلب ظاهر وضمير صالح وایمان بلا
رباء ، اتى ١ : ٥) .

« أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة ، هذه الثلاثة ولكن أحظى بهن
المحبة ، (أكتو ١٢ : ١٣) .

الفصل الثامن والستون

نصائح لحفظ المحبة

احفظ المحبة في قلبك للجميع ، ولتكن محبتك من أعماق فؤادك .
اكرب النفاق والغش والرياء في كل أمورك . لا تتم على أحد قط ، ولا
تتجسس على نفائص الآخرين . لا تدن أحداً بل بالحرى انظر إلى ذاتك .
لا تسبب عشرة أو شكاً لأحد ، لا تبد ادانتي احتقار لأنسان ما . لا تفتت
أحداً ولا تقل فيه كلمة تخاف أن تقولها في حضوره . لا تنقل كلاماً سمعته
إذا رأيت فيه هدماً لصيت قريبك . ابتعد عن الفتنة ، اهرب من بذر
الخصومات . لا تتحدد على أحد في كلامك ، بل كن وديعاً في تصرفاتك .
لا تكن عنيداً أو مستبداً برأيك ، بل استعن بالمشورة ، وأقبل كلام الحكماء .
لا توبيخ بغير حق . عامل من هم أكبر منك بالاحترام ، والمساوين لك
بالمحبة واللطف ، والذين هم أصغر منك بال بشاشة والدعة ، لكي تستميل
الجميع إلى محبتك . اجتهد كى ترضى وتسر وتساعد كل من يطلب
مساعدتك ، وإن لم تقدر على المساعدة فليكن فيك لين وعدوية تجبر
القلوب الكسيرة . لا تظهر كراهة لأحد ، ولا تعرض عن سماع كلام أحد .
احسن ظنك في الجميع ، يحسنوا ظنهم فيك ، وتكون موضوع ثقفهم
ومحبتهم . لتكن محبتك خالصة من كل شائبة لمن تحبه ، ولتنطابق روحك
روحه كأنكما نفس واحدة وروح واحدة . خطاب على الدوام من وقت
آخر جميع أخوانك ومحببيك بكتابات رقيقة تقوية تشعر بالمحبة والأخلاص
لتنتفوئ بينك وبينهم عروة الأخاء والمودة . لا تؤخر الود على كتاب واحد
منهم وبذلك تتمكن منه محبة الجميع وتزيدهم ثقة بصداقتك . وإذا كلفت
باموال قلم به خير قيام ولا ترفض فقط أن تقوم باى طلب أراده أخوانه
منك إلا كان في وسعك ان تفعله . شارك الجميع في شعورهم واحساسهم
فإن فرح أحد فأفرح معه ، وإن تالم فتالم معه كأنه تشعر بما يشعرون
به . تكلم عن الجميع بكلام حسن . ولا تقل كلمة أو تشير إشارة لا
تتفق مع المحبة . عامل الناس بما ت يريد ان يعاملوه به . انه ان حفظت
ذلك كله تحب الجميع ويحبك الجميع .

الفصل التاسع والستون

الوداعية

الوداعية بكر بنات المحبة ، وهى صورة جميلة للروح تجعل فى النفس هدوءاً وسكوناً ، فالجم لسانك وقت الغضب واصمت عند الاضطراب . ان كنت وديعاً تصر هادئاً ساكتاً وقت التجربة وبمان المحن .

النور يبند الظلام ، والدعة تبيد الغضب والحدق ، الوداعية سلام للروح ، والغضب قلق للنفس ، فلتكن الوداعية في قلبك . ولا تظهر كائنة صابر على الألم ومحتمل المكاراة ، وانت فى الباطن مشتعل بتأهيب الغيبة ومحترق بنار الغضب ، ان تناحرك بالوداعية لا يحسب الا رداء ومداهنة ، وانه لأحسن منك من يظهر غضبه ولا يخف ، فانحصار نيران الغبطة فى القلب يولد الحقد والخبث ، ويجف ماء الندا ، فلا تعكر صفاء نفسك بشيء من هذا ، بل أبعد عن قلبك كل ما يغطيك ، ولا تدع شيئاً مما يذكره بيت فيه :

الوديع مغبوط من رب فقد قيل « طوبى للوداعاء لأنهم يرثون الأرض » (مت ٥ : ٥) فبادر بالتمسك بهذه الفصيلة . اعتنقاها واحفظها واحرص عليها كل الحرص ، لأن الله يحبها ويسعى قد اتصف بها « ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه . كشأة تساق إلى الذبح وكتعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه » (اش ٥٣ : ٧) « لا يخاصم ولا يصريح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته ، قضبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة مدخنة لا يطفئ » (مت ١٢ : ٢٠ و اش ٤٢ : ١ - ٤) .

الوديع الروح اذا شتم ييازك ، وان اضطهد يذرح ، وهو يشكر عند الحزن ، ويصبر وقت حلول المحن ، ويسمى في الصلح اذا اشتدت الخصومات . هو هادئ في حركاته وسكناته ، يكره التعالي ، وبيغض الكبار ، لا يتجرف ولا يختال زهوا ، محظوظ لدى جميع معارفه ومعاشريه ، وهو بينهم كوردة نمرة ذات رائحة طيبة ، الوديع محب للسلام بعيد عن الرياء والنفاق ، لا يعرف الخبث والتش والحسد ويكره وبينة، جميع الرذائل .

الوداعية صخرة قائمة وسط الأمواج ، تلاطمها الأنواء وهي ثابتة

لا تحررك ، وهى عن للصبر وانت للمحبة وأخت للطاعة ، ان قلب الوديع
عرش يسكنه الله ، والنفس الوديعة مطمئنة هادئة . البساطة بعيدة عن
أثرياء والمداهنة والخداع . النفس الساذجة الوديعة مملوءة بفرح مقدس .
خالية من التصنع والتلون فى كلها . أما الخبث فهو سم فى القلب
وثير فى النفس ، يصاحبه تلون وخداع وكذب وكبرباء وحسد ورذائل
كثيرة . لا يقترب اليك يسوع ان لم تتعلم البساطة والساذجة فى كل احوالك .

فإنجتهد لكي تكون بسطاء وودعاء كالحمام فى كل نوايانا ، ونكون
اطفالاً متبعين قول مخلصنا « ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا
ملائكة السموات » (مت ۱۸ : ۳) :

الفصل السبعون

الحلم والرفق والدعة على مثال المخلص

كن وديعاً حليماً ذا رفق واحتمال في كل شيء على مثال مخلصك . « هرب من الشر ولا تقف أمامه ، فالمخلص هرب إلى مصر متخلاضاً من شر هبرودس مع أنه كان قادرًا أن يبيده في لحظة ولكنه تخلاص من شره بواسطة معلوقة حلماً ودعة . ولما قصد الفريسيون أن يمسكونه وبهلكوه لم يشا مقاومتهم ، بل انسحب من وسطهم وانصرف من هناك (مت ١٢ : ١٤) . ولما رأى أهل مدینته الناصرة أن يطيره إلى أسفل الجبل لم ينتقم منهم بل اختفى عنهم (لو ٤ : ٢٩) . ولما رفضه أهل السامرة ولم يقبلوه ، لم يسمح أن يجتاز طلب اثنين من تلاميذه بنزول نار من السماء عليهم ، بل انتهراهما قائلًا « لستما تعلماني من أى روح أنتما لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك الناس بل ليخلص » (لو ٩ : ٥٥ و ٥٦) . ولما شتمه اليهود وقالوا عنه أن به شيطاناً لم يجبهم إلا بالحلم ، فقال ليس بي هيكلان (يو ٨ : ٤٩) . ولما أراد أعداؤه أن يترجموه اختفى عنهم ولم يقابل غضبهم إلا بالحلم والدعة وخرج أمامهم ولم يروه (يو ٨ : ٥٩) . لم يمتنع المخلص من أن يسمع ليهودا الذي أسلمه بقبيله ، مع أنها كانت قبلة الفسق والخيانة (مت ٤٩ : ٢٦) . ولم يقابل التجاذيف والاقتراءات والاهانات ومسائير الآلام من قاتليه ومضطهديه والمفترين عليه إلا بالحلم والاحتمال . ولم يقابل الشر بالشر ، حتى أن كلماته الأخيرة على الصليب كانت طلب الصدق عن أعدائه « يا أبااه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ما يفعلون » (لو ٢٢ : ٢٤) .

فتعلم أنت من هذا واقتفي خطوات سيدك . لا تقابل الآساءة بالآساءة ، ولا الشر بالشر ، ولا تنتقم لنفسك ولا تجاز أحدًا عن شر بشر . « لا يغلبك الشر بل اغلب الشر بالخير . فإن جاء عدوك فاطعنه ، وإن عطش فاسقه . فأنك بذلك تجمع جمر نار على رأسه » (رو ١٢ : ٢٠ و ٢١) .

لا تقابل شتيمة بشتيمة ، ولا تعامل أحدًا ولو كان من ألد أعدائك إلا بالحلم واللطف ودماثة الأخلاق . لا تعامل إنساناً بما عاملك به ، بل عامل الجميع كما ت يريد أن يعاملوك . تعلم الاحتمال ليتمكنك روح الصدق والغفران وليرفع من قلبك كل مراارة وسخط وغضب وصياح . تخلص من الضرر بالهروب . وإن لم يمكن الهروب فليكن احتمالك للمكرور . « روح حلم وطهول إثناة . لا تتعسر على مثل مخصوص وحمنه ووداعته سواء اهنت أو شئت ، أو جربت ، أو أصبت بأى أمر . كن حليماً زنة يعما طويل الآباء فهو كل إنسان . احتمل الجميع . ثان . اخف عند المقدرة . فأنك ان عصمت هذَا تحبها بسلام وتذكرى أيام الحرب »

الفصل الواحد والسبعين

الوداعة والمسامحة وعدم الانتقام من المسيئين

ليكن لسانك عذباً وكلماتك لطيفة ممزوجة بالدعة ، ت قطر حباً لكل انسان في جميع احوالك . في اشغالك . في معاملتك مع رؤسائك او مرؤوسيك كي تحفظ بمحبة الجميع لك . لا تتذمر ، ولا تتضجر . ولا تبد ادنى شكوى في عمل الخير . لا تظهر الكآبة متى اصابك سوء . او وجهت اليك كلمة قاسية قد يكون فيه اهانة لك بل كن مثلاً للدعة والاحتمال والمسامحة في كل شيء . ليكن كلامكم كل حين ينفعه مصلحاً يملح لتعلموا كيف يجب ان تجاويبوا كل واحد » (كور 4 : 6) ومتى اديت جميع اعمالك بوداعة ورضا ويشاشة ولطف صار كل ما لديك مهلاً ، وامكاك اتمامها بلا تعب ولا عناء ، لأنك تكون في سلام ولا يعرف الضجر له مكاناً من نفسه ، لكن ان كنت قاسياً في الكلام ومتجرفاً في الجواب فانك لا تحتمل نقائص الآخرين وتضجر لتأفة الامور . تسام نفسك وتتضيق روحك وتشعر بحزن داخلي يجعلك تهمل وتتكلس ، ويصعب عليك اقل الاعمال شيئاً . بل تكون مثلاً سيئاً لكل من يراك .

ان تكلم معك احد بحدة وغيظ ، فلا تعامله كما عاملك ، سل جاؤبه بوداعة ولطف ، وأن لم يمكنك ذلك في هذا الوقت لشدة هياجه فتشاغل عنه وكأنك لم تسمعه . ولا يظهر على وجهك اشتئاز او ضجر . لأنه لا يليق بك ان تطفئ نيران الحب الملتقبة بقطرات من الماء قليلة . لا تكلم بهياج ولا بغيظ ولا بصوت مرتفع بل احتفظ سلامة قلبك وسكن عقلك وهدوء ضميرك . لا تفقد نفسك السلام والاطمئنان لأمور لا طائل تحتها ، تضرك ولا تقيدك . لا تجمع حطبًا على نار غضب غيرك ، ولا ترفض توبيخ احمد .

ان العدو يسعى كثيراً كي يشعل نار الخصم بيتك وبين اخوته . فلا تساعد في احتدامها ولا تزد اضطرابها وتمدها بالحطب بكلمه وحدتك . بل اخمدتها حالاً واطفئتها واطرد الخصم من قلبك . لا تتركه هر لغيط يتولد في نفسه ، ولا تدع الشمس تغرب على غيظه . اياك ان تلزم الحب ، وتحرج الوداد بشيء ، بل عالي كل شيء باللطف والدمة ، وإذا خصاء قلبك خوك ذُتصنح عنه ويسأله ويسأله من انت مدح من هذرة صغيرة فرطت منه . سببها العدو لزرع بذور الخصم . تعلم عليه او

تفكر في اذلاتقام منه . بل اعتبره عضوا من أعضائك . والعضو لا يقتصر من عضو آخر ألمه ، ولم نرقط انساناً قلع اسنانه لأنها عضت لسانه ، ولا ينتقم من قدمه لأنها زلت وعثرت في الطريق فتهشم أحد اعظامه ، ان لم تغفر لن انساء اليك . فلن تستطيع ان تقول لله « اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن ايضاً للمذنبين اليها » .

لا تفرح بسقوط أحد ولا بذمه ولا بظهور نقيبة فيه ولا بحصول ضرر له . بل احفظ قلبك كل محبة وسلام لمحييك وللذين يسيئون اليك و . لا تقل كما فعل بي هكذا افعل به أرد على الانسان مثل عمله » (ام ٢٤ : ٢٩) بل احفظ ذلك التعليم المقدس . « أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم . احسنوا الى مبغضيكم . وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم . لكي تكونوا ابناء أبييكم الذي في السموات . فانه يشرق شمسه على الاشرار والصالحين ، ويطرد على الابرار والظالمين . لأنه ان أحببتم الذين يحبونكم فائى اجر لكم . أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك ، وان سلمتم على آخوتكم فائى فضل تصنعون . أليس العشارون أيضاً يفعلون هكذا . هكفاروا أنتم كاملين كما ان أبيكم الذي في السموات هو كامل » (مت ٥ : ٤٣ - ٤٨) .

ليرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وحبايج وتجديف مع كل خبث ، وكونوا لطفاء بعضاكم نحو بعض ، شفوقين متسامحين كما سامحكم الله ايضاً في المسيح » (اف ٤ : ٣١ و ٣٢) .

الا تذكر ما فعله ويفعله الله معك كل يوم . الم يغفر لك آثامك ويستر عيوبك . لقد طرحتها الى العمق ومحاتها ، فلماذا لا تكون أنت هكذا مع أخيك . تعلم الا تذكر اسأاته والا تخطر على بايك كلمة منه ألمتك ، بل اصرف من ذهنك كل ما هو سيء ، واذكر له حسناته واطرح في أعماق البحار ما اثار الغضب بينك وبينه ، لا تكن حقدوا على احد . لماذا تدنس قلبك الذي زرعت فيه ازهار الحب والاخلاص وسقيته بماء اللطف والعذوبة . فلتتم فيك شجرة المحبة وتتأصل . لتقتلع من داخلك زوان البعض والشحناه وبذور الشقاوة والانتقام . ان حقدت فقدت السلام . ولن يعود عليك من ذلك سوى الخسران . فانس كل مرارة وافتراء واهانة وسخط حدث لك من غيرك ، ولا تسعم لاثر من آثارها ان يبيت في قلبك والا أوقعت نفسك في غضب واثم ، ومكثت في قلق مستمر .

ان تذكر الامانات والشتائم يستثير البغض في النفس . وهو سيسرى في القلب فيفسده ، ويبيد السلام ، وينزع السلوان الروحى ، وهو

يرى الخبيث ويجدد الفحشة ويولد الحسد والغضب ، وهو ائم ثقيل ويغى
وطغيان وشر لا يطاق ، وصاحبها يشبه افعى مخفيه في وكرها ولكنها حاملة
معها السم في بدنها . اذكر أن حفظ المرأة والسيطرة سبب دفين ، ويجب
عليك أن تتنزعه من قلبك . ان ابتيغت أن تذكر الاهانات . فاذكر ما لحقك
من اعدائك الروحيين . وكم اهانوك وأوقعرك في عثرات كثيرة ، وإذا شئت
الانتقام فانتقم منهم لأنهم قادوك مرات عديدة إلى الخطية . لو كنت مسيحيًا
حقيقةً لك روح الصدق والغفران . بل لحزنت على ذلك الأخ الذي أساء
إلى نفسه أكثر من أساءته إليك . لأنه أوقع نفسه تحت طائلة الانتقام الله .
ليتك تنتظر استفانوس والأحجار تنهيأس عليه وهم يرجمونه . ومع ذلك
مات وهو يصرخ بصوت عظيم « يارب لا تقم لهم هذه الخطية » (اع ٧ : ٦٠) .

قال الرسول « محتملين بعضكم بعضاً ومسامحين بعضكم بعضاً إن كان
لأحد على أحد شكوى كما غفر لكم المسيح هكذا أيضًا » (كو ٣ : ١٣) .

لا تنتقم لنفسك . فيكتفى الانتقام من رب وغضبه ، لا تأخذ سلطان الله
وحقوقه وتتحلها فتنتقم من أعدائك . يا من ت يريد أن تأخذ ثارك بالانتقام
ماذا يفيدك وقوع الضرر بمن أضرك . هل ذلك يشفى غليلك أو يبرئ جرحك
وببعد عنك الضرر الذي ألم بك . هل ينتج خيرك من شر توقعه بغيرك ؟ لا
فإن ذلك محال . الا فائز عنك هذا الوهم وتعلم الصدق والغفران .

ان الرب انتقم من اخوه يوسف جزاء عملهم . لذلك قال بعضهم
لبعض « حقاً اتنا مذنبون الى أخيانا الذي رأينا ضيقه نفسه لما استرحمنا
ولم نسمع . لذلك جاءت علينا هذه الضيقه ... فهوذا دمه يطلب »
(تك ٤٢ : ٢١ و ٢٢) وآخاب لما قتل نابوت اليزرعيلى ارسل الرب ايليا
النبي قائلاً له « في المكان الذي لحسست فيه الكلاب دم نابوت تلحس
الكلاب دمك أيضاً » امل ٢١ : ١٩ وفرعون لما أغرق أطفال بنى اسرائيل
انتقم الرب لهم باغراق المصريين في البحر . وأدوني بازق سمع الرب لبني
اسرائيل أن يقطعوا أباهم يديه وجليه نظير عمله لذلك قال « سبعون ملكاً
مقطوعة أباهم أيديهم وأرجلهم كانوا يلقطون تحت ماشدتى . كما فعلت
هكذا جازاني الرب » قض ١ : ٧ والحقيقة بما أنها خدعت الانسان فقد
عاقبها الرب بأن تزحف على الأرض وتتكل التراب . والمرأة لأنها أطاعت
وتلاذت بالثمرة عاقبها الله بالوجع عند الولادة ، والرجل لأنه أكل من
الشجرة المنهى عنها عاقبها الله بأن يأكل خبزه بعرق جبينه . فتعلم أنت أيها
الانسان من ذلك أن في الوجود لها يثبت ويعاقب ويحاسب على كل شيء .
وأما أنت فليس عليك سوى أن تترجم وتصفح وتغفر وتسامح .

إله تخطيء وتسيء كل يوم إلى الله وهو طويل الإناء عليك ولم ينتقم
ذلك . فما بالله تغضب وتود الأسراع في الانتقام من أساء إليك ولا
تطيل إناءك عليه لعله يعود إليك طالباً الصدق والعفو ف تكون بذلك قد
اكتسبت أخاك وسرت في طريق الفضيلة ، فإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا
يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم » مت ٦ : ١٥ « لأن الحكم هو بلا رحمة لن
لا يعمل رحمة » يع ٢ : ١٣ « اذكر ما فعله السيد بذلك العبد الذي لم يغفر
للعبد رفيقه » هكذا انتم ان لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته » مت
١٨ : ٣٥ .

الفصل الثاني والسبعون

كيف تتحذ الأصدقاء ومعاشرة الآتقياء

الفضلاء وعدم مخالطة ذوى الرذيلة

ان اتخاذ الأصدقاء من الضروريات للإنسان ، فانهم قوة في الحياة ، وذينة في الرخاء ، وعدة في الشدة ، وعون في الملمات ، وسلوى في الوحيدة . فعليك بانتخاب أصدقاء صالحين ، فقد تكتسب منهم أديباً وأنساً وعوناً وارشاداً ، ولقد تحتاج إليهم في أحوال عده .

هذا اذا كان أصدقاؤك وعشراؤك من الأدباء ، أصحاب الفضل ، الذين يخلصون لك الود ، ويقدرون الصدقة قدرها ، ولكنهم اذا كانوا من طبعوا على الخسنة واللؤم ، فسوف تصير مثلهم وبحكم عليك بما حكم عليهم ، لأنه من المستحيل الا تكتسب شيئاً من طباعهم ، وبينك وبينهم صدقة ومودة ، ولذلك قيل لا تصحب شريراً فأن طبعك يسرق من طبعه وانت لا تدرى ، فلا تعاشر من كان دأبه الشر والخبث والرياء والنفاق ، بل اصحاب ذوى الأخلاق الفاضلة والسميرة المحمودة ، والمتحلين بالنزامة والعفة والاستقامة والأخلاص . لا تتحذ لك خليلاً الا وهو مثالك او ارفع منه عقلاً وادباً ، ولا تتجل في انتخاب الأصدقاء ، بل تأن ولا تتحذ لـ صديقاً الا بعد الاختبار الطويل .

احرص كل الحرص على أصدقائك الصالحين المخلصين ، فقد يتبعك الانسان كثيراً ليحصل على صديق مخلص ، واعلم ان الأصدقاء المخلصين كثيرون يندر الحصول عليه . لا تضيع صديقاً لك بعد اصيافائه اليه او عدم المعاشرة الرضية له . لا تهجر صديقك لوجه يداهلك ، او لاشتعاله بصديق جديد او لأقل عيب يبيدو منه او زلة يسقط فيها ، والا فلن تحصل على صديق مدى الحياة . لا تنتقل من صديق الى آخر بدون سبب لئلا تكون كطير يترك غصناً ويقع على آخر فلا يمكنه أن يبني عشاً على أحد الأغصان . كذلك أنت لا تستطيع أن تحصل على موضع من قلب أى إنسان ان انتقلت من مصادقة هذا الى مخالفته ذلك . فاحرص عليها العاقل على أصدقائك وتذكر ان خسارة الأصحاب المخلصين اشر من ضياع الجوهر الثمين .

اذا تصادقت او تحابيت مع صديق ، فسر معه بالخلاف ، وصدق وسلامة

نِسْةٍ ، وَنُقْ عَلَيْكَ الْوَدَادَ يَبْنَكَ وَبَيْنَهُ ، وَلَا تَؤَاخِذْهُ عَلَى كُلِّ هَفْوَةٍ وَلَا
تَذَكِّرْ لَهُ سَيْئَةٌ ، يَلْ انسُ كُلِّ غَلَطَةٍ يَسْقُطُ فِيهَا ، وَلَا تَسْمَعْ لِقَلْبِكَ أَنْ يَدْخُلْهُ
شَيْءٌ مِنْ جَهَتِهِ ، وَلَا لِتَصْوِرَاتِكَ أَنْ تَجُولْ فِي مِيَادِينِ الْأَوْهَامِ لِتَقْنَنْ بِهِ الظَّفَونَ
الَّتِي رَبِّيَ لَمْ تَخْطُرْ عَلَيْكَ بَالِهِ . لَا تَقْطَعْ حَبْلَ مُودَتِهِ إِلَّا يَسْرُ كَبِيرًا وَشَرِّ
مُسْنَطِيرٍ عَجَزَتْ عَنْ ابْعَادِهِ عَنْكَ . كَنْ صَبُورًا وَاسْتَعْمَلْ الْحِكْمَةَ وَالثَّانِي
لِعَلَى الْخَلَفِ يَزُولُ . قَالَ الْحَكِيمُ ابْنُ سِيرَاخَ « سَاعِيْ صَدِيقِكَ ثَاعِلَهُ إِمْ يَقْلُ .
وَانْ كَانْ قَالَ فَلَا يَكْرَرُ الْقَوْلُ . عَاتِبُ صَدِيقِكَ فَإِنَّ النِّيمَةَ كَثِيرَةٌ ، وَلَا
تَصْدِيقُ كُلِّ كَلَامٍ ، فَرَبُّ خَاطِئٍ لِيَسْتَ زَلَّتَهُ مِنْ قَلْبِهِ ، وَمِنْ الَّذِي لَا يَخْطُئُهُ
يَلْسَانَهُ . عَاتِبُ قَرِيبِكَ قَبْلَ أَنْ تَهْدَدَهُ » (۱۹ : ۱۳ - ۱۷) وَمِنْ عَاتِبِكَهُ
فَلَيَكُنْ ذَلِكَ بِكُلِّ وَدَاعَةٍ وَحَلْمٍ ، وَلَا تَذَكِّرْ لَهُ كَلْمَةٌ تَؤْلِمُهُ لَئِلَا يَعُودُ عَاتِبَهُ
بِالشَّرِّ ، وَبَدِيلٌ لَمْ تَكُنْ الْحُبُّ تَزِيدُ الْجَفَاءَ وَتَجْلِبُ التَّغْفُورَ .

لِيَكَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ صَدِيقِكَ نَوْعٌ مِنَ الْمُسَاوَةِ . فَإِذَا كُنْتَ أَرْفَعُ مِنْهُ مَقَامًا فَلَا
يَنْبَغِي أَنْ تَعْاملَهُ مَعْالَمَ الرَّفِيعِ لِلْوَضِيعِ ، أَوْ كَعْدَ رَقِيقٍ ، فَفِي ذَلِكَ ذَلِكَ ذَلِكَ
عَقَابَ الدُّنْسِ الْعَزِيزَةِ ، وَانْ كَانَ أَرْفَعُ مِنْكَ فَلَا تَعْاملَهُ إِلَّا بِمَا يَحْفَظُ كَرَامَتَكَ
وَيَصْسَوْنَ مَرْوِعَتَكَ . أَحَبُّ جَمِيعَ النَّاسِ وَلَكِنْ لَا تَعَاشِرُهُمْ وَلَا تَخَالُطُهُمْ كُلَّهُمْ .
لَا تَثْثُثْ بِصَدِيقِكَ أَوْ تَبْعَثْ لَهُ بِأَفْكَارِكَ وَأَسْرَارِكَ قَبْلَ أَنْ تَخْتَبِرْهُ حَدِيدًا . لِتَكُنْ
مَحْبُوكَ لِلْبَمْبَعِ وَسَلَامِكَ مَعَ الْكُلِّ ، وَلَكِنْ مَرَكَ لَا يَكُونُ مَعَ كُلِّ حَدِيدٍ . أَنْ
كُنْتَ صَدِيقًا فَلَا تَتَنَقَّلْ عَدُوًّا ، وَلَا تَسْرُعْ بِرُوحِكَ إِلَى الْغَضْبِ مَعَ صَاحِبِكَ لَأَنِّي
سَبِبَ . بَلْ كَنْ مَحْتَمِلاً وَمَتَّأْنِيَا وَحَلِيْمًا مَعَهُ . الصَّدِيقُ الْأَمِينُ مَعْقُلُ حَسَبِنَ ،
بُوسُورُ مُنْبِعِ مِنْ وَجْهِهِ فَقَدْ وَجَدْ كَنْزًا ثَمِينًا ، لَا تَخْسِرْ صَدِيقًا لَكَ يَكُونُ
مَحْبًى وَوَدِيعًا وَمَرْأَفًا لَكَ وَمَشْتَرَكًا مَعَكَ فِي سَرُورِكَ وَآلَامِكَ . فَانِ الْأَصْدِقَاءُ
مَحْكَمَةٌ وَرِزْنَةٌ مَعَ اصْدِقَائِكَ كَيْ لَا تَخْسِرُهُمْ وَيُخْسِرُوكَ . فَانِ الْأَصْدِقَاءُ
الْأَمْنَاءُ الصَّادِقِينَ وَالْخَلَانُ الصَّالِحِينُ هُمْ دَوَاءُ الْحَيَاةِ ، وَعُشْرَتِهِمْ لِذِيَّذِهِ
وَسَعِيَّدَةٌ « الْأَخُونُ مِنْ مَدِينَةِ حَصِينَةٍ » (ام ۱۸ : ۱۹) « الصَّدِيقُ
يَحْبُّ فِي كُلِّ وَقْتٍ . إِمَا الْأَخُ فَلَلْشَّدَّةِ يُولَدُ » (ام ۱۷ : ۱۷) « الصَّدِيقُ
الْأَصْحَابُ يَخْرُبُ نَفْسَهُ وَلَكِنْ يَوْجَدُ مَحْبُ الزَّقِّ مِنَ الْأَخِ » (ام ۱۸ : ۲۴) .
لَازِمُ الْحَكْمَاءِ وَرَافِقُ الْعُلَمَاءِ . اقْتَدِ بِأَهْلِ الْكَمَالِ وَاکْتَسِبْ قَدْوَةً مِنْ
سِيرِ الْأَفَاضِلِ . اسْمَعْ كُلِّ حَدِيثِ يَنْفَعُكَ ، وَاعْمَلْ بِهِ ، انْ رَأَيْتَ عَاقِلاً
حَكِيمًا فَطَنَا فَاسْتَمْعَ إِلَيْهِ وَاصْبَحَ إِلَيْهِ بِعْقَلَكَ وَقَلْبَكَ ، قَالَ الْحَكِيمُ ابْنُ سِيرَاخَ
« لَا تَبْدِلْ صَدِيقًا بِشَيْءٍ زَمْنِي وَلَا أَخَا خَالِصًا بِذَهَبٍ أَوْ فِيْرٍ » (۷ - ۲)
« اخْتَبِرْ النَّاسَ مَا اسْتَطَعْتُ وَشَأْوَرْ الْحَكْمَاءَ مِنْهُمْ ، اجْعَلْ عَشْرَتَكَ مَعَ
الْعَقْلَاءِ وَكُلِّ حَدِيثِكَ فِي شَرِيعَةِ الْعُلَىِ » (۹ : ۲۱ وَ ۲۲) « الْمَسَايِرُ الْحَكْمَاءُ
يَحْسِبُ حَكِيمًا وَرَفِيقَ الْجَهَالِ يَضُرُّ » ام ۱۲ : ۲۰ « لَا تَسْتَعْمِلْ غَضُوبًا
بِوَعِيْمِ رَجُلٍ سَاحِطٍ لَا تَجْمِعُ لَهُ لَالِّا تَأْلِفُ طَرْقَهُ وَتَأْخُذُ شَرِكًا لِنَفْسِكَ » (ام ۲۲ :
۲۵ وَ ۲۶) « لَا تَخَالُطَ الْمُتَقْلِبِينَ » ام ۲۴ : ۲۱ .

« ان كان أحد مدعوا أخا زانيا أو طماعا أو عابد وتن أو شاما أو سكيرا أو خاطفا لا تختالطو ولا تؤاكروا مثل هذا » (أكو ٥ : ١١) « لا تدخل في سبيل الأشرار ولا تسر في طريق الأئمة . . . تنكب عنه . . . لا تمر به . . . حد عنه واعتبر . لأنهم لا ينامون إن لم يفعلوا سوءا ، ويترفع تومهم إن لم يسقطوا أحدا ، لأنهم يطعمون خرز الشر ويسربون خمر الظلم ، أما سبيل الصديقين فكتور مشرق يتزايد وينير إلى النهار الكامل ، أما طريق الأشرار فكالظلم . . . لا يعلمون ما يعثرون به » (أم ٤ : ١٤-١٩) أعلم « أن العاشرات الرديئة تقصد الأخلاق الجيدة » (أكو ١٥ : ٢٢) من لمس القار لصدق به ، ومنعاشر الأردياء اكتسب منهم صفاتهم . لن يوجد مرض يعدي كما تعدى الأخلاق الرديئة أصحاب السجايا الصالحة . فاهرب وأبعد عن كل ردئ خبيث واحتسبه شرًا من اللصوص والخونة . فإن السارق إنما يسرق امتلك أو مالك وأما هذا فإنه يسلبك شرفك وأخلاقك . إنه يسرق غنى النفس والفضائل الثمينة التي هي أغلى من اللذائِي . ما بالك تبعد عن المريض بالوباء خشية العدو مع أن صاحب الأخلاق السعيد ذو عدو أثبت منها . فاعتزلوا عن حيام هؤلاء القوم البغاة . ولا تمسوا شيئا مما لهم لثلا تهلكوا بجميع خطایاهم » (عد ١٦ : ٢٦) .

ان شئت ان تعرف أخلاق الانسان فانظر الى خلاته واصحابه ومعاشريه . قل لي ايها الانسان عن خلاته وأصدقائه . وأنا اقول لك من انت وما هي اخلاقك . من طلب انسانا مهذبا تقينا بين عشراء اشرار كمن يطلب نارا في ماء واثمارا من شوك .

ان معاشرتك للاتقىاء تكسب فضيلة . وتجعلك واحدا منهم . فشاول لما اجتمع مع الأنبياء تتباً مثالم . ولكن لما كان بين الجهل صار جاهلا . بطرس حينما كان في وسط التلاميذ أقر واعترف بأن المسيح ابن الله . ولكن لما كان في دار قيافا انكره ثلاثة مرات . فالمعاشرة تؤثر في الأخلاق بل تجعل الانسان كعشيره . ان الفحش يستعمل باقترابه من الفحش الماتهب ، كذلك انت بمرافقتك واقرائك من اهل الفضيلة تستثير مثالم فان كانت اخلاقك غير متكاملة فصديقك الذي يبعث فيك نور الفضيلة . ذكر في الكتاب ان ميتا لس عظام اليشع النبي فقام للحال حيا (٢ دل ١٣) لهذا الخطأ متى عاشر الأنقياء يقتبس من خصالهم فيكره رذائله ويعود إلى حياة النعمة : الرب بارك لابان لنزول يعقوب عنده (تك ٢٤ : ٥) وببارك بيت الرجل المصري لأجل يوسف تك ٣٩ : ٥ ولوط لما كان مرافقا لأبراهيم حصل على ثروة طائلة ، ولكن لما سكن بين الأمم خسر أمواله

حتى استرجعها له ابرهيم بعد ذلك (تك ١٤٣ و ١٤٦) وبولس لما كان مسافراً في البحر وحصل نوء عنيف وانكسرت السفينة ، نجا جميع الذين كانوا فيها وعددهم متنان وستة وسبعون نفساً اكراماً لبولس (اع ٢٧ : ٢٤) فمرافتكم لأهل الكمال تعلمكم الكمال ، وعشرتكم لأرباب الفضيلة تسيركم في الفضيلة . فاختر لنفسك ما يجلب لك الحظ الواشر . عاشر الأفضلين وابنفع بكلامهم العذب ونصائحهم المفيدة ، اقتد بهم في مناقبهم الصالحة وابتعد ما سلكوه في طريق الخير والكمال . فكما أن استنشاق الهواء الجيد ، والسكنى في الأماكن العادلة مما يفيد الجسد ، كذلك معاشرة الأنبياء فانها نافعة ومفيدة لسجايتك وأخلاقك وخصالك ، وإن كنت ترحل من مكانك وتقصد الأرضي المعتدلة الهواء لأجل جسدك وحصولك على الصحة والعافية ، فما بالك لا تهرب وتفر من مخالطة الأشرار ، وتنفصل عن عشرتهم السيئة ، وتقصد معاشرة الأنبياء والقديسين .

قال ابن سيراخ « الصديق الأمين لا يعادله شيء وصلاحه لا موازن له » (ص ٦ : ١٥) . ما أقل وجود الأصدقاء الأمانة والخلصين الحقيقيين في هذا العالم ، فإن أكثر الناس الآن يحبون ذواتهم . وإن أظهروا لك البشاشة واللطف والتجليل ، فانهم يتغيرون غداً وفي الغالب تجد كثيرين يظهرون لك الحبة لمنفعة يرجونها أو لخير يؤملونه منك . فابحث ودقق واختبر أخلاق من معاشرة قبل أن تصادقه ، فربما كان من يصادقك لا يحبك ولكنه يحب مالك أو جاهك أو النفع الذي ينتهي من ورائك ، وقد لا يخدمك الواحد اكراماً لحبه لك ، بل لأجل ما تستطيع فعله لمنفعته . فإن الغراب الذي أطلقه نوح رجع إلى السفينة لما لم تكن مياه الطوفان قد غاصت بعد ، ولكن عندما أطلقه مرة ثانية لم يعد إلى صاحبه لما وجد ما يقتات به ولم يحفظ عشرة من عاليه مدة مائة وخمسين يوماً وأنقذه من الموت . فيكثرون في العالم يظهرون لك أنهم أصحابك وأصدقاؤك ، يزورونك ويمدحونك لأنتقاضهم إليك لقضاء أغراضهم ، وما داموا قد بلغوا ما يريدون منك قلن تلقى منهم وفاء ولا يعودون يلتفتون إليك ، فهوؤلاء الذين كنت تظنهم خلائق وأصدقاء ليسوا في الحقيقة كما توهمت .

قال ابن سيراخ « في زمن الخير لا يعرف الصديق ، وفي أوان البلية يعرف العدو » الشجرة وهي مشمرة يتربى عليها الناس يطلبون ثمرها ، وحين انقطاع الثمر منها تهجر وتهمل ولا يعنى بها .

أورشليم في زمان مجدها وعزها كان يتقرب إليها جيرانها ويسلامونها ، ولكن لما خربت رثاها أرميا باكيًا ذاكراً قائلاً « كيف صارت كأرملا العظيمة في الأمم ، السيدة في البلدان صارت تحت الجزية ، تبكي في الليل بكاءً

وسموها على خديها ، ليس لها معز من كل محببها . كل أصحابها غدوا بها . صاروا لها أعداء ، (مرا ١ : ٢١) .

الزئبق يتحد مع الذهب ملتقطاً أيام أينما كان ، ولكن متى دخل الذهب النار تحول الزئبق وفتر هارباً ، فكثيرون يظهرون الاتحاد بك الأخلاص والمودة ، ومتن سقطت أو وقعت في تجربة انقلبوا عليك أو تركوك وحشك في شدائرك فایاك والاغترار بمثل هؤلاء . فان الصديق الأمين هو الذي يهتم بخيرك الروحي والجسدي وخلاص نفسك ، وليس هو الذي يداهنك ويتملكك ثم يروع منك . هو الذي يغار عليك ، يحزن لمسائلك ، ويتألم لأنك ويشارك في سائر أمورك ويتوسل إلى الله لأجلك وينصحك دائمًا بالمحبة . لا توجد صدقة صحيحة ولا محبة صادقة إلا في الله وبإله . ان شئت صديقاً وودواً أميناً محبًا كريماً تسلم له قلبك وأفكارك ، فلن تجد غير الله الذي لا يغفل عن محببته . انه لم يهمل يوسف في سجنه ، ولم يترك داود في اضطهاده ، ولا سوسنة في محنتها ، انه لا يتخلى عن اصحابه وقت الشدة ، بل حين يهجرك الأصحاب والأقارب ، وحين ترك ليل هذه الحياة لا يكون لك صديق سواه ، يسير معك ويبلغك إلى مقر الراحة الأبدية ، ودونك أيضاً صديقاً آخر يؤكلك ويعاشرك ويسير معك ، وإذا فرحت فرح معك وإذا تالم معك ، وهو مرافق لك في كل أدوار الحياة ، وسيضطر يوماً ما أن يسير معك في طريق الأبدية ، وهو ضميرك . انه صديق أمين عادل ، لو سمعت له واتبعته ارشاده استغنت عن كل صديق غيره .

الفصل الثالث والسبعين

اجتناب دينونة الآخرين والاحتراس من الظنون الرئيسية

واحتمال نعائص الغير

ان في داخلنا ميلا خفيا كاملا يتطلع دائما الى الوقوف على نعائص الآخرين ودينونتهم ، وهذه السجية تتولد من الكبراء وحب الذات . فامت هذا الميل من داخلك ، ولا تدعه يحيا فيك ويبحث عن نعائص الناس وزلاتهم ويدينهم . وأعلم ان الأطلاع على الخفايا والبحث عما في القلوب هو من حقوق الله وحده ، ولم يشا اعطاءه للناس فلا تختسه وتتخذه لنفسك . فمن اقامك رقيبا على الناس ، ومن خولك حق الدينونة حتى تدين غيرك ؟ لا تتعب نفسك وتتفتش عن نعائص الناس وزلاتهم بل افحص ضميرك وادخل مخدع قلبك وحاسب نفسك على ما فعلت فانك ان فعلت ذلك وجدت نعائص كثيرة وزلات متعددة تناديك بأن تلزم لسانك عن غيرك ، وتعلمك ترك الدينونة وتأمره بالسرف بقريبك . خف فقط على نفسك ، حاسب ذاتك ، فتش ضميرك ، ابىث عن نعائصك . أصلح نفسك ، اعلم انك غير مسئول عن غيرك ولا تجازى أمام الله والناس بغير ما تعمل .

من جملة ثمار الحبة الشهية التي تتولد في نفوسنا عدم الظن السيء في أحد ، ولكن عدو الخير الذي لا يهدى الا بنقض كل بناء للمحبة . يسعى ويحركنا إلى الظنون الرديئة حتى نظن بالآخرين ظنونا هم أبراء منها ، أو يجعلنا نحكم على بعض خصالهم ، وإذا بحثنا وجدنا أنهم أفضل منا ، ولكن ينهب سلامنا الروحي يجتهد أن يلقي في قلوبنا ظنونا لا يصل لها ، ومتى سقط أخ لنا في زلة خفيفة معنا ينتهز العدو الفرصة ليكبرها لنا وينشئ في أذهاننا أفكاراً ويولد فيها شكوكاً . فان شئت ان تزيل هذه الظنون الخبيثة ، وتصون الحبة من الأشواك ، فاذزع كل شك واخرج كل فكر فاسد من قلبك حتى ولو كان صحيحاً ، وأنظر إلى أخيك من جهة حسناته ولا تدع الشكوك تلجم عقلك وتستولى على فكرك ، لأن الظنون سبب المحبة ، وسوء الاتحاد ، وجراحته شر وفساد لوحدة أمة الله وحده . الشكوك طاعون خفي وسم دفين يولد الغدر ، وينشئ الأفكار الدنسة ، ويفسد القلب ويمزق سلام الجماعة . ما بالك تذكر عيوب القريب ، وتهين اسمه ، وتشين صيته ، وتفتح باباً للبغض والاحتقار . إني أثم تجلبه على نفسك ، وأية خطية تحترمها بهدم صيت قريبك وتلم

عرضه وكرامته أمام الناس يظنونك الرديئة ، من غير دليل لديك أو حجة عندك . هبك أقمت دليلاً فمن كلك به ؟ اعلم أن ذلك خطية عظيمة وجرم شديد عند الله والناس وهم الفضيلة والأنسانية والكمال والاحتشام والبناء الروحي . كيف تفترى على أخيك وتظن فيه السوء وتختبر ضده الشرور والماضي وهو ساكن آمن . إن الله لا يغفر لك هذا الأئم أن كنت لا تصلح قلبك ، وتربي فيه الحبة الكاملة التي لا تحسد ولا تحقد ولا تظن السوء بالآخرين .

الا تحزن وتقاول لو عاملك غيرك بما عاملت به قريبك . الا تقتم لو ظن أحد فيك سوءاً . أما كنت تحسب أنه أهانك وأساء إليك بهذا الفعل التمهيم ، فلماذا لا تسلك أنت هذا الطريق . وكيف تعامل الغير بما لا تزيد أن يعاملوك به .

« لا تدينوا لكي لا تدانوا ، لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون ، بالكيل الذي به تكيلون يكال لكم ، ولماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك ، وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها ، أم كيف تقول لأخيك يعني أخرج القذى من عينك وما الخشبة في عينك ، يأمراني أخرج أولاً للخشبة من عينك وحيثند تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك » (مت ٧ : ٦ - ٥) .

« لذلك أنت بلا عنز أيها الإنسان ، كل من يدين ، لأنك فيما تدين غيرك تحكم على نفسك ، لأنك أنت الذي تدين تفعل تلك الأمور علينا » (رو ١٢ : ٣) .

« من أنت الذي تدين عبد غيرك ، هو لولاه يثبت أو يسقط » (رو ٤ : ٤)

« وأما أنت فلماذا تدين أخاك أو أنت أيضاً لماذا تزدرى بأخيه ، لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرس المسيطر فلا نحاكم أيضاً ببعضنا ، بل بالحرى أحکموا بهذا أن لا يوضع للاح مصدمه أو معثرة » (رو ١٤ : ١٠ و ١٢)

« إذا لا تحكموا في شيء قبل الوقت ، حتى يأتي الرب الذي سيثير خفايا الظلم ويفجر آراء القلوب ، حيثند يكون المدح لكل واحد من الله (أكو ٤ : ٥) .

« لا يلزم بعضكم بعضاً أليها الأخوة ، الذي يلزم أخاه ويدين أخاه يلزم التاموس ويدين التاموس ، وإن كنت تدين التاموس فلست عاماً بالتاموس بل بياناً له .

واحد هو واضح الناموس القادر ان يخلص ويهلك فمن انت يا من تدين غيرك •
بع ٤ : ١٢ و ١١ .

من اقامك ديانا وقاضيا حتى تعلو منبر القضاء وتحكم بالظلم والغدر والسوء على غيرك . فاكرر عليك القول الا تخalis حقوق الله ، ولا تسرق دينونة القادر على كل شيء . فهو المطلع وحده على القلوب والضمائر وكل شيء مكشف وعريان أمامه . ان الظنون الرديمة ودينونة الآخرين تنشأ من الكبriاء الأمر الذي بسببه يظن الانسان أنه شيء ، او أنه حاصل على ما لم يحصل عليه غيره من الفضائل والمواهب . ولكنك لو اتضعت وعرفت حقارة ذاتك لا جتنبت الدينونة ولما تطلعت الى نفائص الغير . فراقب نفسه لتسلا يقال لك « أيها الطبيب أشف نفسك » . ان رأيت نقىصة في قربك فابحث ذاتك هل هي فيك أم لا ، فان وجدتها كامنة في شخصك فاجتهد ان تتزعها ، وأن وجدت فضيلة أو محمدة في آخر فاكتسبها منه ان كانت غير موجودة عندك ، لأن ذلك اليق وافضل لك . ضع امام عينيك أن البفضة تبيح خصومات والحبة تستر كل الذنوب (ام ١٠ : ١٢) « ومن يستر معصية يطلب المعبه ومن يكرد امراً يفرق بين الأصدقاء » (ام ١٧ : ٩)

لا تطمع ان يكون جميع الناس خالين من النفائص فلا بد ان يظهر من العجز والضعف نفائص كثيرة يجب ان تحتملها ، وأن لم تحتملها فكيف يتحمل الناس نفائصك ، هل تظن انك خسال من العيوب ، فان كنت لا تقدر ان تقوم ذاتك كما تزيد ، فكيف تتوقع ان يكون غيرك خاليا من النفائص .

لا أحد بغير نقىصة ، ولا انسان خاليا من عيب وما من أحد يحيى الكمال . بل كلنا في حاجة لأن نحمل بعضنا بعضاً ، وينصح ببعضنا ببعض ، لأننا جميعاً مفترون إلى المعونة والمساعدة والصفح والسامح والشفقة ، كلنا في حاجة إلى الرفق والتأنى والاحتمال والغفران .

اعرف ذاتك وما فيها من النقص والضعف والوهن ، ولا تمكر سفوه من زلات صفيرة تجدها في الغير .

روض نفسك على ذلك ، وثبت علائق المودة بيته وبين اخوانه بذلك فإنه توطد دعائم الأمن والسلام :

الفصل الرابع والسبعين

الاغتياب والنميمة

الاغتياب دود فاسد يمتص دم المحبة ، وهو يتولد من فساد القلب بتجاهله الضمير . ينشأ من الظنون الرديئة ، وهو ابن للكبراء ونبيب للاذعاء . وعامل الفتنة ، وزوان بين الفة الجماعة ، وزارع الخصومات ، ومقلق السلام ، ودليل البغض والكرامة ، ونتيجة المقت ، وهو شر أشد قبحاً من السرقة . لأن السارق إنما يسرق الأشياء العرضية والمواد التي يمكن تعويضها ، ولكن النمام يثقب أعراض الناس وصيتها ويسلط على العرض والشرف والصيت التي هي أثمن بكثير من المال ، لأن الصيت أفضل من الغنى (ام ٢٢ : ١) .

كلام النمام مثل لقمة حلوة وهو ينزل إلى مخادع البطن ، (ام ١٨ : ٨) « فلا تقبل خبراً كاذباً ولا تضع يدك مع المافق » (خر ٢٣ : ٤) « بعدم الحطب تنطفئ النار وحيث لأنمام يهدأ الخصم » (ام ٢٦ : ٢٠) « رجل الأكاذيب يطلق الخصومة ، والنمام يفرق الأصدقاء » (ام ١٦ : ٢٨) « مشيع المذمة هو جاهل » (ام ١٠ : ١٨) .

ان سمعت قولًا يشين صيت أحد ، فاعتبر كأنك لم تسمعه ولا تقه به لغيرك ولا تتكلم بما يضاد المحبة ، لا يكفي الا تتلهم في حق القريب فقط ، بل يجب الا تصنفه بأنذك الى اغتيابه ، لئلا يعلق شيء منه في قلبك ويكون عثرة لسلامك . لا يمنعك الحياة ان تصرف المفتاح الى حدث آخر مفید ، وان لم يمكنك ذلك فحسبك ان تنصرف عنه او تقطع الحديث معه بطريقه الطلاق ، ملتفاً نظره الى ان ذلك خطيبة . لأن رغبتك في الاستماع تدل اما على استحسانك الحديث او اشتراكك مع النمام او موافقتك ورضائكه عنه .

اما تخطيء ان رأيت ناراً مشتعلة في بيت قريبك وتستطيع اطفاءها ولم تتحرك الى ذلك ، فكيف اذا ترى نار النعيمة ولهيب الغيبة مشتعلة في حق أخيك ولا تبادر الى اخمادها . ان رأيت نقيبة او عيناً في صاحبه غالباً بك ان تصلى لأجله ، لا ان تندمه وتنتابه ، لأن اغتيابك له لا يصلحه ولا يجديك نفعاً ، وقد يكون من نراه ناقضاً ومذوماً قد تاب الى ربه وقبله ، فكيف يليق به ان تحسبه شريراً والرب قد قبله واحتسبه ظاهراً . هل تعلم انه لن تسقط يوماً ما في تلك السقطة التي كنت تندمها

في غيرك ! خف الله واكشف لسانك عن قريبك ، إنك لن تدان عنه أو تجازى ب فعله ، ولم ترسل مديرا لأمور الناس وأفعالهم وحكمها عليها . فلا تحكم على أحد حتى لو رأيته يفعل خطية ظاهرة ، لأنك لا تعرف آخرته وأخرتك . إن الكرام الحكيم لا يقطف إلا الأثمار الناضجة ويترك الباقي ، فكن أنت كذلك . لا تنتظر في غيرك إلا الصفات الحسنة وتغاضب عن الهمسات ، إن سمعت كلمة رديئة قيلت في حق قريبك فلا تنقلها ، بل احتجد كي تجبر كل صدع وتصلح كل رأب وبذلك تؤلف بين القلوب . احترس من الألفاظ القاسية لأن فظاظة الكلام تربى العداوة والكرامة . لا تنطق بكلمة تغبط أخاك ولا تحاول أن تمس كرامة أحد لا في حضوره ولا في غيبته ، وتعلم أنه خير لك أن تسمو من أن تسبب عترة لغيرك .

« صن لسانك عن الشر وشفتيك عن التكلم بالغش » (مز ٣٤ : ١٢)

« يارب من ينزل في مسكنك ، من يسكن في جبل قدسك ، السائل بالكمال والعامل بالحق ، والمتكلم بالصدق في قلبه ، الذي لا يشي بلسانه ، ولا يصنع شرا لصاحبه ولا يحمل تعيرًا على قريبه » (مز ١٥ : ١ - ٣)

الفصل الخامس والسبعون

طول الروح وعدم الغضب

قال الحكم « طول الروح خير من تكبر الروح ، لا تسرع بروحك الى الغضب لأن الغضب يستقر في حصن الجهاز » (جا ٧ : ٩٦) « بطىء الغضب خير من الجبار ، ومالك روحه خير من يأخذ مدينة » (ام ١١ : ٣٢) الغضب هلاك للنفس ، وأتون يحرق فيه سلام القلب ، ونار تفني الحبة ، هو وحش كاسر مفترس ، وجنسون وقتى ، الضباب يظلم الجو ، فكتلك الغضب يجعل غشاوة على العقل ويعكر صفاء النفس ويؤلماها ، ويصير المزاج سقيماً عليلاً .

الغضوب يقتل نفسه بنفسه ، ويقضى عليها بغيظه . فقلب الغضوب حانق كل حين ، وجبينه مقطب ، ومزاجه سقيم ، وحاله في يأس ، فهو دائمًا حزين النفس ، مكتتب الروح ، فقد الشعور ، عينه شريرة ، وهو مكروه من الجميع . أبا المتمهل فإنه سعيد في حياته وهو كيتبع صاف يصعب تكديره . فالامهال وبعد للغضب مليئ للقساة ودعامة الصلع والسلام . فكن طويل الروح تدل الغبطة والسعادة . فالكثير الآناة يكون دائمًا فرحاً ومسوراً ، والطويل الروح لا يعرف الغضب ولا يشعر بالحقد ، بل يصبر على صروف الدهر ونوابته . اذا كنت طريل الروح فلن تشتعل نفسك غضباً ولن تثب إلى الغيط عند الامهانات ، بل تبقى ثابت الجاثر راسخ القلب لدى كل شيء . الطويل الروح لا يظلم ولا يحزن ولا يتهدى على غيره . وجهه بشوش قلبه ساكن . ضميره هادئ ، عقله رزين ، وكل شيء فيه حسن . يعالج جميع الأمور بالصبر وطول الآناة .

من لا يتخلق بطول الآناة يفقد الصبر ويسرع دائمًا إلى الغضب والخصومات ، ويحتمد غيظاً للنزوء أي محنة به ، ويصير قلقاً مضطرباً في سائر افعاله وحركاته ، ويكون كورقة تحركها الرياح كيف شاءت . فتعلم أن تكون متأنياً طويلاً الروح في كل أمورك فيحسن حالك ويستريح قلبك وينم بالك . ما أسعده ان تعلمت أن تنبذ الغضب لأنك تكون في سلام دائم . وان أبعدت عنك روح الغضب فقد طردت الحرب والاضطراب . عش سالماً واسلاك سبيل الدعة ولا تتكلم بحدة فتنقى عنك أسباب الغضب . وتحير مسكنة للروح القدس . ان حفظت نفسك من الغضب تقدر ان تفني الحبة والدهة والتواضع والصبر . قيه الغضب بسلام من حديد .

وواحسيبه عدوا ظالما ضارا بنفسك . داوه بالوداعة . وأضربه بسياط
اللثاني والسكنون . والجمه بلجام الحبة الخالصة . متى تملكت الغضب
غاضبتك نفسك بالسكت والصمت . اذا أهنت او اعتدى عليك أحد
فليكن دفاعك عن نفسك بهدوء ولين ، لا تعامل غضوبًا وانت غاضب
واعلم ، ان الجواب اللين يصرف الغضب والكلام الموجع يهيج السخط »
« ام ١٦ : ١) « ببطء الغضب يقنع الرئيس واللسان اللين يكسر العظم »
« ام ٢٥ : ١٥) « بطء الغضب كثير الفهم وقصير الروح على الحمر ،
« الحجر ثقيل والرمل ثقيل وغضب الجاهل أثقل منهانهما كليهما » ، « تعلق
الاذنان بيطئه غضبه وفخره الصفع عن معصية » .

وإذا تحدثت مع انسان فليكن كلامك بتمهل وتأن ، وإذا حاججت
او دافعت عن حق فليكن بلا غضب . اذا نصحت فليكن برفق بلطف . ان
شتت تخرج القذى من عين أخيك ، فلا تتحذذلة ضخمة اثلا تتلف عينه .
ذلك الكلام القاسى والتوبيخات المرة فانك تفقد بها اخاك ، لذلك استعمل
الكلام اللين ووبيح بلطف ، عظ بمحبة ، اصلح بدعة ، اتصح بشفقة ، تكلم
 بكل ثان ووداعة . ولكنك ان استعملت الشدة عكرت صفو أخيك وفقدت
حداقته . بعض المعادن كالرصاص يلين بالطرق ، وببعضها كالحديد يزيد
صلابة بالطرق . فالنصالح والتوبيخات الصارمة تفید القلوب للينة
وتقصى ذوى العواطف الخشنة القاسية ، قاطع اذن كل ما يناسبه من الدواء .

الفصل السادس والسبعين

الصمت والاحتراس من فضول الكلام

ان فضول الكلام باب للحقيقة والاغتياب ، وقائد الى المذمة والهذوة والسخرية ، وهو يشتت العقل ويبعد السكون والسلام ، ويزييل التأمل ويعطى حرارة الروح . اما الصمت فحفظ لهدوء العقل وحياة للخشوع ، ورقيب على الافكار ، وقرين السلام ، ومرشد الى حسن الجواب . وهو والد الصلاة ومخبأ لحرارة الروح ، ورفيق للدموع المقدسة ، واخو الندامة وزرع للفضيلة ، وسبيل للارتقاء ، ومن يعرف ان يلجم لسانه فهو ملك قاهر ، اما من لا يعرف ذلك فهو مهدار ثرثار لا يعرف . كيف يدبر نفسه . فطبع حدا للسانك وتعلم كيف تمسك بزمامه .

احتراس من فضول الكلام . ولا تكلم الا عند الحاجة وحسبما يقتضيه المقام . لا تمدح كثير الكلام لأن الترشار لا يخلو من الفضول بل سر بشفاه تحرك بهدوء بعد آناء وتفكير . كثرة الكلام تشوش الذهن وتحول دون التمتع بالأفكار المقدسة وتفقد سلام الروح . اذا جلست في مجلس يكثر فيه اللغو بالأباطيل والأمور المزدرى بها ، ولم يمكنك الابتعاد عنه فكن هناك كاعمى لا يرى ، وأصم لا يسمع ، وأبكم لا يتكلم كي لا تفقد سلامك ولا تتعلق بتلك الأباطيل . قال يعقوب الرسول « ليكن كل انسان مسرعا في الاستماع مبطنا في التكلم » (يع ١ : ١٩) « ان كان احد فيكم يظن انه دين ، وهو ليس يلجم لسانه بل يخدع قلبه فدبابة هذا باطلة » (يع ١ : ٢٦) « ان كان احد لا يغتر في الكلام فذاك رجل كامل قادر ان ياجم كل الجسد ايضا ، موذا الخيل نضع اللجم في أفواهها لكي تطاوعنا فندبر جسمها كله . هودا السقون ايضا وهي عظيمة بهذا المقدار وتسوقها رياح عاصفة تدبرها دفة صغيرة جدا الى حيثما شاء قصد الدين ، هكذا اللسان ايضا هو عضو صغير وينتشر متعظما ، هودا نار قليلة اى وقود تحرق . اللسان نار . عالم الانم . هكذا جعل في اعضائنا اللسان الذي يدنس الجسم كله ويضرم دائرة الكون ويضرم من جهنم لأن كل طبع للوحوش والطيور والزحافات والبحريات يذلل وقد تذلل للطبع البشري ، وأما اللسان فلا يستطيع احد من الناس أن يذلله ، هو شر لا يضبط معلوم سمعا ميتا ، به نبارك الله الاب . وبه نعلن الناس الذين قد تكونوا على شبه الله من القم الواحد تخرج

بركة ولعنة ، لا يصلح يا أخواتي أن تكون هذه الأمور هكذا ، العل
ينبوعا ينبع من نفس عين واحدة العذب والمر هل تقدر يا أخواتي
تثنية أن تصنع زيتونا ، أو كرمة تينا ، ولا كذلك ينبع يصنع ماء ملحا
وعذبا ، (يع ٣ : ٢ - ١٢) .

« قلت اتحفظ لصبيلى من الغطاء بيسانى ، أحفظ لفمى كمامه فيما
الشىء مقابلى ، صمت صمتا ، سكت عن الخير فتحرك وجعى » (مز ٣٩ :
١ و ٢) .

ان الصمت لا يحفظك فقط من الغلط والخطأ ، بل ان احسنته
اجت الكلام ، لأن العقل يدعوك الا تتكلم الا بعد التفكير ، ولا ترد
الجواب الا بعد التدبر ، ولا يمكنك الحصول على هذه المزية الا اذا
اعتدت الصمت ، الذى به تحفظ فكرك وبه تعرف كيف ترتب كلامك ،
ومتى تقوله ، ويائى مصورة تقوله « من يحفظ فمه يحفظ نفسه ، ومن
يشحر شفتيه فله هلاك » (أم ١٢ : ٣) « من يحفظ فمه ولسانه يحفظ
من الضيق نفسه » (أم ٢١ : ٢٢) « في معصية الشفتين شرك الشرير
اما الصديق فيخرج من الضيق » (أم ١٢ : ١٢) « الموت والحياة في
يد اللسان وأحباؤه يأكلون ثمره » (أم ١٨ : ٢١) « كثرة الكلام لا
تخلو من معصية اما الخطاب شفتيه فعاقل » (أم ١٩ : ١٠) « الحلم
باتى من كثرة الشفف وقول الجهل من كثرة الكلام » (جا ٥ : ٢)
« مدينة متهدمة بلا سور الرجل الذى ليس له سلطان على روحه » (أم
٢٧ : ٢٥) .

من لا يحفظ فمه فهو كالأناء المكشوف يسقط فيه الغبار والتراب ،
ويكون مملوءا بالأوساخ والأقدار ، اذ انه ليس له غطاء يصونه
ويحفظه . ليس المراد بالصمت عدم التكلم على الاطلاق لأننا ما وهبنا
قوة النطق الا للتحادث ويفيد بعضنا بعضا ، وانما المقصود به الاحتراس
من ناقص الكلام وفضوله . لترك فرصة لافكارنا وأرواحنا ان تستغل
في الباطن بالمخاطبة الروحانية والماواضية الالهية مع الله ، التي تلقى في
قلوبنا العزاء الروحي والملوان المبهج ، فتستقبل التأملات السماوية
فتبعث في افتدتنا الفرح الداخلى والسلام الحقيقى . ليس من الصواب
الامتناع عن الكلام عند وجوبه ولزومه ، كما انه من الفضول والخطأ
الاندفع في التكلم عند عدم الحاجة اليه ، استمع أكثر مما تتكلم ، فقد أعطيت
اذنين للسمع وما منحت الا لسانا واحدا كى يكون كلامك أقل من
استماعك . وقد خلقت الأذن مفتوحة ، اما اللسان فاغلق عليه ببابين ممه

الأسنان والأسنان كى ينفتحا عند اللزوم ، فتفكر وتأمل كثيراً قبل أن تتكلم . فان لسانك منتبط بقلبك . ومن القلب تصدر افكارك والفاظك ، وبالسان يستدل على ما في قلبك ، فزن الكلمة بميزان الحكمة وإبردتها يبريد العقل ، وأصدقها في محك الاختبار قبل أن تهم بالنطق بها . فقد تثير كلمة غير حكمة خصومات ومجادلات لا حد لها . فلن حريصاً على كل كلمة تقولها . وأعرف أولاً قبل افتتاحك الكلام ماذما تتكلّم ولماذا تتكلّم . ومن انت بالنسبة للذى تتكلّم معه ، وكيف تتكلّم أمامه . لا تفه بكلمة إلا في حينها وفي محلها . وقد قيل « تفاح من ذهب في مسح من فضة كلمة مقوله في محلها » (ام ٢٥ : ١١) .

لا ترد جواباً قبل أن تسمع السؤال وتستوعبه جيداً . ايak أن تقاطع غيرك في كلامه ، لأن ذلك يدل على عدم اكتمال أدبك ، وبه تسيء إلى المتكلّم كأنك محتقر كلامه . « من يحبب عن أمر قبل أن يسمعه فله حماقة وعار » (ام ١٨ : ١٢) فإذا سئل عن شيء وأجبت عن غيره فلن يصفك الناس بالحذق لسرعتك بل تكون قد جلبت على نفسك صفة الحماقة والعار . وأظهرت الجهل ودللت على غباوتك . لا ترد على سؤال ما يوجه إلى غيرك ، لئلا تكون متعطفاً ومتكبراً ، تزيد التقدم غير محترم من وجهه إليه الكلام ، فاقد الثقة به ، مستصغراً له في عينيك . اذا كنت في مجلس ووجهه إلى الجميع سؤال فلا تكن البداء بالأجابة ، لئلا يظن فيك أنه ترجم التقدم والظهور فتفقد بذلك التواضع . تكلّم بصوت منخفض بقدر ما يسمعك المتكلّم ، لأن التكلّم بصوت عال أكثر مما يجب أمر لا يتفق مع الاحتشام والأدب ، ومتى تكلّمت فلا تكثر من حرّكات الأعضاء كهز الرأس والأشارة بالأصبع ، ورفع الجبين ، وتنقطب الحاجبين ، ولا بغيرهما ، غير مناسبة في أعضائك ، لا بعينيك ولا بأنفك ولا بشفتيك ولا بغيرهما ، بل ليكن كلامك بهدوء ورزانة ويشاشة ، ول يكن وجهك طلقاً فيكسوكه ذلك الهيبة والوقار . لا تتتصنّع اللطف والتنميق في الكلام ، ولا تقلد أحداً في كلامه ، بل ليكن الكلام مملوءاً عنديه ولطفاً حقيقيين ، بعيداً عن التشونة والقسوة لا سيما عند النصح ، لا تظهر غضباً عند كلامه كي تؤشر آدابك فيمن تكلمه أكثر من كلامك ذاته « لا تزجر شيئاً بل عظه كاب والأحداث كأخوة ، والعجازن كأمهات ، والحدثات كأخوات بكل طهارة » . (اتي ٥ : ٢١) .

علم أنك لن تنتم على كلمة لم تفه بها ، ولكنك سوف تأسف على كلمة نطقت بها في غير محلها ، لأن الكلام الذي احتجزته في نفسك ، يمكنك أن تقوله في أي وقت ، وأما ما قلته فهو قادر على تستطيع استرداده .

الفصل السابع والسبعين

الصبر

الصبر قوة القلب ، وشهامة النفس . هو حصن المجاهدين ، وملجاً آمن في الشدة والضيق ، منشط النفس ومؤيدتها ، قاهر للكسيل والفتور ، مقاتل للقلق والضعف ، وهو سيف ذو حدين يستأصل التعب ، هو ذهب خالص في البويقة ، ومعدن صلب تحت المطرقة ، وقمحجيد داخل الأهراء ، فما أجمل الصبر وما أحسنه . أنه لمغبوط من يتصف به ، لأن فيه الرجاء ، والرجاء لا يخزى . من يصبر يتحمل المشقات بسرور ويقبل الاهانات بقلب غير جزع ، ويسهل الطاعة ، ويتسع قلبه ، ولا يضيق صدره لدى أى شيء ، ويسالم الجميع ، ويتفقد المحبة . وبياركه عند الشتائم . ويكون ساكن النفس رابط الجاش ، جلداً في الخدمة ، قوياً في الأعمال الصالحة ، لذذ المحادثة ، وديع الروح ، حريضاً على حفظ الرجاء . مسكين من لا يتحمل مرارة الصبر ، وسعيد من يتذوق حلواته . شقي من ينبذ كأس الصبر . فمن لا يشربه فهو جائع للخصوصة ، متذر على رب ، ضجر لدى المحادثة . عاجز في الصلاة ، فقير لا يملك شيئاً من خبرات الفضيلة .

تمسك بالصبر وطول الروح في كل اعمالك ، احتمل بشهامة كل ما يأتيك من الشدائـد وافتـح لها صدراً رحـيبـاً ، سـواء اـكـانت اـمـراضـاً ، اـمـ تعـبـيرـاتـ ، اـمـ غـمـومـاً ، اـمـ هـمـومـاً ، اـمـ آلامـاً جـسـديـاً اـمـ اـحـزانـاً اـمـ حـرـوبـاً من قـبـلـ العـدـوـ . لا يـمـكـنـكـ انـ تـتـبعـ يـسـوعـ ماـ لـمـ تـحـمـلـ صـلـيـيكـ وـرـاءـهـ . فـانـ مـحـناـ كـثـيرـةـ وـآلامـاـ مـرـةـ تـتـابـ الـإـنـسـانـ فـيـ كـلـ اـدـوارـهـ ، وـلـكـنـ «ـ بـصـيرـكـمـ اـقـتـنـواـ نـفـسـكـمـ » (لو ٢١ : ١٩) .

اصبر صبراً جميلاً واتكل على الله وانتظر العون فيأتيك العزاء سريعاً بالنعمـةـ . ان فقدت الصبر ضاقت نفسك ، وضاعت قوتك وشهادتك . وضجرت وثقل عليك أقل الأشياء ، وستمت الجهاد والتعب وقطعت الرجاء والأمل . ايـكـ انـ تـفـقـدـ قـوـةـ الصـبـرـ فـيـ خـلـاـصـكـ . اـتـبعـ الصـبـرـ فـتـبـعـ آـشـارـ الـقـدـيـسـينـ . وـتـسـلـكـ فـيـ خـطـوـاتـ الـرـبـ . فـالـقـدـيـسـونـ وـالـأـنـبـيـاءـ والـشـهـداءـ وـكـلـ رـجـالـ اللهـ حـاقـتـ بـهـمـ الـمـحنـ ، وـلـكـنـمـ اـحـتـمـلـوهـاـ بـصـيرـ جـمـيلـ قـصـرواـ لـهـاـ وـفـرـحـواـ بـهـاـ لـأـنـهـمـ كـانـواـ يـنـتـظـرـونـ الثـوابـ مـنـ اللهـ ، فـانـ شـتـتـ

ان تكون تميذاً للرب فاعد نفسك للمحن وقوم ذاتك واحتمل كل شيء بالصبر
وطرل الآنة .

تقلد الصبر سلاحاً في كل شيء وردد قول المزمرم « انتظر الرب ليتشدد
وليتشجع قلبك وانتظر الرب » مز ٢٧ : ١٤ لكن لك هذا القول كعكار
تستند عليه وقت الضيق والشدة ، وحيثئذ تستطيع ان تحتمل التواب
بصبر جميل . ان صلبت او صمت او سهرت او جاهدت ، او فقدت التعزية
او حاولت النهوض بما فيه نشاط لروحك وقوة لاتمام الفضيلة . فجادم
بقدر ما تستطيع ، واصبر ما امكنته الصبر . لا تفقد قوتك او تعدم
شجاعتك . فانه عما قريب ينتهي جهادك . وتحصد ما زرعت وتحصل على
نتيجة صبرك .

ويل للقلوب الخائرة والنفوس الحائرة والأيدي المترافية . فانها
تضيق ذرعاً عند التجربة ولا تثبت امام الجهد ولا تجد الحياة لعدم
ایمانها وفقدان صبرها . فيما من تركتم الصبر ، انكم ستختيبون وتذللون .
ويامن فقدتم نعمة الاتكال على الرب . علام تستندون والى من ترتحاون ؟

اعلم ان الصبر عزاء لدى الاحزان والكراث « لتنتشد ولتنتشجع
قلوبكم ياجميسع المنتظرين الرب » (مز ٣١ : ٤٢) « فأن الذى يصبر
الى المتهى فهذا يخلص » (مت ١٠ : ٢٢) « انتظر الرب واصبر له »
(مز ٣٧ : ٧) « ولكن اراقب الرب اصبر لاله خلاصى يسمعنى الهى »
(مى ٧ : ٧) « لأنى لك يارب صبرت . انت تستجيب يارب الهى » (منا
(مز ٣٨ : ١٥) « ان كنا نصبر فسنملك ايضا معه » (٢ تى ٢ : ١٢)
« اما الذين يصبر فى العمل يطلبون المجد والكرامة والبقاء بالحياة
الابدية » (رو ٢ : ٨) « فلا تطروا ثقلكم التى لها مجازاة عظيمة .
لانكم تحتاجون الى الصبر حتى اذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد . لأنه
بعد قليل جداً سيأتى الآتى ولا يبطئ » (عب ١٠ : ٣٥ - ٣٧) .

« فتأتوا ايها الأخوة الى مجىء الرب . هؤلا الفلاح ينتظرون ثمر
الأرض الشمين متانيا عليه حتى ينال المطر المبكر والمتأخر ، فتأتوا انتم
وشبتو قلوبكم لأن مجىء الرب قد اقترب . لا يئن بعضكم على بعض ايها
الأخوة لئلا تدانوا . هؤلا الديان واقف قدام الباب . خذوا يا اخواتي مثلاً

لاحتمال الشفقات والاناء . الانبياء الذين تكلموا باسم ربنا . ما نحن نطوب الصابرين . قد سمعتم بصبر ايوب ورأيتم عاقبة ربنا . لأن ربنا كثير الرحمة ورؤوف . (يع ٥ : ٧ - ١١)

« لأنك حفظت كلمة صبرى . أنا أيضا ساحفظك من ساعة التجربة المعتادة أن تأتى على العالم كله لتجرب الساكدين على الأرض ما أنا آتي سريرا . تمسك بما عندك لئلا يأخذ أحد أكليلك » (رؤ ٢ : ١٠ و ١١)

« هنا صبر القديسين ، هنا الذين يحفظون وصايا الله وأيمان يسوع . رؤ ١٤ : ١٢) .

الفصل الثامن والسبعين

التحلى بالصدق وعدم الكذب

لا تستحق من اظهار الحق بل أخجل من الباطل والزور ، جاهد وداعم عن الحق حتى لو أدى بك ذلك الى الموت ، وفي الوجود الله قديس يحييه فلا يدعك تغلب . لا تتزلف للكاذب ولا تخف الحق أمام المفترضين . ليكن كلامك واحداً ولا تغلي مع كل ريح . كن دائماً صادقاً في كل أقوالك لتحوز ثقة من تكلمة ، اهرب من الكذب في كل احوالك . فيكتفى الكذب حطة وشناعة أن كل انسان يتبرأ منه ولو كان متصفاً به ، فهو مثار سخط للرب وللناس ، وصاحبها لا يرken اليه ولا يوثق به أبداً .

« كراهة الرب شفتا كذب ، اما العاملون بالصدق فرضاء ، (أم ١٢ : ٢٢) »

« ابتعد عن كلام الكذب ولا تقتل البريء والبار ، لأنى لا أبرد الذنب »
« خر ٢٢ : ٧ »

« لأن أفواه المتكلمين بالكذب تسعد » (مز ٦٣ : ١١) .

« الشاهد الأمين لن يكذب ، والشاهد الزور يتقوه بالأكاذيب » (أم ١٤ : ٥) .

« لا تكذبوا بعضاكم على بعض اذا خلتم الانسان العتيق مع اعماله »
« كوك ٣ : ٩) .

« لذلك اطروحوا عنكم الكذب وتكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه ، لأننا بعضنا اعضاء البعض » (اف ٤ : ٢٥) .

متى تكلمت عن امر او حدثت عن شيء فاحذر من المبالغة فيما تقول ولا تخرج بكلامك عن حد الاعتدال ، ولا تضف اليه من عندك شيئاً يفهم منه سامعوك عدم الصدق في القول . بل حسبي أن تروي الحديث كما هو ، والعقل والحق يعذدان قولك ويظهران صدقك . لا تتكلم عن شيء معتقداً برأيك ، مفتراً بنفسك ، فقد تكون مخطئاً وليس الحق في جانبك ، لا تقه بما يحتمل كثيراً من المعانى ، و لا توجه كلاماً إلى واحد وقصدك منه أن ترمي به غيره من الحاضرين . لا تكون في كلامك مثلكون ، تقول غير ما تزيد وتظهر خلاف ما تبطن ، بل تعلم أن تنطق بالحق واضحاً وبالكلام صريحاً . دعك من التلويع والرمز ، لأن تلك الخصال تدل على

الذكر واللّؤم وسوء الضمير وهي أشنع من الكذب . ليكن كلامك بالحق
فإن ذلك يدل على نقاء القلب وسلامة النية . كن حكيمًا في كل شيء
وتبصر في كل أمر . لأنك لا يليق بك وأنت عاقل أن تصدق كل ما يقال ،
أو تثق بأى فكر ورأي ، بلا امعان ولا تبصر ، بل يدعوك الصواب وسداد
الرأى أن تزن الأمور بميزان الحق والمصدق لترى الحق من الباطل . لا
تصدق سريعاً ما يعزى من الشر إلى الآخرين . لا تركن إلى كل ما
تسمعه ، بل احتهد دائمًا أن تتحقق الأمور بنفسك . ابحث وافحص
وفتش ودقق ، وبعد ذلك ثق أن وجدت محل الثقة ، واركن أن وجدت مكاناً
للركون .

لا تتسرع ولا تتعجل الحكم على أمر من الأمور قبل التحقق والتثبت ،
فإن عدم الارساع في الحكم حكمة عظيمة . لا تتسرع ببروحك إلى الغضب عند
سماعك أمراً تظنه مكدرًا لك ، فلربما وجدت فيه خيراً لك أو لقربيك .
لا تكون غبياً ولا مستبداً برأيك ، فرب شيء تعتقد صحيحاً وهو في
ذاته لا أساس له من الصدق ، ومن الحكمة أن تكون متأنياً وصبوراً
في كل أمر . لا تبادر إلى أذاعة ما سمعته أو رأيته . ولا تنقل خبراً
لا تكون متاكداً من صحته .

الفصل التاسع والسبعون

تجنب المزاح

كن هادئاً رزينا محتشماً في كل أحوالك ، لا تكن مهذاراً كثيراً
الضحك والهزل . احترس من المزاح غير اللائق فأنه يفقدك سلامتك
القلب ، ويسلبك نعمة التقوى والخشوع ، ويصيرك متواطياً متراخيًا
في الروحيات ، ويبعد عنك روح العزاء الالهي والسلوان الباطني ، ويحط
من قدرك في عيون الآخرين . افرح وانشرح وتعتنق بما هو مباح ولائق .
لا تكن كثير الضحك لأى سبب ، لأن كثرة الضحك دليل الخفة وقلة
العقل . بل إنها لتيت القلب . كثيرون يطلبون المزاح ويفرطون فيه
ويصرفون جل أوقاتهم في الهزل . زعمًا منهم بأنه يخفف عنهم أثقال العالم
وينسيهم هموم الحياة ، ولكن باطلاق ما يرجون وما هم في ذلك إلا
وأهملون . فالراحة الحقيقة والفرح الدائم يوجدان عند من له ضمير نقى
وقلب سليم . لأن الكثير الهزل لا شرف له ولا اعتبار وليس من الرزانة
والرصانة في شيء . الجرس يعرف من طينته . أجيد هو أم لا . فكلك
كلام الإنسان يظهر باطنه . فان سمعت كلاماً مملوءاً مزاهاً وهزواً فاقطعه
بحديث ملؤه الرزانة والاحتشام . لأنه « كصوت الشوك تحت القدر هكذا
ضحك الجهال » (جا ٧ : ٦) .

كتيرون يعدون المازحين أناساً لطفاء مسامير اصحابهم وخلانهم ذوى
انس ومسرة . يهزأون بمن يجعلون كل أحاديثهم وأقاويلهم في خلاص
النفس وهدوء الروح وسلامة القلب . ولكنهم لو دروا لعرفوا أنهم قوم
مستهزئون ساخرون خالون من النعمة ، وليس ذلك منهم إنساً ولا لطفاً ،
بل حالة وعدم فلطة وتمييز ، وسوف يقال لهم « ويل لكم أيها الضاحكون
الآن لأنكم ستحزنون وتبتكون » (لو ٦ : ٢٥) .

اما انت فابتعد عن ذلك وتصرف بحكمة المسيحي الحقيقي ، ولا
تعود فمك ان ينطق الا بما هو نافع وصالح لبنيان الآخرين « ليكن
كلامكم كل حين بنعمة ومصلحاً بملح لتعلموا كيف يجب ان تجاوبوا كل
واحد » (كو ٤ : ٦) .

« لا تخرج كلمة رديئة من أفواهكم . بل كل ما كان صالحًا للبيان حسي
الحاجة كى يعطى نعمة للسامعين » (اف ٤ : ٢٩)

« اطرحوا عنكم أنتم أيضًا الكل الغضب السخط الخبث التجديف
الكلام القبيح من أفواهكم » (كو ٣ : ٨) « وأما الزنا وكل نجاسة
أو طمع فلا يسم بينكم كما يليق بقديسين ولا القباحة ولا كلام السفاهة
والهزل التي لا تليق بـل بالحرى الشكر » (اف ٥ : ٢٤)

الفصل الثمانون

البشاشة والفرح بالرب وعدم الحزن والكآبة

ليكن وجهك دائمًا طلقاً بشوشًا ، لأن البشر والطلاقة وعدوبة الكلام
تجذب قلوب الناس إليك . فلا تعاشر الناس أو تقابلهم أو تخاطبهم إلا
بووجه طلق بشوش . أظهر لهم على الدوام الدعة والاحتشام المقوتين
بالاحترام ، ولا تدع الافتئاب والكدر والحزن تتسلط عليك أو ترتسن على
معياله . لا تزعج راحة الذين معك باكتئابك وغمك . قابل الجميع باللطف
ولو كانوا ألد أعدائك ، كما عامل يوسف أخيه الذين باعوه . إلا ترى
للخلص سمح ليهودا أن يقبله ودعاه يا صاحب . اعلم أن هدوء أخلاقك
وحسن ملاظتك يجلب لك الفرح والسرور ومحبة الناس . وينزع منك البغض
والبغض والغبطة .

كن فرحاً بالرب كل حين ، ولا تحزن لأن الحزن يؤذى النفس ويضيق
للسبيط ، واصرف كل غم وحزن عن نفسك بألقاء همك واتكالك على الله
الذى يدبّر أمورك . لا تكون كبح مضطرب لا تهدأ ثائرته ولا تسكن
أمواجها . بل كن كوردة نضرة في وسط الشوك . ليظهر رضاوك بما يسمع
به الله إبان التجارب وزمن الضيق والشدة . نق نيتك وأصلح ضميرك وكن
خائضاً لارادة الله فتكون فرحاً على الدوام .

ان أجبت البر وأبغضت الاتم فيمسحك الرب الهك بدمن الفرح
والابتهاج (مز ٤٥ : ٧) لأن الفرح الحقيقي لا يوجد في خيام
الأفراح ، بل في منازل الصديقين فالقديسون تلذذوا بكثرة السلامه وكانوا
 دائمًا فرحين حتى في أوقات دموعهم . يجلس الرسول كان فرحاً وهو
مقيد بالسلسل والأغلال ، لأن قطرة واحدة يرتشفها القلب من سلاسل الرب
تملاً القلب فرحاً وعزاء « الرب أسامي في كل حين لأنه عن يميني فلا
انزعز ، لذلك فرج قلبي وابتهرت روحي ، جسدي أيضًا يسكن مطمئناً »
(مز ١٦ : ٩و ١٦) « أما نفس فتفرح بالرب وتبتهر بخلاصه ، جميع عظامي
تكتسول من مثلك يارب من مثلك » (مز ٣٥ : ٩٠و ٤٧) « تعظم نفسى الرب
وتبتهر روحي بالله مخلصي » (لو ١ : ٤٧) « افرحوا بالرب كل حين » (فى ٤ :
٤) « تلذذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك » (مز ٣٧ : ٤) « افرحوا بالرب
وليتهموا يا أيها الصديقون واهتفوا يا جميع المستقيمي القلوب » (مز ٣٢ :

١١) « افرحوا مع اورشليم وابتهجوا معها ياجمیع محببها ، افرحوا معها ياجمیع النائحين عليها ، لکی ترکعوا وتشبعوا من شدی تعزیتها ، لکی تعصروا وتتلذذوا من درة مجدها ، لأنه هكذا قال الرب هاندا أدير عليها سلاماً کنهر ومجد الأمم کسیل جارف ، فترکعون وعلى الأيدي تحملون وعلى الرکبتین تدللون ، كأنسان تعزیه أمه هكذا أعزیکم أنا ، وفي أورشليم تعزون فترون وتقرح قلوبکم وتزهو عظامکم ، وتعرف يد الرب عند عبیده » (اش ٦٦ : ١٠ - ١٤) « فمع أنه لا يزهر التین ، ولا يكون حمل في الكروم ، يکذب عمل الزيتونة ، والحقول لا تصنع طعاماً ، ينقطع الغنم من الحظيرة ، ولا يقر في المذاود ، فأنى أبتهج بالرب وافرح بالله خلاصي » (حب ٣ : ١٧و١٨) .

لا تعود نفسك الحزن ولا تدع الضجر والغم يستوليان عليك . ولا تسمح للهم والغم أن يسكن قلبك . فان الحزن دود يأكل سلام القلب ، وسوس يفسد الرجاء ، وظلم يخيم على العزة ويبعد المرفة . ويعرق كثيراً من الناس عن السير في طريق الفضيلة ، ويترك آثاراً محزنة في القلب ، ويضعف القوى ويجعل العزم خائراً ، والنشاط فاتراً ، والهمة متحركة ، والسلامة معدومة . فيستولى الضجر عليك ، وتصير الصلاة حملاً ثقيلاً ، والتأمل في الروحيات أمراً عسيراً ، والتلاوة في الكتب المقدسة كلاماً مريضاً . وبالأجمال ترى النفس الحزينة يصير كل شيء أمامها ثقلاً لا تستطيع حمله « كنزع الثوب في يوم البرد . كخل على نطرون . من يغنى أغاني لقلب كثيب » (ام ٢٥ : ٢٠) .

الحزن يفتح باباً لبلیس ليلاقی بصاحبه في اليأس والفشل ، ويقويه إلى الغضب ويحمله على الزهد في الاحتمال والوداعة وطول الآنا . الحزن جریمة شرور كثيرة . فهو يوهن قوة القلب ويباعد بين الإنسان والصبر ويصيده جباناً ، ويرغبه في حب العالم والميل إلى الملاهي واللذات . ظناً منه أن ذلك يبعد عنه الهموم ويكشف عنه الأحزان ، فكن فرحاً بالرب ، واجعل مسرتك في يسوع فينزع حزنك ، ولاتشتت ما لا تملكه من أمور العالم . لا تخش فقد ما عندك ، ولن تجد علاجاً للحزن أتجمع من الصلاة فمن كان فرحاً فليرتزل ، ومن كان حزينًا فليعمل (يع ٥ : ١٣) « نور قد زرع للصديق وفرح للمستقيم القلوب . افرحوا أيها الصديقون بالرب وامدوا ذكر قدسه » (مز ٩٧ : ١١و١٢) القلب الفرج يجعل الوجه طلقاً وبحزن القلب تنتحق الروح » (ام ١٥ : ١٣) :

يوجد حزن مقبول وهو نتيجة الندم على الخطية لأجل التوبة . لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله بنشره توبة لخlam بلا ندامة ، وإنما حزن

العالم فينشء موتا ، (٢٤٢ : ٧) « أهلكتني غيرتى لأن أعدائى
تسوا كلامك » (مز ١١٩ : ١٣٩) « الحمية أخذتني بسبب الأشجار
تاركى شريعتك » (مز ١١٩ : ٥٣) والحزن والتالم لجاورة الأشجار
« ويل لغريبتى فى ماشك لسكنى فى خيام قيدار . طال على نفسى سكتها
مع بغض السلام » (مز ١٢٠ : ٦٥) والأتين لأجل الاشتياق الى
السعادة : « فانتا فى هذه أيضا نحن مشتاقين الى أن نلبس فوقها مسكننا
الدى من السماء » (٢٤٢ : ٥) .

الفصل الواحد والثمانون

رقة القلب وقساؤته

كى رقيق القلب ، لين العواطف ، دقيق الاحساس وانزع من قلبك كل نسوة ، فان قساوة القلب منشئها الاثم ، وهى تميت العواطف وتبييد الاحساس والشعور الرقيق وتشل نزعات النفس الطيبة عن الظهور وتقدما لذلة الفضيلة وتدنس الضمير .

قساؤه القلب تطفئ حرارة الروح ، وتقلل من الندم على الخطية وترغب في الانتقام ، وتجعل الانسان يكره المحبة ويستقبل الفضيلة ويتظاهر بالتفوى . نم في قلب الشعور الرقيق ، وحاول أن تشعر دائما بمصالح الغير ، وأثر لهم وتألم مع المنكوبين المحزونين كأنك أنت المتسايق « اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم والمذلين كأنكم أنتم أيضا في الجسد » (عب ٢: ١٢)

من قلبك على مشاطرة الناس آلامهم . لا تحزن نفسا ضعيفة ولا تسبب غيضا لرجل فقير ، بل كن مساعدا لكل أحد ، مواسياً الفقير والحقير والبائس والمسكين . لا تماطل في وعدك ولا تبطئ في عطيتك ، ولا تسبب قلقا لأحد ، ولا ترد مسكينا ، وإن لم تعطه فرده بكلام لين . اياك أن تغليظ الكلام لبائس فحسبه ضنكه وشدة عوزه ، فلا تزدهد ضنكها بقسوة جوابك وعدم رقة قلبك .

ترفق بالمسكين ، وكن عونا له ، ترأف باليتيم وافتتح له ذراعيك وتحنن عليه وساعديه بقدر امكانك . طوبي لك اذا انقذت مظلوما من يد ظالم ، او أغثت ملهوفا استجبار بك . أبد عواطف الشفقة والحنان لكل أحد ، ساعد الفقير والحزين والمريض والمصاب والمنكوب ، قدم لكل منهم ما يحتاج اليه من التعزية والتسلية . ولا تتأخر عن مساعدتهم بنفسك وبمالك وبكل ما تملك من الوسائل . مد يدك لاغاثة الملهوفين والمنكوبين وانشتلهم من وحدة اليأس والاكتئاب « طوبي للانسان المتقى دائما ، أما المقصى قلبه فيسقط في الشر » (أم ٢٨ : ١٤) « الكثير للتوبيع المقصى عنقه بفتحه يكسر ولا شفاء » (أم ٢٩ : ١) « وأعطيكم قلبا جديدا واجعل روحًا جديدة في داخلكم ، وانزع قلب الحجر من لكمكم وأعطيكم قلب لحم » (حز ٢٦ : ١٦) .

الفصل الثاني والثمانون

الغيرة على خلاص القريب

إن أكمل الاعمال ما يعود على الغير بالنفع والخير ، وأفضل الناس من لا يعمل لذاته بل لما هو للأخرين أيضا . قال الرسول « مهتمين بعضكم البعض اهتماماً واحداً » (رو ١٢ : ١٦) « لا يطلب أحد ما هو لنفسه بل ما هو للأخرين » (أكو ١٠ : ١٠) فليرض كل واحد منا قريبه للخير لأجل البنيان ، لأن المسيح أيضا لم يرض نفسه ، بل كما هو مكتوب تعبيرات معيrike وقعت على » (رو ١٥ : ٣٢) « كما أنا أيضا أرضي الجميع في كل شيء غير طالب ما يوافق نفسى بل الكثريين لكي يظلوا » (أكو ١٠ : ٣٣) « لأن المحبة لا تطلب ما لنفسها » (أكو ١٢ : ٥) .

فالعمل على خلاص القريب فضيلة عظيمة تصدر من المحبة لأن المحبة فضيلة مخصبة لا توجد وحدها بل تلد وتخصب خيرات كثيرة لخير الإنسان ، « أيها الاخوة ان ضل أحد بينكم عن الحق فرده أحد » فليعلم أن من رد خاطئاً عن ضلال طريقه ، يخلص نفساً من الموت ، ويستر كثرة من الخطايا » (يع ٥ : ٢٠ و ١٩) .

لا تعش متبطلاً متعطلاً ، بل أعمل دائمًا كل ما من شأنه أن يعود بالخير والنفع على الآخرين ، غر غيرة للرب واتعب وعظ واكرز للأخرين في كل وقت . لا تظن أن ذلك واجب الرعاية والوعاظ فقط بل عليك أنت أيضًا أن « تخبر بفضائل الذى دعاك من الظلمة إلى نوره العجيب » (ابط ٢ : ٩) « ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضاً كوكلاء صالحين على نعم الله المتعددة ، إن كان يتكلم أحد غتكقوال الله وأن كان يخدم أحد فكانه من قوة يمنحها الله لكى يتمجد الله في كل شيء بيسوع المسيح » (ابط ٤ : ١١ و ١٠) « بالحبة أخدمو بعضكم بعضاً » (غل ٥ : ١٢) اقتتص نفوس الذين حولك وخلصها من يد أليس المفترض ، وردتها إلى الله صاحبها ، ف تكون قد عملت في كرم رب . أحيى في قلبك الغيرة على خلاص القريب ، ورب في نفسك للرغبة الشديدة لدفع كل ما ينافض مجد الله وما يضاد أكرامه ومشيتيه ، فالقديور يفرح كثيراً بامتداد ملکوت الله ، وانتصار المسيح على أعدائه ، وبسر بارتفاع النور وانهざام الظلم ، وهو يعزّن متى رأى الفضيلة مهانة

محتقرة ، ويتجه لهلاك الفوس ويساعدها على الخلاص بقدر أمكنه .

اقتدى يعوسي الذى لشدة غيرته على شعبه قال للرب « والآن ان غفرت خطيبهم والا فامحني من كتابك الذى كتبت » (خز ٢٢ : ٢٢) انتظر غيرة أستير التى قالت للملك « فلتعطى لى نفسى بمسئولي وشعبى بطلبي » (اس ٧ : ٣) وغيره نحيميا على شعبه الذى قال « كيف لا يكمد وجهي والمدينة بيت مقابر آبائى خراب وأباباها قد أكلتها النار » (نع ٢ : ٢) وقال لشعبه « أنتم ترون الشر الذى نحن فيه كيف أن أورشليم خربة وأباباها قد أحرقت بالنار . هلم فنبذنى سور أورشليم ولا تكون بعد عارا ، (نع ٢ : ١٧) وغيره بولس الذى دعته أن يقول « أقول الصدق فى المسيح لا أكذب وضميرى شاهد لي بالروح القدس ، ان لم حزنا عظيمما ووجهما فى قلبي لا ينقطع ، فانى كنت أود لو أكون أنا نفسى محروما من المسيح لأجل أخواتي انسباوى حبيب الجسد » (رو ٩ : ١ - ٢) وقوله « من يضعف وانا لا أضعف من يعتر وانا لا التهب » (كو ١١ : ٢٩) « وأما أنا فيكل سرور أنفاق وانفق لأجل أنفسكم ، وان كنت كلما أحكم أكثر أحب أقل » (كو ٤: ١٥) « كنا متوففين وسطكم كما تربى المرضعة أولادها . هكذا اذ كان حانين اليكم كنا نرضى ان نعطيكم لا انجليل الله فقط بل انفسنا ايضا لأنكم حضرتم محبوبين اليانا » (اتس ٢: ٨ و ٧: ٢) :

الفيور لا يقبل ان يدخل السماء وحده ، بل يريد ان يشرك الآخرين معه فى الجد . المرأة السامرية لما عرفت المسيح ذهبت ودعت كثريين اليه (يو ٤ : ٢٩ و ٢٨) . غير غيرة للرب ودافع عن حقه الالهى انه لا تحملن كلمة تقال فى صديق لك ، فما بالك لا ينطق لسانك لتدافع عن جلال مجد الله وشرف اسمه .

كن دائمك نصوحا للخير ومساعدا من يطلب مساعدتك . انصبح هذا « إن يتدرك طريق الشر ، وخطاب ذاك بكلام روحى وأرشده الى التوبة والخلاص ، فتكون بذلك قد أظهرت غيرته للرب وللقرىب ، وان لم يمكنه ان تصلح حالهم فسلم امورهم للرب ، وصل عنهم بحرارة وارفع يديك الى السماء من أجل اخوتك .

الفصل الثالث والثمانون

اترك الطمع والبخل ومحبة المال وتعلم السخاء والعطاء

الطمع والبخل ومحبة المال ، كلها ضرب من عبادة الأصنام وتؤدي بالأنسان الى الكفر ، لأنها تضعف الإيمان وتحل محل الثقة باش وتبعد المتبع عن الاتكال عليه تعالى . وهي خطية مملوءة شرًا ونفاقًا وأثما ، فاستأصل هذه الرذائل من نفسك فيذهب عنك اضطراب الفكر . من تبعد محبة المال فهو شقى تعيس لا يعرف حنوا ولا شفقة . انه يضحى بأبيه وأمه وأصدقائه وأحبائه في سبيل المال ، ولا يهتم حتى بنفسه لانه محب ماله فقط . فلا تشتت ان تكون غنيا فتصيب نفسك بأوجاع مختلفة . لا تحسين الراحة والسعادة في الغنى فكم من فقير سعيد مرتاح البال ، وما اكثر الأغنياء القسائم الأشقياء ، حتى انهم ليحسدون الفقراء على هدوئهم وراحتهم واستمتعهم بالبعد عن القلق والتعب : اشته دائمًا ان تكون غنيا بالأعمال الصالحة وادخر لنفسك زادا للفضيلة وانس في النعمة فان ذلك خير من اشتقاء الغنى « لا يقدر احد ان يخدم سيفين لانه اما ان يبغض الواحد ويحب الآخر او يلازم الواحد ويحتقر الآخر ، لا تقدرون ان تخدموا الله والمال » (مت ٦ : ٢٤) لأن الطمع عبادة اوثنان (آف ٥ : ٥ وكو ٣ : ٥) .

« واما التقوى مع القناعة فهي تجارة عظيمة لأننا لم ندخل العالم بشيء فان كان لنا قوت وكسوة فلنفك بهما ، واما الذين يريدون ان يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومصرة ، تفرق الناس في العطوب والهلاك ، لأن محبة المال اصل لكل الشرور ، الذي اذا ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة » (اتى ٦ : ٦ - ١٠) .

لا تعيش لذاتك بل أشرك معك أخاك المسكين في خيراتك . لا تتعلق بمحبة الفضة ، فانها قاتلة للنفوس ، مدينة للفضيلة ، مهلكة للإحساس والشعور وداعية لكل اثم ، فلا تفتتن بها ولا تسجد لصنعها فما المال سوى وسيلة لقضاء حاجات الإنسان . فلا تجعله غايتها وموضع محبتك . اعط المساكين مما عندك ، مما يزيد عن حاجتك ليتحقق به الآخر الحاج ، لتكن كالارض متى أرتوت بالماء ترك باقيه ، والغصن اذا نال من الكرمة

وطوبة كافية يكفي عن اخذ ما يفضل ليترك للاغصان الباقيه نصيبها ، فاترك
للفقراء ما فضل عن حاجتك ليسدوا به رمقهم .

كان ينبو اسرائيل يجمعون من المدن ما يسدون به حاجتهم ، وان
جمعوا شيئاً للبيوم الثاني ينتن . والسفينة ان لم يخفف حملها تفرق
والطيارة ان زاد ثقلها لا تستطيع الطيران ، والبئر كلما أخذت من مائها
جاءت بماء أصفى وأنقى وأذهب ، وإذا أحتفظت بما فيها أحسن وفسد وأنقى ،
فالحال ان حفظ عند البخيل نجس الضمير وأفسد القلب ، وان فرق منه
على الفقراء والمحاجين ازداد بركة ونموا . اعلم ان ما عندك من المال
ليس ملكاً لك فكل شيء الله وما نحن الا وكلاء عليه ، فيجب علينا أن تكون
حكماء امناء في تصرفاتنا ونعطي شيئاً الله من خيراته التي وهبها لنا ،
 فهو بطلب حقه منا بواسطة المحجاجين البائسين .

« ان كان فيك فقير أحد من اخوتك في أحد أبوابك في أرضه **التي**
يعطيه **الرب** **الهك** ، فلا تقس قلبك ولا تقضي يدك عن أخيك الفقير ، بل
الفتح يدك له وأقرضه مقدار ما يحتاج اليه ، أعطه ولا يسوء قلبك عندما
عطيه ، لأنه بسبب هذا الأمر يبارك **الرب** **الهك** في كل اعمالك وجميع ما تمت
ليه يدك لأنك لا تفقد الفقراء من الأرض لذلك أنا أوصيك قائلًا أفتح يدك
لأخيك المسكين والفقير في أرضك (تث ١٥ : ٧ - ١١) .

« طوبى للذى ينظر الى المسكين في يوم الشر ينجيه **الرب** ويحفظه
ويحبه ، يغبط في الأرض ولا يسلمه الى مرام اعدائه ، **الرب** يغضبه وهو
على نراش الضعف » (مت ٤١ : ٣ - ١) « أليس أن تكسر للجائع
خبزك وان تدخل المساكين التائهين الى بيتك ، اذا رأيت عرياناً
لن تكسوه وان لا تتناهى عن لحمك » (اش ٥٨ : ٧) « الصالح العين
هو بياكه لأنك يعطى من خبزه للفقير » (ام ٢٢ : ٩) « النفس السخية
تمسمن والمروى هو ايضاً يروى » (ام ١١ : ٢٥) « من يعطى الفقير
لا يحتاج ، لمن يحجب عنه هبته لعنات كبيرة » (ام ٢٨ : ٢٧) « من يرحم
الفقير يفرض **الرب** وعن معروفة يجازيه » (ام ١٩ : ١٧) .

« أرم خبزك على وجه المياه فأنك تجده بعد أيام كثيرة » (جا ١:١١) من
مسالك فاعطه ، ومن أراد أن يقترض منه فلا ترده » (مت ٥ : ٤٢) ، إذا
صلحت ضيافة فادع المساكين الجدع والعرج والعمى فيكون لك الطوبى »
« لو ١٤ : ١٣) « أعطوا ما عندكم صدقة فهوذا كل شيء لكم ثقباً ،
« لو ١١ : ٤١) .

« من كان له ثوبان فليعطيه من ليس له ومن له طعام فليفعل هكذا » (لو ٢ : ١١) « لا تنسوا فعل الخير والتوزيع لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله » (عب ١٦: ١٣) « من يزدح بالشح فالشح أيضا يحصد ومن يزدح بالبركات فيالبركات أيضا يحصد كل واحد كما يتمنى بقلبه،ليس عن حزن ولا اضطرار، لأن المعطى المتصور يحبه الله » (كو ٨ : ٦و ٧) « ينبغي أنكم تتبعون وتعضدون الضعفاء ، متنكرين كلمات رب يسوع أنه قال مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ » (أع ٢٠ : ٢٥) « أوصي الأغنياء في الدهر الحاضر أن لا يستكبروا ولا يلقو رجاءهم على غير يقينية الغنى ، بل على الله الحي الذي يمنحك كل شيء للتمتع ، وأن يصنعوا صلاحا ، وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة ، وأن يكونوا أسيئاء في العطاء كرماء في التوزيع ، مدحرون لأنفسهم أساسا حسنا المستقبل ، لكن يمسكوا بالحياة الأبدية » (أثني ٦ : ١٧ - ١٩) « أكرم رب من مالك ومن كل باكورة غلاتك ، فتنتهي خزانتك شيئاً وتفيض معاصرك مسطارا » (أم ٣ : ١٠و ٩) .

« هاتوا جميع العشور إلى الخزانة ليكون في بيتي طعام وجريوتى بهذا قال رب الجنود ، ان كنت لا افتح لكم كوى السعومات وافيض عليكم بركة حتى لا توسع ، وانتهى من اجلكم الاكل فلا يفسد لكم ثمر الأرض • ولا يعقر لكم الكرم في الحقل قال رب الجنود » (ملا ٣ : ١١و ١٠) .

الفصل الرابع والثمانون

المسند

الحسد وليد الكبriاء بسببه يكون القتل والانتقام والبغض ، وتكثُر النساء والاغتياب والواقعية ، وبه ينهدم صرح الفضائل ، لأنَّه سُم للنفس ، وهو يهلك ويبيد كلَّ خير . من أتصف به فقد شارك ابليس الذي بسببه دخل الموت إلى العالم . فالحسود متكبر لا يُود أن يفضل عليه أحدٌ هما كان . فهو يستنصر الجميع ، وينصب فخاخاً لمن يسلك مسلكاً حسناً منهم ، ويذم الفضلاء ونوى السيرة الحسنة ولا يرتاح إلى مدح أحد لأنَّه يولد فيه الاستئثار . فلا يفرح بنجاح الآخرين ، بل يشتهي سقوطهم ويحب كبوتهم ، وان رأى ساقطاً لا يقيله من عثرته ، وأنَّ أبصراً غافلاً لا يوقظة من غفلته ، وهو عدو الجميع كما أنه عدو نفسه ، لأنَّه دائمًا حزين مهموم مفروم ضعيف القدرة ، متفاق ، مرائي ، متلون قى كلامه ، مختلف لوعوده . ان من لا يعرف الحسد يحب نجاح الجميع ، وإذا رأى إخاه موفور الكرامة سره ذلك وأفرجه ، لأنَّه يعتبر أنَّ الجميع أفضل منه وأكثر استحقاقاً منه في كل شيء ، ويُود لو يقوم أعواجاج الساقطين ويقوى الضعفاء ويساعد الساعين في الخير ويتيح بذوى السيرة الحسنة .

« الغيط يقتل الغبي والغيرة تعيي الأحمق » (أى ٥ : ٢) « من يقف قدام الحسد » ؟ (أم ٢٧ : ٤) « حيث الغيرة والتحزب هناك التشويش وكل أمر ردئ » (يع ٣ : ١٦) « فاطرحو كل مكر والرياء والحسد وكل مذمة ، وكاطفال مولودين الآن اشتهروا اللبن العديم الفرش لكنَّ تنمووا به » (ابط ٢ : ٢١) « حسدوا موسى في المحلة وهربون قدوس الرب ، ففتحت الأرض وابتلت داشان وطبقت على جماعة أبيرام وأشتعلت نار في جماعتهم ، الهليب أحرق الأشرار » (مز ١٠٦ : ١٨-١٦) .

« قايين حسد إخاه هابيل فقتله » (تك ٤ : ٨) لما نجح اسحق وحصل منه ضعف حسده الفلسطينيون وطردوه من أرضهم (تك ٢٦ : ١٢ - ١٧) ولما اتسع رزق يعقوب ونجح جسده بنو لابان وغيروا وجوههم

ضده (تك ١٢ : ١ - ٢) وأخوه يوسف لما حسدوه باعوه (تك ١١:٣١)
 لما «للت الروح على السبعين شيئاً وتنبأ الداد وميداد ، غار يشوع
 لموي وقال له ياسيدى أردعهما فقال له هل تغار أنت لى . باليت كل
 شعب الرب يتباون اذا جعل الرب روحه عليهم . (عدد ١١ : ٢٧
 - ٢٩) ومريم لما حسدت موسى ضربها الرب بالبرص سبعة أيام . (عدد
 ١٠ : ١٢)

وداود لما قتل الفلسطيني لاقته النساء قائلات ضرب شاول الوجه
 وداود ريواته ، فاغتاظ شاول وغار قائلاً : أعطيني داود ريوات وأما أنا
 فأعطييني الألوف ، وبعد فقط تبقى له الملاكة ، فحسده ، فاقتحم الرب
 شاول بروح ردى وجن في وسط البيت (اص ١٨ : ٦ - ١٠) «ستبلط الحورونى
 وطوبى العبد العمونى ساءهما مساة عظيمة لما و جداً تحميما جاء يطلب
 خيراً لبني اسرائيل » (نع ٢ : ١٠) وهامان لمارى ما حصل لمدخائى
 من المجد والعظمة أسرع الى بيته نائحاً ومحطم الرأس (أى ٦ : ١٢ و ١٣)
 ودانى بال لما فاق على جميع المرازبة والوزراء فى بابل لأن فيه روحًا
 فاضلة حسدوه ولم يقدروا أن يجدوا علة ولا ذنبًا عليه ، ودبّروا له مكيدة
 لأنقائه فى جب الاسود فنجاه الرب ووقعوا فى الشر (دا ٦ : ٢ - ١٠)

الفصل الخامس والثمانون

العفة والطهارة

العفة صفة من صفات الملائكة ، وهي فضيلة محبوبة لدى رب جسمك ، وهي ثوب أبيض نقى ، وسماء أرضية ، وسياج للفضيلة ، وباب النعمة ، ونبراس للكمال ، وغذاء للنمو في الحياة الروحية ، وأساس السلام ، وثبات وقوه للنفس ، وترفعها عن كل الديانا والأدناس .

بين الروح والجسد عراك شديد ، فالجسد يشتته ما هو ضد الروح ، والروح تعيل إلى ما هو ضد الجسد ، فابتهد إلى الله دائمًا ليهبه العفاف . لا تثق ذاتك ولا تركن إلى قوتك بل ضع نفسك بين يدي الله وتحت حراسته وكن قنوعاً في مأكلك ولا تجعل الشراهة ديدنك ، فتنقل سلاحاً للعفة . فالعفة فضيلة ليس من السهل الحصول عليها . فصل ليعحفظك الله ويهبك قوة لها . داوم على الصلاة وأمت شهواتك ورغائبك لتسنن في طريق هذه الفضيلة . احذر الذئاب واحتدرس من الثعالب المفسدة التي تغريك بالزلات الطفيفة . اهرب من كل دنس وابتعد عن كل ما يثير شهواتك . احفظ عينيك من المناظر الفاتنة . واذنيك من سماع الأغانى النجسة . احفظ قلبك من الانحراف واضبط جميع حواسك ووجهها للخير . لا تقرأ أو تسمع ما يدعو إلى الخلاعة وحب الشهوات . انفر من كل ما يضاد العفة وتحدى ذاتك في الرياضات الروحية ولا تشغل فكرك بأمر دنس . اطرد من عقلك كل فكر يثير الشهوة . اهرب مما يسبب لك عشرة وسبعين لآن المروب هو الدواء . الوحد الذي يخلصك من هذه الأشرار ويحفظ لك العفاف والطهارة .

كن صورة نقية ومرآة صافية للكمال والفضيلة . اعلم أن زينة كل شيء العفاف . اهرب من الخطية وفر من الدنس . احتفظ بطهارة قلبك ونقاوة جسدك من كل دنس . فإن الطهارة جزيلة الثمن تفوق اللآلئ . والجوامر الكريمة في قدرها . افتن الطهارة فتملك الراحة والسلامة . أسم وراءها فترتقى إلى السماء . أحبها فتسعد نفسك . حاول أن تكون رفيقة لك في حياتك . تمسك بها تهلهل النعمة وتمنحك تاج الحياة . لا يسمع لأحد قط أن يدنص طهارتكم . تأمل حياة مخلصكم الذي سمح للأعدائه أن يتهموه بمثالب عده . ولكن لم يسمع لأحد أن يتم طهارتكم

كلمة واحدة بل قال لهم « من منكم يبيكتى على خطية ، فاعتزل كل صنوف التعبيرات والتجاذيف والافتراءات ولكنه لم يرض أن تمس طهارته . فصاحب الطهارة وتق اليها وسر في طريقها وكن ملاكا على الأرض في سيرك وكلامك وأفعالك وفكرك ونظرك وكل أحوالك . كن ظاهرا باطننا وظاهرا في كل تصرفاتك .

أطلب على الدوام نعمة الله التي لا يمكنك أن تحصل على الطهارة بدرنها . فمن لم يرد أن يكون ملاكا ظاهرا فهو شيطان خبيث نجس . لأن خطية الدنس شر جميع الخطايا لأنها تفسد كل حواس الإنسان وتدعى النفس وظلم العقل وتشوش الأفكار وتتملك القلب فتتأصل سائرو الرذائل في ذلك القلب الموبوء . وهي تتملّق الإنسان حتى توقعه في جياثلها ، وتلطفه لتفتنمه في شراكها . وهي تتشكل في ذلك بصور شتى . فتارة بشكل البساطة والبساطة . وطورا تحت رداء الحبّة . وأحياناً تخفي وجهها ببرقع الغيرة . فاحذرها واعلم أن الشيطان يتشكل بصورة ملاك نور . فاحترين من ذلك السم لئلا يكون مخفيها لك في الدسم . ابتعد عن أسباب الخطايا واحفظ قلبك من كل نزعاتها . اذا حفظ العفاف صرت نقى ظاهرا كملّاك على الأرض « اسلكوا بالروح فلا تكملو شهوة الجسد » (غل ٥ : ١٦) « امتنعوا عن الشهوات الجسدية التي تحارب النفس » (ابط ٢ : ١١) « وكل من عنده هذا الرجاء به يظهر نفسه كما هو ظاهر » (يو ٣ : ٢) « بدون القدسية لن يرى أحد الرب » (عب ١٢ : ١٤) « واد اعتقد من الخطية وصرتم بعيدا الله . فلهم شكركم للقدسية والنهاية حياة ابدية » (رو ٦ : ٢٢) .

« لا تقدموا اعضاءكم آلات اثم للخطية بل قدموا ذاتكم للحياء من الأمورات . وأغضاءكم آلات بد الله » (رو ٦ : ١٣) « قدموا احسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله . عبادتكم العقلية . ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم ، لتخبروا ما هي ارادة الله الصالحة المرضية الكاملة » (رو ١٢ : ١٥) .

الفصل السادس والثمانون

بساطة القلب وسلامة النية ووجوب اقتران

البساطة بالحكمة

كن ظاهر القلب سليم النية تجد سلام الله مقبلا اليك لأن طهارة القلب كنزة ثمين لا يقدر . سلامة النية ترقى بالانسان الى أوج القدسية أن حرصت على طهارة القلب وسلامة النية فلا شيء يقلقك . ان الضمير الطاهر يرى كل شيء حسناً وينظر الى جميع الناس بمرأة نفسه . أما الضمير الدنس فيكتظ بالظنون الرديئة ويعيش صاحبه قلق البال مشوش الخاطر . ان كنت ظاهراً أو ضميراً تقلياً يصعد قلبك الى السماء فتتمتع دائمًا بفرح الروح وعدوية السلام . الضمير الصالح يتحمل المشقات بدعة وشكر جزيل . ويصبر على الضيق ولا يعرف الفزع ويقبل الأهانات لأجل الحبة .

من له ضمير ظاهر فإنه ينام نوماً هادئاً مطمئناً ، اذ ليس هناك تبكيت ولا تشوش . بل يكون على حالة واحدة عند المدح والذم وتكون حياته منيرة مضيئة هادئة . قلوب البسطاء مسكن للروح القدس ، أما أصحاب القلوب المتکبرة والنقوس والأرواح الممتلئة خبثاً ومكرًا وخداعاً فلا يساكنها روح الله . كما أن حجر النار يقدح شراراً كذلك النفس الخبيثة الشديدة تقىض شروها . وكما أن المريض يجد الطعام الحلو مرا لماراة فمه . هكذا الشيرير فإنه يظن أن كل القلوب شريرة مثله .

النية هي السراج الحقيقي والقائد الأمين « فإن كانت عينك بسيطة فجمدك كله يكون ذيراً ، وإن كانت عينك شريرة فجمدك كله يكون مظلماً . فإن كان النور الذي فيه ظلاماً فالظلم كم يكون » (مت ٦ : ٢٢ و ٢٣) .

لما أراد مخلصنا أن يعلم تلاميذه البساطة والطهارة في النية ويضرب لهم مثلاً لها . فإنه لم يقم أمامهم فيلسوفاً أو عالماً حاذقاً أو غنياً وجيهاً يقتدون به ، بل أقام طفلاً في وسطهم وأشار اليه قائلاً « إن لم ترجعوا وتصبروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملکوت السموات » (مت ١٨ : ٣٥ و ٣٦) . فتعلم أن تكون طفلاً في نيتك وضميرك فإن الأطفال يفرجون ويمرحون وسط النحيب والبكاء ، لا يعرفون مكرًا ولا غشاً ، يثقون بكل ما يقال لهم ..

يعملون ولا يغضبون ، ي يكون ثم يعودون الى ما كانوا عليه من المرح والضحك . لا يعرفون الخجل والحياء لأن الشر لم يتطرق الى نفوسهم . ما أحلى تلك الحياة التي يحيونها ، وما اجمل النقوس وقت الطفوقة . فهم ازهار الحياة ونور الدنيا وملائكة الأرض « طبوى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله » (مت ٥ : ٨) البساطة تظهر لأصحابها أسرارا عميقية خفية ، أخفاها الله عن الحكمة والفهماء وأعلنها للأطفال (لو ١٠ : ٢١) .

يجب أن تقرن بساطة قلبك بالحكمة ، فقد قال السيد « كانوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام » مت ١٠ : ١٦ ولا يكفي أن تكون بسيطة وديعا ، بل يجب أن تتذرع بالحكمة ولا تقتحم الأمور اقتحاما وتخاطر في كل أمر من غير ترو ولا تدبر ، بل كن فطناً متدربراً عارفاً كيف تسير في الأمور ولا تدخل في أمر لا تعرف لك منه مخرجاً . كن حكيناً متبعراً بموقع الخلل . تدبر مواطن الأمان وكن سليماً نقى الضمير وديعاً أنيساً لطيفاً . اذا أحدق بك خطر او بدا لك أمر غير لائق . فكن حكيناً كالحياة وابحث لترى باباً للنجاة . انظر دائمًا الى الأمام لتتدبر عواقب الأمور حتى لا تزل قدمك ، فكثيراً ما ينخدع البسطاء أمام الأشرار . ويجتهد المتفاقون ليخفوا شرورهم تحت ستار الخير ليخدعوا السذج ويمتلكوا قلوب الوداعاء . فكن حكيناً لتكشف حيل الأعداء المحتالين والأشرار المنافقين . لا تأمن للخبائمه ولا تثق بظواهرهم وحيلهم . لا تأتمنهم على افكاره ونوایاك . بل أقرن بساطتك بقطنة ، ووداعتك بحكمة .

الفصل السابع والثمانون

الصلوة والمداومة عليها

الصلوة شركة مع الله . وصلة بين العبد وربه . اذ هي رفع القلب
إليه . وسكن النفس أمامه . وهي غذاء للفضيلة ونمو للحياة الروحية .
انها معاشرة ومقاؤضة مع الله ومعاشرة مع القدير . وهي حلقة لحبة الله .
وقوة للنفس . وغذاء للروح . تملأ النفس أشواقاً روحية . فحين تضعف
الرغبة في الصلاة تجبن النفس وتخور الروح . فالصلوة حياة الروح .
حين تنسى يجف بنبوع النعمة . ان لم نسهر ننفخ . وان نعما يأتى
العدو ويزرع فيما ما يشاء من الزوان . فالصلوة حارس للنفس ومحظوظ
للروح . بها تطرد الأفكار الغريبة . القلب الذي ليس له حارس ولا رقيب
عليه ولا يحمل عدة ولا سلاحاً يكون هدفاً لسهام العدو . فانشط للصلوة كل حين .
الصلوة أم الفضائل ومبعد كل حاسة دينية وسياج لكل فضيلة ومعدن البركات .
وهي حارس القناعة ولجام الغضب وخافضة لروح التكبر وهي نصر المحارب
ولزاء المقاتل ومجلبة للفيوض الالهية . انها خاتم العفاف . وزمام البقولية
وحارس المسافرين والراقدين . هي قوة الضعفاء وثروة الفقراء وملجاً
للمكتفين وشفيع المذنبين : بها يقتدر المؤمن على كل شيء لأنها تحرك
اليد التي تديير الكون . تفتح له باب السماء وتجعل له نصيباً في جميع
الخيرات . تحطم قوة الشيطان وتكسر سلاسل الخطية وتفك قيود الشر
وترفع نير الظلم ، وتحصد تقليبات الدهر ، تبيد سطوة الموت ، وتحصل غضب
الله الى رضا وبركة .

الصلوة سلم نوراني ترتقى به الى السماء وطريق أمين تسير فيه
فلا يدرك الظلم بل تهتدى الى مكان الراحة . هي طيب ذو رائحة زكية
يسعد شفاعة القدير كعرف طيب . وهي للنفس كالأساس للبناء وكالماء
للأرض . بها تخصب النفس وتثمر لك رياضات التقوى . وهي قناة
تجري فيها انهر النعمة الى قلبك . وهي غذاء النفس بدونها تجدب وتموت
وبها يرتفع عقلك الى السماء وترسم فيه صورة القداسة والنعمة . والنفس
بدونها مقفرة جدباء توشك ان تفنى . اذ تذهب نضارتها ويفنى جمالها .
اذا اهملت الصلاة احسست التراخي واستولى عليك الكسل وخارت منك
العزيمة وفقدت الحرارة الروحية وزال النشاط . وفني الشوق الى
السماءيات واضمحللت المقاصد الحميدة . واستسلم القلب للاهواء الشريرة

ويادت كل عاطفة مقدسة ، وفقد الفرح والسلام . فالصلة قوة كل شيء ويدرناها تفقد كل شيء . ان لم يقت جسدك بالسأكل يفني ويبيد ، وإن لم تغذ نفسك بالصلة والتأمل في الروحيات تجف وتتيس . ان لم تروض الجسد وترجه يضعف ويسمق . والنفس ان لم تتعود الرياضة الروحية تستقيم ويعتورها الألم ويسميها الفساد . فلتكن الصلاة مرآتك ترى فيها نفسك كل يوم ، وميزاناً تزن بها قلبك ومقاصدك وسائر رغائبك وميلوك . لتكن سلاحك وسيفك ، فبدونها تكون كجندى يدخل معركة القتال وهو أعزل . فيها تجد علاجاً شافياً لزلاتك ، وملاجاً من الشر والفساد . ان تراخيت أو ثارت عليك الآلام البشرية أو انخدعت بغرور العالم ، فالجأ حالاً إلى الصلاة تجد فيها خلاصك ونجاتك .

ما أشرف الصلاة وأسمها ، لا شيء يفوقها أو يدانيها في كل تكاليف العبادة . ما أسمى المرتبة التي تناهيا بالصلاحة ، بها تخاطب القدير بلا حجاب ، بل تتلذذ بالرب كيما شئت ويمقدار ما تريده وتشتهي . فيها كل ما تريده وبها تناول كل ما ترغبه ، بها تتفاوض مع الله وتأتنس به تعالى ويكون حاضراً لديك وسامعاً لك . اذا عاشرت أهل الفضل وترددت على أهل الحكمة اكتسبت شيئاً كثيراً من خصالهم وفضلهم ، فكم تكسب من المفوائد بتريده على الله . من يقرب من نار ولا يشعر بشيء من حرارتها ؟ ومن يصلى ولا يستثير عقله ويظهر قلبه ويصفى ضميره . بالصلاحة يمتلىء القلب بالرغائب المقدسة السامية فيتعالى عن الطبيعة البشرية ، ويسمو على ما في الأرض و تستعمل ميلوك كلها الى نزعات الهمة روحية .

ان جيوش الأعداء كثيرة متوجبة لمحاربتك ، ولن تغلبهم حتى تتوجه الى الله طالباً معونته وقوته . فقل له الدوام « يا لهنا أما تقضي عليهم ، لأنه ليس فينا قوة أمام هذا الجم眾 الكثير الآتي علينا ، ونحن لا نعلم ماذا نعمل ولكن نحوك أعيننا » (آئٰ ٢٠ : ١٢) .

هل رأيت ذاتك مرة غير تحتاج لمعونة الله لتدفع عنك التوازن ، والبلاء فلما زادت تتأخر عن الصلاة . هل تبني البيوت بلا بنائين أو تزرع الأرض بدون فلاحين ؟ كذلك أنت لا يمكنك الحصول على مواعيد الله بدون الصلاة ، لأنك هكذا رسم وهكذا حدد ووعد ، « اسألوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم ، لأن كل من يسأل يأخذ . وكل من يطلب يجد . وكل من يقرع يفتح له » (مت ٧ : ٨ و ٧) .

« ان كان أحدكم تعوزه حكمة فليطلب من الله الذي يعطي الجميع بسخاء ولا يعيّر فسيعطي له » (يع ١ : ٥) .

« ولهذا يصلى لك كل تقى في وقت يجده فيه ، عند غماره الماء الكثيرة ايام لا تصيب » (مز ٣٢ : ٦) .

، انى قبلما يدعون انا اجيب . وفيما هم يتتكلمون بعد انا اسمع ،
(اش ٦٩ : ٢٤) .

« تدعوا فيجيب رب . تستغثث فيقول هاندا » (اش ٥٨ : ٩) .

« فاسهروا وصلوا لثلا تدخلوا في تجربة » (مت ٢٦ : ٤١) .

« اسهروا اذا وتضرعوا في كل حين ، لكي تحسبوا أهلا للنجاة من
جميع هذا المزعج أن يكون وتقفوا أمام ابن الانسان » (لو ٢١ : ٣٦) .

« لا تهتموا بشيء بل في كل شيء بالصلاوة والدعاء مع الشكر لتعظم
طلباتكم لدى الله » (في ٤ : ٦) .

لو سمح لك ملك بمخاطبته مرة في حياتك ، لعددت شرفا كبيرا وفضلا
عظيمـا ، وتحدثت بذلك في كل ناد و مجلس . فـما بالك لا ترتفـق تلك
الخاذلـية ، ولا تشـكره عليها وهي أسمـى وأشرف ، فقد سـمح لك الله
وطلـبـتكـ أن تـخاطـبـهـ وـتـطلبـ منهـ ماـ تـريـدـ ، وهو مـصـنـعـ كلـ حينـ لـسـمـاعـ
صـوتـكـ ، ولا يـغـفلـ قـطـ عنـ تـضـرـعـاتـكـ . وهو يـحـثـكـ عـلـىـ الصـلـاـةـ وـالـدـعـاءـ
ليـقـيمـ لكـ دـلـيـلـاـ عـلـىـ اـسـتـعـادـهـ لـقـبـولـ طـلـبـكـ . انـ صـلـيـتـ صـبـاحـاـ اوـ مـسـاءـ وـلـنـ
اتـجـهـتـ إـلـىـ سـاحـتـهـ عـنـ طـلـوـعـ الـفـجـرـ اوـ وقتـ زـوـالـ الشـمـسـ تـجـدـهـ مـصـبـيـاـ
إـلـيـكـ ، انـ التـجـائـ إـلـيـهـ فـيـ السـوقـ ، اوـ عندـ قـيـامـكـ بـعـملـكـ ، انـ دـعـوـتـهـ فـيـ
الـبـرـ اوـ فـيـ الـبـحـرـ فـانـكـ تـجـدـهـ دائـماـ حـاضـراـ مـعـكـ .

« مـسـاءـ وـصـبـاحـاـ وـظـهـرـاـ أـشـكـوـ وـأـنـوـحـ فـيـسـمعـ صـوـتـيـ » (مـزـ ٥٥ : ١٧) .

« يـنـبـئـيـ أـنـ يـصـلـيـ كـلـ حينـ وـلـاـ يـمـلـ » (لو ١٨ : ١) .

« موـاظـبـينـ عـلـىـ الصـلـاـةـ » (رو ١٢ : ١٢) .

« مـصـلـيـنـ بـكـلـ صـلـاـةـ وـطـلـبـةـ كـلـ وقتـ فـيـ الرـوـحـ وـسـاهـرـيـنـ لـهـذاـ بـعـيـنـهـ
بـكـلـ مـراـؤـيـةـ وـطـلـبـةـ » (اـفـ ٦ : ١٨) .

« وـاظـبـواـ عـلـىـ الصـلـاـةـ سـاهـرـيـنـ فـيـهاـ بـالـشـكـرـ » (كـوـ ٤ : ٢) .

« صـلـواـ بـلـاـ انـقـطـاعـ ، اـشـكـرـواـ فـيـ كـلـ شـيـءـ ، لـأـنـ هـذـهـ هـىـ هـشـيـةـ اللهـ
فـيـ الـمـسـيـحـ يـسـوـعـ مـنـ جـهـتـكـمـ » (اـتـسـ ٥ : ١٧ وـ ١٨) .

« وَإِنَّمَا نَهَايَةُ كُلِّ شَيْءٍ قَدْ اقْتَرَبَتْ فَتَعْقِلُوا وَأَصْحِوْا لِلصَّلَاوَاتِ » (ابط ٧ : ٤٤)

« أَصْحِوْا وَأَسْهِرُوا لَآنَ أَبْلِيسَ خَصِّمُكُمْ كَأْسَدَ زَائِرٍ يَجُولُ مُلْتَعِسًا مِنْ بَيْتِ لِعَهْ هُوَ » (ابط ٨ : ٥)

ان الله لا يمل منك ولا يسام من طلباتك ، بل كنوزه مفتوحة لكل من يقبل اليه وبأخذ مجاناً بلا تعب « غنياً لجميع الذين يدعون به » (رو ١٢:١٠)

ان أهملت الصلاة اهملت رحمة الله وحرمت كنوزه وخيراته .

« مبارك الله الذي لم يبع صلاتي ولا رحمته عنى » (من ٦٦ : ٢٠)

الفصل الثامن والثلاثون

كيف نتقديم بخشوش في الصلاة

ان اللذة التي توجد في النفس من الصلاة لا يمكن التعبير عنها ، ولا يعرفها الا من اخترها . فهى تطبع في النفس صورة الله وتؤثر فيها تأثيرا لا يمحى ، ولا تقدر عليه كل قوات الشر في النفس . كثيرون قد تساجوا في الصلاة كأنقديس انطونيوس وبلغوا فيها الدرجة القصوى حتى انهم كانوا لا يشعرون بأنفسهم اذ فقدوا كل ما يخص ذواتهم ، لأنهم كانوا مستغرقين في الله تعالى ، ومن شدة تحررهم وتفانيهم في الله نسوا ذواتهم .

من يشرب الخمر يبتدىء تأثيرها فيه بأن يسرع عند تعاطيها ويفرح . ثم لا يلبث أن يسكت بها ، حتى ليكاد من شدة سكره يفقد حسه وشعوره ، فمن شرب خمر محبة الله في الصلاة يبتدىء بالفرح والسرور ، ولا يلبث أن يسكت بهذه الخمر ويستغرق في سكرته حتى يفقد وجوده وشعوره . فما أجله وأشهاك أيتها الخمرة المقدسة . ان خمرة العالم سمعت ، ولكن خمرة حب الله مقدسة شهيبة « كلوا أيها الأصحاب . اشربوا واسكروا ايها الأباء » (نش ٥ : ١) .

قف امام الله بخشوش ، وأعرف امام من قد وقفت . ان وقفت امام ملك او امير تجتهد في اخفاء كل عيب او نقص ويكون كلامك بحشمة وآدب ، فاجتهد اذا وقفت امام القدير المطلع على القلوب والأفكار ان تكون مثالاً للكمال الواقار . ان كنت خادماً لسيد كبير اتسأطع أن تنشغل عن خدمته وهو ناظر اليك ، وان تقدمت الى القاضي بتله شكوكك واحتاجت غسل تصرف عنه بأمر آخر وهو مصنع لسماع أقوالك . كذلك في الصلاة انت مائل بين يدي الحضرة الالهية وهو - تقدس اسمه - ناظر اليك وسامع لصلواتك فكيف تلهو عنه ولا تتجه اليه بقلبك ؟ اذكر حين تبدأ الصلاة ائمَّة دخلت السماء ومثلت امام صاحب العرش الأقدس هناك حيث ملك المجد . متسلِّل بالبهاء والجلال ، والملائكة وقوف حول العرش ، مصلطفين من يعينك وعن شمالك وهم ينظرون اليك . حين تدخل الكنيسة اجمع افكارك وحواسك وقل لها « هلم نسجد وتركع ونجشو امام الرب خالقنا ، لأنه هو الالهانا وتحن شعب مرعاه وغم يده » (مز ٩٥ : ٦ و ٧) بعد أن تكون قد طردت من قلبك جميع الأفكار الدنيوية والانعطافات الرديئة .

ان الطيش في الصلاة ناتج من التوانى والكسل والتلهي بالعالم وانشغال القلب بالأمور الباطلة التي تسبب جفافاً وبيوسة في الروح وفتوراً في الصلاة . وكما أن الآباء ينصح بما فيه . كذلك قلبك إن كان ممتلئاً بحب العالم ، فلا تطمع أن تكون صلواتك إلا ما زرعت ، فائز في قلبك النقاوة تحصد ثمر الطهارة .

لتكن صلاتك من كل قلبك ، لأن الصلاة الصادرة من الشفتين فقط ليست الا كطائر مقصوص الجناح لا يقوى الا على المش في ردهات البيت ، فلا تتعذر صلاتك اركان المكان الذي وقفت فيه . ان الله لا تهمه الالفاظ ان كانت حسنة الانشاء منمقة العبارة « لأن الله روح والذين يسجدون له في الروح والحق ينادي أن يسجدوا » (يو ٤ : ٢٤) فلتكن صلاتك الله من قلبك بلا تصنع ولا تكلف . ان العشار تبرر بقوله « اللهم ارحمني أنا الخطاء » والابن الشاطر تحزن عليه أبوه عندما اعترف بقوله « اخطأت يا ابتساه الى السماء وقدماك » فتواضع امام الله واعرف حقارتك تجاه قداسته الانهية . واظب على الصلاة وداوم عليها ولا تملها ، وان طلبت شيئاً ولم تزله ، فلا تتنشن عنه ، بل ازدد حرارة وواصل الطلب ، فمن استمر في القرع لابد ان يفتح له ، ومن الح في السؤال والطلب لابد ان يعطي .

« اطلبوا أولاً ملوكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم » (مت ٦ : ٣٣) . « هذه هي الثقة التي لنا عنده ان طلبنا شيئاً حسب مشيتته يسمع لنا » (يو ٥ : ١٤) ليكن ايمانك وثيقاً لأن « كل ما تطلبوه حينما تصلون فتأمنوا ان تتناولوه فيكون لكم » (مر ١١ : ٢٤) ول يكن لكم بحسب ايمانكم (مت ٩ : ٢٩) و « كل شيء مستطاع للمؤمن » (مر ٩ : ٢٢) « ليطلب يا إيمان غير مرتب البتة . لأن المرتباً يشبه موجاً من البحر تخبطه الريح وتندفع ، فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئاً من عند رب » (يع ١ : ٦ و ٧) .

صلاة بلا ايمان كالشعة كثيرة الانفراج لا قوة لها على الاحراق والحرارة ، فلنقدم الى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه » (عب ٤ : ١٦) .

الفصل التاسع والثمانون

التأمل قبل الصلاة

اصرف قبل الصلاة زمناً تتأمل فيه حالك وما تصلى لأجله . ابحث بذلك ، فتش قلبك ، اذكر خططياك ، لأن الصلاة بلا تأمل فاترة ضعيفة ليس لها فعل ولا اقدار . ان التأمل أخو التلاوة الروحية ، أنس للفضيلة والتقوى ، مشجع على الصلاة ، مرشد الى الاعمال الصالحة ، منبه للعواطف الجامحة ، محرك للحواس الميتة ، وهو يربى فينا الميل نحو العبادة ، لأنه يضرم القلب بنار الشوق ، ويستجلب النعمة ويستحضر الإرادة وهو للصلاحة بمنزلة قدح الزناد لخارج النار ، فاندح زناد قلبك بالتأمل لتنولد فيك حرارة الروح وتتربي فيك بنور الفضيلة فتحصل بحرارة وشوق . الإرادة ضعيفة فان لم يتبها العقل فهي نائمة مستكينة . هكذا الصلاة بغیر تأمل فانها تكون ضعيفة ، ولكن التأمل يحييها وينشئها ويوقظها ويجعلها حارة قوية ، لأن يريك حقيقة نفسك ويرشدك الى أقوم الطريق ويعلمك ماذَا تطلب .

ان الصلاة تفتح لك باب النعمة ، وتهبك ما تبتغيه . كثيرون قد ازدحموا حول الرب يسوع وهو ماش فى الطريق ولم تلمسه غير المرأة تازنة الدم (مر ٥ : ٢٤ - ٢٥) فلا يكفيك أن تسير مع المسيح وتزدحم حوله بل ينبغى عليك أن تلمسه وتقرب اليه كل القرب ليشفيك من أمراضك المزمنة .

الفصل التسعون

الاختلاء الروحى

علم نفسك الاختلاء الروحى والانفراد الباطنى . اختل بنفسك أحيانا ولو ساعة فى كل يوم لأن الاختلاء مرشد الى الفضيلة ، ومهذب للأخلاق ، وباعث لحرارة الایمان ، وهو ينير النفس ، ويرقى بالعقل ويظهر لنا حقيقة أنفسنا ، ويوقفنا على خداع العالم وغروره ، فحين تشاهد ذاتك فى سكون واطمئنان وأمان وقت خلوتك بعيدا عن ضجيج العالم وااضطرابه ، تمثل أمام عينيك الأبدية التى لا قرار لها ، فتقاد الى انسحاق القلب وخشوعه ، فى هدوء وصمت وسكون . وترتباً أمورك الروحية وتذكر حالك وتتعلم الاهتمام بالأمور المستقبلة . ان الاختلاء الروحى مدرسة للفضيلة والتعاليم السماوية ، وهو سلم نورانى سريع الاتصال الى الله .

ما أجمل هذا الاختلاء سيما اذا كان فى برية او فى خلوة بعيدا عن شواغر العالم وضجيجه . ان أصوات الطبول والأبواق تحول دون التمتع بانفاس القيثارة الشجيبة ذات الصوت البديع ، كذلك يستحيل ان تسمع صوت الله وأنت محاط بضجة العالم وتشتت العقل وخداع الحواس ، ولكنك ان كنت متفردا وحدك يخاطبك الله فى الداخل ، وينفذ اليك صوته العذب ، فيدخل قلبك ، ويفتن به لبك ، ويشغف فؤادك حبا . هناك فى الاختلاء تتعلم فى مدرسة سامية حسن التأمل وجمال الصلاة ، وتشعر بسلوان الله وتعزياته التى لا يعرفها هذا العالم ، هناك تراجع النفس أعمالها وتتذكر إهمالها ، وتجد سلامها . فما أبهى ذلك الضياء الذى يشرق على عقلك ، وما أرفع وأسمى ذلك اللهب السماوى الذى يشعل فى قلبك ويملاك به فى الخلوة بين الكهوف والبرارى . هناك ترتفع افوايق السلوان وتشعرون بفرح التعزيات التى لا يعرفها الا من ذاق حلاوتها . كف اذن نظرك عن العالم وجرد قلبك عن حب الخليقة ، ووجه كل عواطفك الى الله واشغلها بعيه ومناجاته تر سلام الله مقbla اليك . اختلى اياها فى البرية مع الله وأنفرد موسى على الجبل حتى استلم الشريعة الالهية فى جبل سينا ، ويوحدنا المعandan كان فى البرية ، ويسمون مخلصنا كان ينفرد فى البرارى والجبال ويصلى هناك .

حين تختلى بنفسك وتشعر بذلك العذوبة الالهية تستثير يوميضاً
النور الالهى ، حينئذ ترى لذات العالم مراارة ، والسعادة الأرضية أصناف
احلام ، والخلقة كلها شيئاً تافها اذا وازنته بذلك المجد الذى لا يوصف ،
ثم تعرف أن كل ما في الحياة غرور وخداع ووهم .

ان ضجيج العالم والاهتمام به يكونان على القلب غيوماً كثيفة تمنع
الاشراقات الالهية . وتحجب ذلك النور المتألق . اما الزهد المحتلىء
بائتمنة فيجلب للنفس نوراً متألقاً فترى وتعاين مجد الله الباهر « طوبى
للآباءِ القلب . لأنهم يعainون الله » (مت ٥ : ٨) طوبى لتلك الأعين
التي تغضُّ الحاظها عن العالم لتشاهد وتتمتع بذلك النور الالهى المشرق في
قاوبِ القديسين .

الفصل الواحد والتسعون

تلاؤ الكتاب المقدس وقراءة الكتب الروحية

الكتاب المقدس خزانة الموعيد السماوية ، واهراء البركات الالهية ، فيه زاد ومؤونة تدخل لوقت الحاجة ، وهو أرض خصبة تنبت فمحجاً جيداً ، مراج نصرة وكرمة تتدلّى بها ثمار شهية ناضجة ، أنه غذاء دسم للروح ، ينبعو سرور لا ينضب ونهر زاخر لا يغيب ، ومجرى مقدس يفيض نعمة وبراً وحكمة وخلاصاً وكاماً وجلاً وعدوية وسلاماً وبركة ورقة ورحمة وعزاء . التلاؤ الروحية قوت للنفس ، وغذاء للروح ، عدة عند التجارب تعزية لدى المحن والضيق ، سلاح في المخاطر ، وسهام للمحاربة ، فهي تعلّم النفس أشواقاً مقدسة وتجعلها تنمو في الفضيلة ، وترفع العقل ، وتنيره وتبلغه إلى السماء ، وتحفز الأرادة إلى الإيمان ، وتعم النفس سروراً وفرحاً وتعزية حين الضجر والضيق . الكتاب المقدس سراج وهاج ينير ظلمة العالم . « سراج لرجل كلامك ونور لسبيلك » (مز ۱۱۹ : ۱۰۵) « وعندنا الكلمة النبوية وهي أثبت التي تفعلون حسناً ان انتبهم اليها كما الى سراج مثير في موضع مظلم الى ان ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم » (بط ۲ : ۱۹) . بدونه يسير الانسان في ظلمة مدهمة ويتعثر في طريق شائك . هو دليل الحياة ، يوجه ذئبه ونضل في فيافي الآثم وقار الخطية . هو القائد الى اورشليم السماوية ، والمرشد الى ارض كنعان . هو مصدر التقوى ، وينبعو الآداب الصحيحة ، وأساس القوة والعظمة « ناموس ربكم يعود النهرين . شهادات رب صادقة تصير الجاهل حكماً . وصايا رب مستفيدة تفرح القلب . امر رب طاهر ينير العينين ، خوف رب نقى ثابت الى الأبد ، احكام رب حق عادلة كلها . اشهى من الذهب والابريز الكثير . واحلى من العسل و قطر الشهاد » (مز ۱۹ : ۷ - ۱۰) .

« لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاكس وممزدة أفكار القلب ونياته » (عب ۴ : ۱۲) « كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك بل يرويان الأرض و يجعلانها تلد وتنبت وتعطى زرعاً للزارع وخبزاً للأكل ، هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي . لا ترجع إلى فارغة ، بل تعمل ما سرت به وتنجح في ما أرسلتها له ، (أش ۵۵ : ۱۰ - ۱۱) »

« يهطل كالنطر تعليمي ويقطر كالندى كلامي . كالطل على الكلاء وكالوابس على العشب » (تث ٢٢ : ٢) « أليست هكذا كلمتى كنار يقول الرب وكمطرقة تحطم الصخر » (أر ٢٣ : ٢٩) .

انك في الصلاة تناجي الرب وتحادثه ، وبتلاؤه كتابه تصفى اليه فانه يحدسك ويناجيك . فان كنت تصلى فقط ولا تقرأ الكتب المقدسة ، فإنك تناجيه وهو لا يناجيك ، وتحاطبه ولا تسمع كلامه ، وتكون صلتك بالله ليست متينة . ولكنك تنمو نمواً حقيقياً في التعمة ، أقرأ كلام الله ، وأصagne لحسوته للتعرف ارشاداتك واراداته ومشوراته . ان تغريب زماناً طويلاً عن وطنك ، ولم ترد اليك رسائل تنبئك عن سلامتك أهلك قلت وفزعت ، فما بالك لا تقرأ تلك الرسائل المقدسة ، رسائل الحبة التي جاءتك من أبيك السماوي للتعرف محبته لك ، وما عمله لأجلك ، وتتعرف أخبار القديسين أخوتك الذين هم في السماء وتقف على أفرادهم وراحتهم الأبدية ، وما هي الطريق التي ساروا فيها لتتبع آثارهم وتترسم خطواتهم . كيف تكون جندياً الله ان لم تحمل معك سلاح كلمته ، وبأى حق تدعى أنك من أولاد الله وأنت لا تعرف وصية الآب وميراث البنين !

١

الكتاب بمنزلة مرآة مصقوله نقية نرى فيها أنفسنا وحاجاتها وما يجب علينا . تارة يخبرنا عن أفعال القديسين لتفتنى أثراهم ، وطوراً يريينا جهادهم واحتمالهم لنقتدى بهم . وأونتا يخبرنا عن مجدهم وسعادتهم لنشاركتهم في فرجمهم . وحياناً يكشف لنا عن ضعفهم وسقطاتهم حتى يريينا ضعفنا ونقصنا كي لا نشق بذواتنا . أرانا أيوب الذى نمت فضيلاته بين محمات التجارب وأشواك الأوصاب ، وعرفنا داود عندما سقط معلوباً ، وأوضح لنا قيامه تائباً حتى نتعلم احتمال التجربة وعدم الاتكال على الذات وملازمنة التواضع والحزن والحدى ، حتى في أوقات نمونا ونجاحنا الروحى . الكتاب مرآة مجلولة ، فيه ترى ما تصلح به ذاتك ، فيه ترى عيوبك فتصلحها ، وحاجة نفسك فتطلبها .

لا يقييك أن تقرأ كلام الله وتتلوه دون أن تتدوّق طعمه وتفهم لفظه . فعمري أن القراءة بدون تأمل لهاي بمنزلة قشر بدون لب ، ولكن اللب الداخلى هو الروح العزى . وكما يتذوق الفم الطعام ، كذلك النفس تعرف وتتدوّق لذة كلام الله . ان الريض يجد الحلو مرأاً في فمه . هكذا النفس الخبيثة لا تذوق حلاوة كلمة الله . المعدة التي لا تضبط المأكل في حوفها تكون مريضة وفي حالة سيئة ، ولكن النفس التي لا تحفظ كلام الله تكون في حال اسوأ .

قوم يقرأون الكتاب لأجل العلم ونفع الآخرين وتعليمهم ، وهذا مفيد ونافع . ولكن له وقت خاص . آخرون يخصصون أوقاتاً لدرس الكتب الروحية لاكتساب الفضيلة لتربيتهم أنفسهم ونورهم الروحي . وهذا ضروري لكل إنسان .

« لتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك . وقصها على أولادك وتكلم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق وحين تنام وحين تقوم . وأريتها عالمة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك . واكتبهما على قواصم أبواب بيتك وعلى أبوابك : احفظوا وصايا الرب الحكم وشهاداته وفرائضه التي أوصاكم بها . وأعمل الصالح والحسن في عيني ، الرب الذي يكون لك خير وتدخل وتمتلك الأرض الجيدة التي حلف الرب لآبائك ، (تث ٦ : ٦ - ١٨) . »

الفصل الثاني والتسعون

نصائح وقواعد لدرس الكتاب

أولاً - عين لنفسك وقتاً مخصوصاً كل يوم لدرس الكتاب بدون اقطاع ، ولا يوجد وقت أحسن وانسب من الصباح الباكر حين يكون الذهن متقداً والقلب خالياً والجسم مستريحاً من متاعب الحياة . كرسه لقراءة كتاب الله قبل أن تبدأ بأشغالك لتقديس يومك وتبارك عملك وتتسلّم فيه لصد مجملات التجارب التي قد يمكن حدوثها أثناء النهار . كان بنو إسرائيل يجمعون المن وقت الندى في الصباح الباكر قبل بنوغ الشمس لئلا تذيبة حرارة النهار ، فاجمع أنت المن المقدس وفتش عن الجوائز الكريمة فيه باكراً لئلا تأتي الأشغال وتطفيء الحرارة من قلبك ومتى تتعودت بذلك كل يوم حينئذ يرroc هذا الغذاء الدسم . وكلما تغذيت منه زادت شهيتها وتضاعفت اشتياقك إليه .

ثانياً - اقرأ باصياغه وتأمل وامعنان ، تف قليلاً عندما تجد آية تحتاج إلى تفكير لتأمل فيها . الطيور عندما تشرب الماء لا تشربه دفعه واحدة ، بل على دفعات متواالية ، وفي كل مرة ترفع رأسها إلى فوق . فكن أنت كذلك . لا ترتوى من مياه النعمنة الجارية من انهار الكتاب الإلهي إلا أن امعنت النظر وتأملت بخشوع في ما تقرأه خير لك أن تقرأ جزءاً يسيراً يامعنان وتأمل من أن تقرأ كثيراً بلا رؤية . لأنه ليس المراد كثرة القراءة ، بل تحصيل المنفعة . إن طلب القوت الروحى لقوت الجسد ، إذ ليس العبرة فيه بكثرة المأكل بل بقيمه الغذائية وحسن هضمها . حل بافقارك بقية النهار فيما قرأتها ولو كان آية واحدة لابد أن تحملها موضوع تأملك ، كل الكتاب جواهر ثمينة ، وهو من لا يذى ولا يفرغ ، وحفة من هذا الدقيق النقي كافية لغذاء الإنسان مدى الحياة وهو مثل كوز الزيت الذي لم ينقص من بيت الأرملة في أيام إيليا .

ثالثاً - ارفع يديك قبل التلاوة إلى فوق واطلب من الله ان يكشف الحجب عن عينيك لترى عجائب من شريعته . امساكه بركرة وإرشاداً ، فالروح هو الذي أليم الأنبياء لكتابه الكتاب « لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان

بل تكلم أناس الله القديسون مسوقيين من الروح القدس » (٢٦ : ١) « كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوجيه للتقويم والتأديب الذى فى البر ، لكي يكون انسان الله كاملاً متهباً لكل عمل صالح » (٢٦ : ٢) « ومتي جاءت ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق » (يو ١٦ : ١٣) « وهو يعلمكم كل شيء وينذركم بكل ما فلتكم لكم » (يو ١٤ : ٢٦) ٠

رابعاً - أقرأ الكتاب بترتيب ولو أن الكتاب كمنجم للجواهر والذهب الخالص وحيثما حفرت وجدت كنزاً ، ولكن أنساب طريقة ادرس الكتاب ومعرفة ما فيه هي درسه بالترتيب وعلى التوالى سفراً سفراً . أقرأ السفر بتمامه ، وأثناء قراءتك تأمل صلة الآيات بعضها ببعض في جميع الأسفار بواسطة الحواشى التي تشير اليها . لا تجعل كتاب الله كتاب تسليمة بل ادرسه بكل امعان ٠

خامساً - اجتهد حين تتأمل الآيات أثناء قراءتك ، أن تجمع أهم النصوص التي أثارت عقلك ، واستولت على قلبك ، أو أشر إليها في نفس كتابك لحفظها والرجوع إليها ٠

سادساً - أقرأ الكتاب لنفعتك الشخصية وبنائه الروحي ونموك في النعمة ، مستخرجاً غذاءك الدسم ومؤونة حياتك . أقرأ رسائلة حبيبة من والد لأبنه . اذا رأيت فيه وعداً من مواعيد الرب فاطلب منه تعالى أن يعطيك أيامه ، واجتهد لتتالله ، لأن الكتاب لم يعط للقراءة فقط ، بل لنيل البركات والمواعيد التي فيه . فلا فائدة من القراءة ان لم تقل مواعيدها . وهو لم يعط للتفكهة وللذلة ، بل لتأخذ الجوامر التي فيه ومتلكها . اذا سطع أمامك نور باهر من خلال سطوره المقدسة فاهتد به . اذا رأيت ثمرة شهية وعنقوداً لذيناً من هذه الكرمة فاقطفه « كم أحبيب شريعتك . اليوم كله هي لهجي » (مز ١١٩ : ٩٧) « وجد كلامك فأكلته فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي » (ار ١٥ : ١٦) ٠

سابعاً - أقرأ الكتاب بالوقار والاحترام والخشوع والهيبة التي تليق بكتاب الله ، وقل مع النبي « من كلامك جزع قلبي » (مز ١١٩ : ١٦١) أقبل تعاليمه بخضوع وطاعة فإن الرب « يدرب الودعاء في الحق ويعلم الودعاء طرقه ، سر الرب لخائفه وعهده لتعليمهم » (مز ٢٥ : ٤٩ و ٢٥) « إلى هذا أنظر إلى المسكين والمسحوق الروح والمرتعد من كلامي » (اش ٦٦ : ٢) لذلك اطرحوا كل نجاسة وكثرة شر فاقبلاً بوداعة الكلمة المغروسة القادرة أن تخلص نفوسكم » (يع ١ : ٢١) ٠

ثامناً - اخضع لصورات الكتاب وأطع ارشاداته وأعمل بها وأعلم
 أن لا فائدة من الفراغة ما لم تفعل بما تأمرك به ، فإن أطعت كلاماته
 يفتح لك باباً للنجاح ويرشدك إلى فهم ما تقرأه ويساعدك على اتمامه ،
 وإن لم تطع ينزل من أمامك النور المشرق وتفني شهتك ورغبتك . لا
 يكفيك أن تقرأ الكتب المقدسة أو تتكلم بكلام النعمة بل المطلوب هو العمل
 والفوءة . فليس الكلام عن أحسن المأكل وأشهى المشارب كالأكل والشرب
 حقيقة ، وليس البحث في الجواهر كامتلاكها ، وليس الكلام عن الحرب
 كالدخول في حومة القتال ، فلا سبيل لأن يكون البحث في النعمة
 والحديث في الروحيات نافعاً إن لم تمتلك النعمة حقيقة وتعلّم في الإنسان
 الباطن بالحق والقوة .

« لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك ، بل تلهم فيه نهاراً وليلاً
 لكي تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه ، لأنك حينئذ تصلح طريقك
 وحينئذ تفلج » (يش ١ : ٨) .

كما يجب عليك درس كتاب الله ، كذلك من النافع لك اختيار الكتب
 الروحية المقيدة لاقرأها ، فهي خير الجلساء وتفيدك أكثر مما يفيديك
 الأصدقاء ، لأنها تزيدك علماً وتهذيباً وتؤديك إلى أحسن الآداب ، وترشدك
 إلى طريق الحياة الحقيقية والسعادة الأبدية . إن قراءة الكتب الروحية
 تفيدك أكثر من سماع الوعظ أحياناً ، لأنه لا يمكنك أن تجد واعظاً في كل
 حين ، ولكن الكتب دائمةً بين يديك مطيبة لك وتحت أمرك ، تقرأ فيها
 ما تشاء في كل مكان وفي أي زمان . ما يقوله الواقع-ظ يمر سريعاً ولا
 تستطيع تأمله كل وقت ، أما الكتب فيمكنك تأملها ومراجعتها كلما شئت ،
 ولذلك في الكتاب كنز ثمين ، فما لا يأنى به الواقع-ظ تجده في الكتاب أن
 الكتاب يعظ ويوبخ وينصح وينذر بلا خوف لاجميع على حد سواء . بالقراءة
 في الكتب يمكنك أن تحدث القديسين وتسمع كلامهم كأنك معهم .

وكما تهرب من معاشرة السفهاء واللثام ، ليبعد كذلك بكل قوتك عن
 الكتب التي تفسد الأخلاق وتدنس النفس . أبعد عن الكتب الماوية بالخلاعة
 والداعية إلى الفساد . لا تقرأ كتاباً لا فائدة منه لثلا تضيع زمناً أنت
 أحسوج إليه ، لا تكثر القراءة إلا في كتب سامية المعانى جميلة الآداب
 لترسم في ذهنك صور نافعة من قراءتها ، وابعد كل كتاب خال من الآداب
 كما تنبذ السفهاء .

الفصل الثالث والخمسون

عدم فهم ما يتجاوز عقولنا وعدم الرغبة في

استقصاء أحكام الله العالية

ـ سلم الأمر لله ولا تهتم بالبحث فيما يتجاوز قدرتك والتقييش في أمور الله الغامضة . لا تسل لماذا كان هذا قويا صحيحا معافى ، والآخر مبتلى بالأمراض ومتقلبا بالأوجاع ؟ ولماذا سعد هذا وشقي ذاك ؟ ولا ي شيء ذلك يفرح وهذا رازح تحت ثقل الأحزان . هذا مضروب بالألام وغيره ممتنع بالمسرات . ولم يموت هذا النافع شابا بينما كثيرون في سن الشيخوخة وهم عديمو النفع ! لماذا يشرق النور على هذا ولا يزال ذاك في ظلمة الليل الحالك ؟

اترك هذا كله فإنه لم يعط لك أن تفحص فيه وتنقش عنه فهو مما يفوق ادراكك . أمور الله وأحكامه غامضة لا يدركها عقل ولا يفحصها برهان . وما عليك إلا الخضوع لأحكامه ، وعندما يحفزك العقر على البحث أو يستحدث الناس أو يوسعون لآنك العدو فقل « بار آنت يارب وأحكامك مستقيمة » (مز ١١٩ : ١٢٧) « أحكام الرب حق عادلة كلها » (مز ١٩ : ٩) « هكذا صارت المسرة أمامك » (مت ١١ : ٢٦) اهتم بما يجب عليك واشغل بالك فيما تؤديه ما لك وفحص الأسرار الغامضة العويسقة التي يقصر فكرك عن ادراكها ؟ وحين تظن آنك تبحث عن هذه الأمور اعلم أن عقلك يقودك إلى الضلال . قال الحكم ابن سيراخ « لا تطلب ما يعييك نيله ، ولا تبحث عما يتجاوز قدرتك ، لكن ما أمرك الله به ففيه تأمل ، ولا ترحب في استقصاء أعماله الكثيرة ، فإنه لا حاجة لك أن ترى المغيبات بعينيك ، وما جاور أعمالك فلا تكثر الاشتغال به » فإنك قد اطلعت على أشياء كثيرة تفوق أدرك الانسان ، وأن كثريين قد أضلهم زعمهم وأزل عقولهم وهبهم الفاسد » (ص ٣ : ٢٢ - ٢٦) « السرائر للرب هنا والمعلنات لنا ولبنينا » (تث ٢٩ : ٢٩) .

لا تكون فضوليا ومدعيا ، ولا تستقص أمور الله التي تعلو على ادراكك . الأولى بك أن تخاف من أحكامه وتتحنى طاعة لها ، فذلك خير من أن تبحث عنها وهي تفوق أطوار العقل البشري لأن « من من الناس

يعرف أمرور الانسان الا روح الانسان الذى فيه . هكذا أيضاً أمرور الله لا يعرفها أحد الا روح الله » اكر ٢ : ١١ « هل تنصت في مجلس الله » (أى ١٥ : ٨) « أللله يعلم معرفة وهو يقتضى على العالين . هذا يمتد في عين كماله ، كله مطهّن وساكن . أخواضه ملائكة لبتنا ومن خلقناه طرير . وذلك يموت بنفس مرة ولم يذق خيراً . كلّاهما يضطجعان معاً في التراب والدود يغشاهما » (أى ٢١ : ٢٢ - ٢٦) « هؤلا الله يتعالى بقدرتهم . من مثله معلماً . من فرض عليه طريقة او من يقول له قد فعلت شرها » (أى ٣٦ : ٢٢ و ٢٦) « من قاس روح الرب ومن مشيره يعلمه . من استشارة فآفهمه وعلمه في طريق الحق وعلمه معرفة وعرفه سبيل النهم . هؤلؤا الأمم كنقطة من دلو . وكفبار في الميزان تحسب . هؤلؤا الجزائر يرفعها كرامة . كل الأمم كلا شيء تداهه من العدم والباطل تحسب عنده » (أش ٤ : ١٣ - ١٧) « لأنّه من وقف في مجلس الرب ورأى وسمع كلامته . من أصغى لكلمته وسمع » (أر ٢٢ : ١٨) « يا لعمق غنى الله رحمةه وعلمه . ما أبعد حكماته عن الفحص وطارقه عن الاستقصاء . لأنّ من عرف فكر الرب او من صار له مشيراً ، او من سبق شاعطه في مكان ، لأنّ منه وبه وله كل الأشياء . له المجد إلى الأبد . آمين » (رو ١١ : ٣٢ - ٣٦) .

« ألى عمق الله تتصل ألم الى نهاية القدير تنتهي هو أعلى من السموات فعماذا عساك أن تفعل ، أعمق من الهاوية نعماذا تدرى ، أطول من الأرض طوله وأعرض من البحر . ان بطيش أو أغلق أو جمع فمن يردء أاما الرجل ففارغ عديم الفهم وكجحش الفرا يولد الانسان » (أى ١١ : ٧ - ١٧) « لا يدرك الانسان العمل الذي يعملاه الله من البداية إلى النهاية » (جا ٣ : ١١) « رأيت كل عمل الله أن الانسان لا يستطيع أن يجد العمل الذي عمل تحت الشمس . مهما تعب الانسان في الطلب فلا يجده ، والحكيم أيضاً وان قال بمعرفته لا يقدر أن يجده » جا ٨ : ١٧ « كما أنت لست تعلم ما هي طريق الربح ولا كيف العظام في بطن الحبل كذلك لا تعلم أعمال الله الذي يصنع الجميع » (جا ١١ : ٥) .

الفصل الرابع والتسعون

التوبة

التوبة صلح مع الله ، وطهير للخطايا ، ومحو للماشم وبغض المأمور ، ورجوع إلى الله . تصلاح ما فسنته الخطية ، وتبني ما هدمته العصبية . تجدد قلب الخاطئ وتلبس الأثم حلة البر . تطرد الفساد وتقاوم الملوك الرديئة . تنير العقل ، تطرد أعمال الظلمة ، تحجز الشر ، تعيد السرقيم صحيحا ، والعليل معافي والشره عذيفا ، والخافل منتها متقبضا . والسارق أمينا . والقاتل بريئا . تزد تشفى وتبرر العاصي والخدان والشريف والمجرم والأثيم وتدخلهم جميعا دار الأمان .

بالخطية نفقد كل النعم والمواهب وما نملكه من الفضائل ، والتوبة تعين لنا ما فقدناه وتبنينا ثروة من الفضائل لا تستحقها . طريق التوبة طريق أمين وهي باب مفتوح للخلاص لا يُقفل اذ هو صدر الله الرحيم « من يقبل الى لا أخرجة خارجا » (يو ٦ : ٣٧) .

الله أب رؤوف رحيم لا يذكر العصبية ولا يحقد على أحد . إن أرتكب الانسان كل العاصي والآثام وعاد إليه تائباً نادماً يفتح صدره الحنون لاقتياله ولا يذكر آثامه ، بل يطرحها إلى عمق البحر . قال له المجد « اذا رجع الشرير عن جميع خطایاه التي فعلها وحفظ كل فرائضي وفعل حقا وعدلا فحيوة يحيا . لا يموت . كل معاصرية التي فعلها لا تذكر عليه . في بره الذي عمل يحيا . هل مسيرة أسر بموت الشرير يقول السيد الرب إلا برجوعه عن طرقه فيحيا . وإذا رجع البار عن بره وعمل اثماً وفعل كل المرجاسات التي يفعلها الشرير أفيحيا ؟ كل بره الذي عمله لا يذكر ، في خباته التي خانها وفي خططيته التي اخطأ بها يهودت » (حز ١٨ : ٢١ - ٢٤) .

اذكر انك اخطأت وتب واندم على ما فعلت وكن واثقاً ان الرب يقبل بفرح جميع القائمين اليه ، اقترب الى الله وقلبك مملوء بعواطف الامان والرجاء والمحبة . وقبل التوبة استشعر قلبك بشلل خطایاك ، اعرف ذنبك وكيف أهنت القدس وأسلحته باشمك . افتنع بذلك مجرم اثيم بددت .. وهبت من النعمة وخسرت كل شيء ولم تتعه مستحقاً شيئاً من خيرات السماء . تأسف وأحزن واندم على ما فعلت من الأثم وعلى ما أهملت من الخبر . ليكن حزنك ناتجاً من فقدانك الله الذي هو الخير المدح . تقصد

إلى التوبة بقلب منكسر وروح منسحق لأن القلب المنكسر والمنسحق لا يرذله الله (مز ٥١ : ١٧) وحيثند تقدر أن تصرخ مع داود والابن الضال والعشار قائلاً «لأنى عارف بمعاصي وخطيقى أمامى دائمًا، إليك وحدك أخطات والشر قدام عينيك صنعت» (مز ٥١ : ٣و٤) «يالبى أخطات إلى السماء وقدامك ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك أبنا» (لو ١٥ : ١٩و١٨) «إذهم أرحمنى أنا الخطأء» (لو ١٨ : ١٣) وحيثند تسمع الرب يقول «اخروا الحلة الأولى والبسوه وأجعلوا خاتماً في يده وحذاء فى رجليه ٠٠٠ لأن ابني هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد» (لو ١٥ : ٢٦و٢٢)

أبغض الخطية وأميتها لأنها هي التي جلبت عليك غضب الله وأبعدتك عن رحمته وأفقدتك الخيرات وصيرتك شقياً بائساً . لا تبغضها فقط بل أغضب أسبابها ومحاجباتها وعلتها وكل ما يؤدي إلى طريقها . حد عن مسالكها لأن الشرير لا يحب الخطية من حيث هي خطية بل يحب مادتها فهو يحب اللذة الأثيمة لأنها أثيمة بل لأنها لذة . فاقطع جرثومتها وأستأصلها ولا تتبع خداعها ولتكن حلاوتها مرارة . أعزز عزماً ثابتاً على عدم الرجوع إلى الخطية ، لأن عدم الرجوع عنها هو نفس التمسك بها ، فان كنت قد تخلصت من ذرها فلا تعد تأس نفسك وتقيدها بسلامها . بعد أن خرج بنو إسرائيل من أرض العبودية أسرع فرعون بحيشه كى يلحق بهم ويردهم ويستعبدهم . كذلك لابان حين تركه عقوب وسافر تبعه وجماعة معه . فاياك أن يدرك العدو بعد أن طردته ، ويغلب عليك بعد أن هزمته . لا تنس أنه مترب قرصة لاقتاصك واستعدادك . انظر قول مخلصك «ها أنت قد برئت فلا تخطئ أيضاً لثلا يكون لك أشر» (يو ٥ : ١٤) «لأن ما انغلب منه أحد فهو له مستحب أيضاً ، لأنه إذا كانوا بعدما هربوا من نجاسات العالم بمعرفة الرب والمخلص يسوع المسيح ، يرتكون أيضاً فيها فينغلبون ، فقد صارت لهم الآخر أشر من الأوائل ، لأنه كان خيراً لهم لو لم يعرفوا طريق البر من أنهم بعد ما عرفوا يرتدون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم . قد أصابهم ما في المثل الصادق كلب قد عاد إلى قيه وخنزيرة مغسلة في مراة الحمام» (بط ٢ : ١٩ - ٢٢) . عش طاهراً وقديساً بعد التوبية . لا تعاود شهواتك السابقة . غير مجرى حياتك ، جدد روح ذهنك حتى تختبر ما هي ارادة الله وتذوق لذة نعمة الرب .

لا تؤخر توبتك إلى وقت آخر لثلا يمضي الزمان ويدرك الموت ولا تكون قد بلغت ما كنت تصبو إليه . فليس الرب تحت ارادتك ، ولا حياتك في قبضة يدك . خلاصك الان اقرب اليك ، الان وقت مقابل ، الان وقت خلاص «فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء ، مفتدين الوقت لأن الايام شريرة» (اف

١٦٥ :) . لا تقل في نفسك أفعل هذه الخطية ثم اتوب ، فان ذلك وقاحة على الله واثم عظيم ، ومثلك في ذلك كمن يحصل اليوم على لولوة كريمة فيلقها في البحر على أمل أن يأتي بعد أيام ريجدها ، وكمثل من يلقي بنفسه في نار متأججة على أمل أن ينجو منها ، لا تخطئ وتنقول ان الله رحيم فان ذلك اهانة بكرى الله . كأنك تنسب للرحمة وتتفى عنه تعالى العدل ، بل أعلم أن الهاكلين برحمته على هنئ هذا الدخاع أكثر من الهاكلين بعدله .

يا هذا ان أنت أهنت العدل يمكنك أن تلتجيء الى الرحمة ، ولكن ان أهنت الرحمة ذاتها فالى من تلتجيء حينئذ ؟

لا تستعظام خطاياك ولا تستكثرها على رحمة الله وتبطل أنه لا يقبلك فإن من يقبل اليه لا يطرده خارجا « لأنه لم يأت ليدعوا أبداً بل خطأة الى التوبة » (مت ٩ : ١٣) « وجاء ليطلب ويخلص ما قد هلك » (لو ١٩ : ١٠) وأنه « يكون فرح في السماء بخطاىء واحد يتوب أكثر من تسعه وتسعين باراً لا يحتاجون الى توبة » (لو ١٥ : ٧) قال رب : « حقاً انه كما تخون المرأة قرينه هكذا ختنموني ... ارجعوا أيها البنون العصاة فأشفي عصيائكم » (ار ٣ : ٢٠ و ٢٢) « هلم نتجاج يقول رب . ان كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج . ان كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف » (اش ١ : ١٨) .

ارجع حالاً وتب الى رب لأنك ما دمت مبتعداً عنه فلا سلام له ولا راحة . ان الحمامات التي اطلقها نوح لما لم تجد مكاناً لراحة في العالم اضطررت للرجوع الى الفلك لأن فيه راحتها . ويونان لما هرب من وجه رب لقى العناء والتعب ، وأقبات عليه الزوابع في البحر تطارده وتقاومه ولم يجد سبيلاً للنجاة الا بالرجوع الى الله فطلبها وهو في عمق بطن الحوت . كفاك ايها الخطأ شقاء وبلاء . هل اشعبك خربوب العاصي ؟ هل حصلت على سلام من لذات العالم ؟ وأنى العاصي أن يجد فيها راحة وسلاماً ؟ « أما الأشرار فكالبحر المضطرب لأنه لا يستطيع أن يهدأ ويقتدف مياهه حماة وطننا . ليس سلام قد أطلق اليه للأشرار » (اش ٥٧ : ٢١ و ٢٠) إلا عد لذاته واخل بنفسك واندم وارجع الى رب تائباً فيقبلك .

النسم على الخطية معلم ماهر يهذب النفس ، ودواء ناجع يشفى مرض الروح . وهو يذكرنا بما ثمننا ويسولد في صدورنا حب الرجوع الى

الله ، وصوت عذب فى اذنى الله يحنن قلبه ويستعطر رحمته ، وهو برهان التوبية الحقة فاقطع أسباب الخطية وارجع الى الرب وبادر للشفاء من جراحها . ان الجرح فى بدايته يسهل برؤه ، ولكن ان ازمن واهمل طويلا يمسر شفاؤه ويحتاج لعلاج كثير وتعب طويل : فأشف ذاتك بالتوبية سريعا واعقد الصلح مع الله قبل أن يستعصى داؤك فأنت لا تتحمل أن تدوم عذراً ثم تنسى تمر عاصيا له . قبل الخطية يمثل العدو لنا الله مملوءا رحمة وحنانا . ولكن بعد السقوط يمثله لنا عادلا قاسيا لا يعرف الرحمة والشدة وذلك لكي يوقعنا فى اليأس والقنوط . اياك وقطع الرجاء بل اجعل رحمة الله نصب عينيك . ولبيقديك ملاك الرجاء والایمان . لأن من قطع رجاءه كان خليقاً أن يكون كيهردا الذى بدلا من أن يندم ويتب قتل نفسه وهلك .

الفصل الخامس والخمسون

تجنب الاعتدارات والتعطل عن الخطبة

قال داود النبي « لا تمل قلبي الى امر رديء لأن تعطل ب فعل الشر مع أناس فاعلى اثم » (مز ١٤١ : ٤) . كثيرون يفعلون الخطية ويرتكبون الذنب ولا يررضون أن يعترفوا بشرهم ، بل يختلقون لذلك علا وأعذاراً بادلة كي يبرروا فعلتهم ظانين أنهم بذلك ينجون من طائلة الدينونة . أيها العذر : لمن تقدم هذه الأعذار الباطلة ؟ هل الله الذى لا تخفي عليه خافية ، اخترع ما شئت وانتحل من الاعذار ما أردت ، ولكن أعلم أنك إنما تتubb عبشاً وتعمل باطلًا لأن الله عالم ما في نفسك ومطلع على كل ما بدور بقابلك . فان أنت أخطأت في بيأ وجه تعذر عن اثرك ، وأنت حر مرشد مختار ، لا مجبر ولا مقهور على عمل ما لا ت يريد وما لا تحب ، لأن الخطية ليست خطية ما لم تكن بارادة واختيار . والأراده ليست ارادة الا اذا كانت مطلقة . فيما أنك حر الارادة مطلق الاختيار في كل شيء ، فليس لك أن تعذر عن خطية صدرت منك . أو نفعي باللامنة على الطبيعة أو غيرها ، فإنه أولى أن تتubb على نفسك وتشكوا من ذاتك . فلا تتعلم أن تجاف اللوم على غيرك . آدم حين أخطأ لم يعترف بذنبه بل قال « المرأة التي أعطيتني هي أعطتني فأكلت » . من ذلك الحين ترى الناس يقدمون علا وأعذاراً عن خطاياهم ، ومن لم يكن له عذر لقنه أبليس الف عذر .

إن المخلص الحمل الوديع الظاهر من كل عيب جاء في شبه جسد الخطية وحمل نفسه جميع أوزارنا وحسب كخطيء مذنب وحمل نفسه كل عقاب الشريعة ك مجرم ، فكيف تجسر أنت يا من تستحق الموت لخطاياك أن تبرر عمل ذاتك أمام الله ، وتعذر عن آثامك كي تظهر أمام الناس بارأ صالح ، إنما أنت بذلك تحكم على نفسك بالدينونة « ان قلنا انه ليس بينا خطية نضل أنفسنا وليس الحق بينا ، ان اعترفنا بخطاياانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطاياانا ويظهرنا من كل اثم ، ان قلنا اتنا لم نخطيء نجعله كاذبا وكلمته ليست بينا » (أيو ١ : ٨ - ١٠) « اعترف لك بخطيئتي ولا اكتنم اثمي ، قلت اعترف للرب بذنبي وأنت رفعت آثام خططي » (مز ٣٢ : ٥) فما تخفيه وتكتمه من خطاياك يشهده الله وبعلنه ، وما تكشفه وتعترف به يسخره الله ويكتمه ، بل يمحوه ولا

يبقى اه اشر . ان كنت تعذر وتدافع عن خططيك كأن لك حقاً في فعلها
فأن الله لا يغفرها لك . ان دفاعك عن نفسك دليل على أنك بار غير معترض
ولا نادم على خططيك ، فايامك أن يعميك هذا الخداع فيغشى بصرك النفاق
والكذب .

ان الفقر المريض يكشف عن قرونه ويظهر أماكن ضعفه كي يحرك
شفقة ذوى المروءة الاحسان . وال مجرم الاشيم يتذلل أمام القاضى كى
يتغىّل عليه . فان أردت ان يتعطف عليك ويغفر لك زلاتك فتذلل أمامه
واكتشف قروح آثامك وقدم اقراراتك واعترافك بخطاياك ، والا استعصى
شفاؤك ما دمت لا تستعمل الدواء « من يكتم خطایاه لا ينجح ومن يقر
بها ويتركها يرحم » (ام ٢٨ : ١٣) . ان اللص اعترف بذنبه قائلاً
، أما نحن فيعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا » (لم ٢٣ : ٤١) ولذلك
استحق الخلاص وتزال الغفران . والعشار اعترف بضعفه واثمه فنال
البرير ، أما الفريسي المتكبر فانه لم يذل سوى الشقاء لأنه ذكر محاسنة
ونسى نعائمه .

الفصل السادس والتسعون

شقاء غريتنا على الارض وسفرنا نحو الابدية

« ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا ننتظر العتيدة » (عب ١٢ : ١٤)
ان هذه الأرض ليست وطننا وما نحن فيها سوى غرباء ونزلاء ، وما حياتنا
الا سفر نحو الأبدية ، وطريق تعبيره في الأرض للوصول إلى الوطن
الباقي . نحن سائرون في هذه الدار . وسيأتي يوم فيه تنتهي غريتنا ،
ومهما طالت سياحتنا في هذه البرية فلا بد من الذهاب إلى البيت الأبدى
(جا ١٢ : ٥) .

انظر أيها الحبيب وتأمل الدهور الماضية والأقوام الذين سبقونا ، الم
ينتهى زمن غريتهم فذهبوا إلى أبديتهم وتركتونا . فوضع نصب عينيك دائمًا
أننا غرباء ونزلاء مثل كل آبائنا « لأن آيامنا على الأرض ظل » (آى ٨ : ٩)
« فسر زمان غريتك بخوف » (ابط ١ : ١٧) « أرجع وأقم مع
الملك لأنك غريب ومنفى أيضًا من وطنك » (صم ٢٢ : ١٥) ان هذا العالم
ليس بيتك ولا وطنك ، بل هو نزل بعد قليل تفارقة متوجهًا نحو دار
أبديتك ، فأنت غريب هنا وضيف وسائح وعاشر طريق . وهل يرتاح الغريب
في غير وطنه ؟ الا يحن شوقاً إليه . ان العريس الذي أهدى عروسه عقداً
او خاتمة مهراً لخطوبته لا يزال فرؤاده خافقاً خفقات الحب حتى ساعة
الاتحاد والاقتران . ونفوتنا المنطوية ليسوع ظلمات إلى تمام الاتحاد
بسه والارتفاع من حبه والتمتع برويته حتى تراه وجهًا لوجه . ولكن
ما دمنا في هذه الدنيا فان نيراح غرباء كما كان شعب الله غربياً في
أرض مصر ، ومضيقاً علينا كما كان مضيقاً عليهم في أرض العبودية لن
نزال موثقين بالاغلال مصداقي بالقيود ، مجبرين على الاقامة متفقين وجالسين
على انهصار بابل نبكي كلما ذكرنا صهيون (مز ١٣٧ : ١) ولا تزال آنات
الأسواق وزفرات الحب لوطننا تخترق حبات القلوب . مثلاً مثل المنفي لا
يكف عن الأذين ما دام في دار منفاه . بل يئن شوقاً للرجوع إلى وطنه .
ومثل العضو المكسور لا يسكن الله الا بوضعه في مكانه الأصلي . ومثل
الحجر الذي طوح به إلى الفضاء فإنه لا يزال مضطرباً حتى يعود إلى
مركزه الأول في الأرض .

تأمل هذا ولا تعلق قلبك بأمور بطلة . ولا تدعه يشغل بمحبة
ما هو فان مع الزمان « غير ناظرين إلى الأشياء التي ترى بل إلى التي
لا ترى لأن التي ترى وقتنية . وأما التي لا ترى فأبدية » (كو ٤ : ١٨)

، لأننا نعلم أنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضي فلنا في السموات بناء من الله بيت غير مصنوع بيد أبدى . فاننا في هذه أيضاً نئن مشتاقين إلى أن نلبس برقها مسكننا الذي من السماء . وإن كنا لا يلبسين لا يوجد عراة . فاننا نحن الذين في الخيمة نئن مثقلين . إذ لستنا نريد أن نخلعها بل أن نلبس فرقها لكي يتلمس المائت من الحياة . فاذ نحن واثقون كل حين بعلسون أننا ونحن مستقطلون في الجسد فنحن متغربون عن الرب لأننا بالآيمان نساك لا باليان . فنثقب ونسر بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطنه عند الرب » (٢٤ : ٥ - ٨) . ان الجسد لا يزال أميراً للتجارب والخطية ما دامت تحاربنا في ميدان الكفاح . وحتى الآن لم ننزل الحرية حرية مجد أولاد الله . ولم نفز باكاليل النصر . فنفوسنا لا تزال تهاب سطوة الموت . وما زلنا نجاهد ونصارع الأهراء . فاذاً نحن نتوقع راحة ونتظير ساعة فيها يكف عنا التعب ويبطل النصب . نرجو حياة ليس فيها بكاء . ولا عناد ولا فساد . ولا هوان ولا ضعف . إننا نأمل الخلود وعدم الفساد لنزال المجد المزمع أن يتجلى فينا . إننا ورثة ولنا ميراث في السماء لا يفنى ولا يتلاشى ولا يضمحل . فقلوبنا ملتهبة شوقاً لأخذ الميراث الأبدي والتحرر من كل عبودية . إنما نحن سعاوين غرباء على هذه الأرض . كيف نرتاح ما لم نصعد إلى وطننا السعيد ونتكىء على صدر أبينا لنزال فيض التعزيزات الكاملة . نحن هنا أشقاء بائسون مع إننا في الحقيقة ملوك وأبناء الملك السماوي . فكيف نرضى نحن الأبراء بالذل والهوان ؟ لن نرضى إلا بالجلوس على عروشنا ونزال مجد أولاد الله ونتمتع بما خول لهم من حق السلطان والعظمة والمجد . إننا لم نتخرج بعد ، ولم يعلن تماماً بأننا أولاد الله . ولم يسر حتى الآن البز النقى وال الحال الملكية التي تليق بأبناء الملوك لنجلس على كراسي المجد في ملك أبينا .

لذلك لا تزال قلوبنا تتمنى وتتلهى شوقاً إلى ظهور ذلك اليوم السعيد الذي فيه يزول كل أنين وتعب وتغيب أحزاننا في هاتيك التعزيزات التي لا تخطر على بال . وحيثند لا نذكر الشدائـد التي قاسيناها في هذه الحياة . وما نحن إلا كالحمامة التي أطلقها نوح ، تروح وتغدو وهي لا تجد راحة حتى دخلت الفلك . أو كبني إسرائيل في البرية وقد كلت أقدامهم من تعب الطريق . باطلا نلتمس الراحة في البرية ، بينما الراحة الحقيقة هي في دخول إلى أرض كنعان . نحن كيعقوب وهو ناظر إلى العجلات التي بعث بها ابنه ، فكان كلما طال أمد انتظاره اشتدت أشواقة لرؤيه وجه يوسف .

ليست هذه الحياة سوى أوقات قليلة كلها تعب وحناء « أليس
جهاد للإنسان على الأرض وك أيام الأجير أيامه » (آى ٧ : ١) « الإنسان
مولود المرأة قليل الأيام ومشبعان تعباً . يخرج كالزهرة ثم ينحسر .
ويخرج كالظل ولا يقف ... إن كانت أيامه محدودة ، وعدد أشهره عنده ،
وقد عينت أجله فلا يتجاوزه ، لأن للشجرة رجاء إن قطعت تخلف أيضًا
ولا تعود خراعيها ، ولو قدم في الأرض أصلها ومات في التراب جذعها ،
فمن رائحة الماء تفرخ وتنبت فروعًا كالغرس ، أما الرجل فيموت ويبلُّ ،
الإنسان يسلم الروح فain هو » (آى ١٤ : ١ - ١٠) « عرفني يارب
نهايتي ومقدار أيامي كم هي فاعلم كيف أنا زائل ، شوذا جعلت أيامي
أشبأرا وعمرى كلا شيء قدامك ، إنما نفخة كل إنسان قد جعل ، إنما
خيال يتمشى الإنسان ، إنما باطلًا يضجون ، يذخر ذخائر ، ولا يدري من
يضعها : (مز ٢٩ : ٦ - ٤) « كل جسد كعشب وكل مجده إنسان كزهر
عشب . العشب يبس وزهره سقط » (١ بط : ٢٤) .

« ترجع الإنسان إلى الغبار ونقول ارجعوا يا بنى آدم ... بالخدا
كعشب ينزل . بالغداة يزهر فينزل . عند المساء يجز فيليس ... أيام
سنينا هي سبعون سنة . وإن كانت مع القوة فثمانون سنة وأفخرها تعب
وبلية . لأنها تفرض سريراً فنطير » (مز ٩٠ : ٣ - ١٠) « الإنسان أشبه
بنفخة . أيامه مثل ظل عابر » (مز ١٤٤ : ٤) « فما هي حياتكم . إنها
بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل » (يع ٤ : ١٤) .

الغرير المسافر لا بد أن يتحمل التعب والمشاق حتى يصل إلى
وطنه . وفي هذا الوادي الذي تعبه ينبغي أن نتحمل شدائد كثيرة ومحاجل
عدة . لا تعبر المجاز بلا محنة . ولا تبلغ الأربع بلا مشقة . ولا يزال
أمامك طريق طويل تسير فيه . ومساكك ممتد لا بد أن تعبره إلى أن تبلغ
مدينة السلام والراحة وتصل إلى القديسين ومقر الإبرار الكاملين وكنيسة
الابكار الأطهار . فسر في طريقك واجعل كل اعتمادك على الله ولا تسره
عناء أو نصباً . سر يتبعك الإيمان ويتقدمك الرجاء وتحيط بك المحبة .

ما هذا العالم إلا معاور وكهوف في براري قفراء موحشة إذا قيس
بيهاء ذلك الوطن أورشليم السماوية . فهناك حياة كلها سعادة . وأفراح
وتعزيات وتهليلات دائمة غير متناهية « لا يكون هناك أسد وحش مفترس
لا يوجد إليها ... لا يوجد هناك بل يسلك المفديون فيها . ومفديو الرب
يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنم وفرح أبدى على رؤوسهم . ابتهاج
ونفرح يدركانيهم ويهرب الحزن والقند » (اش ٣٥ : ٩ و ١٠) .

« اذا امتلأت السحب مطراها طريقه على الارض ، و اذا وقعت الشجرة نحو الجنوب او الشمال ففي المرضع حيث تقع الشجرة هناك تكون « (جا ١١ : ٣) ففي اي مكان وقعت فيه نفسك تستمر الى الابد . فاخير لنفسك منذ الان مقر ابديتك ، في سعادة او في شقاء . في الملكوت او في جهنم « هاندا امامكم اجعل طريق الحياة و طريق الموت » (ار ٨:٢١) .

وليس أمامنا حاجز يمنعنا من الوصول الى دار ابديتنا سوّر هذا الجسد . فإننا ما دمنا مستوطنين فيه فنحن متغربون عن الرب ولكن سوف يأتي يوم فيه ينقض هذا الحائل ويذوب الحاجز ويرتفع الحجاب وحينئذ نتمتع بالحرية . ويتجلّى لنا بهاء الرب وسناء مجده . ونبلغ مقر الراحة الأبدية وديار الرب بالتهليل هادفين « أين شوكتك ياموت . أين غليتك ياهاوية » (أكو ١٥ : ٥٥) « استمتع صلاتي يارب راصبح الى صرافي . لا تسكت عن دموعي . لأنّي اذا غرب عزبك . نزيل مثل جميع آبائى » مز ١٢ : ٣٩ « غريب أنا في الأرض لا تخف عنى وحشيات » (مز ١١٩ : ١٩) .

الفحش والسمعون

التأمل في الموت

يولد الطفل ولا يستطيع أحد أن يتعرف مستقبنه . أيكون عظيمًا أم حبيراً ، غنياً أم فقيراً ، صالحًا أم شريراً ، صحيحاً أم سقيماً ، طويباً أم قصيراً ؟ كل ذلك مجھسول لدى الإنسان ولكن كل إنسان يعرف ألا بد أن يموت ، لأن الموت هو طريق الناس جميعاً (٢ : ٤١) وهو ضرورة لازمة على الجميع سواء منهم الملوك والأمراء ، الأغنياء والفقراً ، العلماء والجهلاء ، ومهما طالت حياة الإنسان فلا بد من شرب كأس الدمام وسيترك كل واحد وراءه مات قد جمع ولن ينال الإنسان من الدنيا سوى قطعة أرض تضم عظامه البالية . إن الموت لا يخفي سوطه الملوك ولا يلبس الجبابرة . يهجم على القوى كما يأتي للضعف ، ولا يقوى البطل أن يمنعه ولا المال والجاه أن يؤخر ساعته . إن اشتعلت النار يمكن أخمادها ، وإذا نشب الحرب يمكن الحد من دعيرها . تستطيع مقاومة الفيران الملقبة والأمواج المصطحبة وصد قوة الملوك المقتدرين ولكن الموت لا يستطيع أحد أن يقاومه أو يدفعه لأنه جبار قوى غالب لا يخاف الفنى ولا يهاب الحراس والجنود ولا تمنعه أسوار ولا جدران ، لا تتصدى معافى ، ولا تدفعه حسون ، لا يجبن أمام السلطة والعظمة ، ولا يكرم البرفير والأرجوان . لا يشقق على الشباب ، ولا يرق لضعف الشيوخ . لا تلينه دموع الأذى ولا تكل الأولاد ، ولا يحجم من أجل الأصدقاء والخلان .

انظر إلى رجل جبار قوى البنية ، تكسوة نضارة الشباب ، وتقللاً في وجهه علامات الصحة ، ثم بعد قليل انظر إلى ذلك الوجه الصبور تره قد استحال إلى أصفار . تأمل العينين النجلاويين تجدهما وقد غارت ، واليدين وقد ارتختيا ، والرجلين وقد وقفتا عن الحركة ، ثم ترى أخيراً ذلك الجسم القوى وقد صار جثة هامدة لا حراك فيها . تمهل قليلاً تجد الذي كان يطأ الأرض بقدميه قد وطأته الأرض وطواه الشرى ، والذي كنت تخشاه وتأخذك هيبيته . قد نزل حسرة ضديقة وأنهت عليه الاتربة وتركت الرمال . وبعد ذلك تراه يستحيل إلى عظام سخرة يأكلها السوس ويفسدها الدود وتنبع منها الروائح الكريهة ، ولسان حاله يقول للفساد أنت أبي وللدواد أنت أخي وأمى . وهو الموت مسرع في حين راكباً جواداً أشهب اللون ، بيده منجل يحصد به السنبل الخسيف اليابس . كما يقطع زهرة الربيع الأخضر الراهن . لم يرحم إبرهيم لقداسته وعظم إيمانه ، ولا يوسف لعفته ، ولا سليمان لحكمته ، ولا شمشون لقوته ، ولا داود لبره ،

ولا راحيل لعمالها ، ولا استير لغيرتها ، بل الجميع عنده سواسية، وهو غريب من كل أحد . فلا تظن أن ترفكه وتأذنك وعذائك بصلحتك يجعلك في مأمن من هجرمه عليك ، فما كان أبشع لوم يظن أن جمال شعره يكون سبباً لموته ، وما كان هامان يتخيّل أن يصلب على الخشبة التي أعد لها مردحه عدوه ولا خطر على بار جلبات أن يموت بحجر وقطع رأسه بذات سيفه بيد داود الفتى الصغير ، ولم يجعل بخاطر باشادر أن يموت وهو يتمتع باللذة على مائته . والرجل الغني الذي كان بعد خيراته لنفسه ويهتول « يادس لك خيرات كثيرة موضوعة لستين كثيرة » لم يدر أنه يسمع الصوت حالاً قائلاً « ياغبي في هذه الليلة تطلب نفسك منك وهذه التي أعددتها لمن تكون » لو ١١ : ٢٠ مما بالك لا تفكّر أيها الإنسان في نهايتك ، وتتأكد أن جمالك سوف يذبل ، وجسدك الصحيح سوف يضحي رمـة ، وقوتك سوف تزول ، وعيناك الجميلتان سوف يأكلها الدود ، وأن أولئك الذين بهنـك ويشفـقـون عليك سيـسرـعونـ بـكـ إـلـىـ الـقـرـ . وتلك الأعين التي ترمـقـ وتلاحظـك وتسـهرـ عليكـ سوفـ تـشـهـيـنـ مـنـ النـظـرـ إـلـيـكـ ، وأـصـحـابـكـ وأـعـزـاؤـكـ سـيـنـفـرـونـ ، نـكـ .

أعد الرب ليونان يقطينة ارتفعت فوق رأسه لتكون ظلاً له ذفر بـها يـونـانـ فـرـحاـ عـظـيـماـ ، شـمـ سـخـرـ اللهـ دـوـدـةـ عندـ الفـجـرـ فـضـرـبتـ اليـقطـيـنـةـ ثـيـسـتـ وـضـ بـتـ الشـمـسـ رـأـسـ يـونـانـ . فـهـذـهـ اليـقطـيـنـةـ كـانـتـ بـنـتـ لـيـلـةـ ، اـذـ فـيـ لـيـلـةـ تـكـونـتـ ، وـفـيـ لـلـةـ هـلـكـتـ وـيـادـتـ . فـهـيـ رـمـزـ إـلـىـ فـنـاءـ آـمـالـ إـلـاـنـسـانـ ، وـهـنـاكـ تـحـتـ شـجـرـةـ الـحـيـاةـ تـوـجـدـ دـوـدـةـ الـمـوـتـ الـتـيـ تـقـضـيـ عـلـىـ حـيـةـ إـلـاـنـسـانـ .

يولد الطفل في دار الغموم ويستهل الحياة باكياً ناعياً دخوله عالم الشتاء ويعيش صبياً فترياً فشاياً فكهلاً ، إلى أن توهن الحياة قواه ، وتنقسم المحاذيب فلنهره ، وأخيراً يختطفه باز المنية وتنقض على روحه نسور الموت ، فتسليبه الحياة فيهبط هبوط البنيان ، ويروح في قبر النسيان . لأن تلك العناصر لا بد أن تسترد جزيئاتها ، وتلك الكليات لا بد أن تسترجع مفرداتها .

إن طريق الموت هو الطريق الذي سلكه آباءنا وأجدادنا من قبلنا ، وسفنهـكـهـ نـحـنـ وـالـذـيـنـ يـاتـونـ مـنـ بـعـدـنـاـ . أـينـ الـمـلـوكـ الـذـيـنـ شـادـوـاـ القـصـورـ رـفـتـحـوـاـ الـمـالـكـ وـالـأـمـصـارـ ؟ أـينـ الـفـلـاسـفـةـ وـالـعـلـمـاءـ ؟ أـينـ الـعـظـمـاءـ ، وـأـصـحـابـ الـقـوـةـ وـأـرـبـابـ السـطـوةـ ؟ أـينـ الـقـوـادـ الـعـظـامـ وـالـأـبـطـالـ وـالـجـبـاـرـةـ الـذـيـنـ دـوـخـوـاـ الـعـبـادـ ؟ لـقـدـ دـوـخـهـ الـمـوـتـ . أـينـ الـمـالـكـ الـعـظـيمـةـ وـالـأـمـمـ الـماـضـيـةـ ؟ لـقـدـ غـرـقـتـ جـمـيـعـهـاـ فـيـ بـحـرـ الـمـوـتـ ، وـيـادـتـ وـلـمـ يـقـ الـاـذـكـرـهـ . فـقـمـلـ الـمـوـتـ دـائـمـاـ أـمـامـ عـيـنـكـ وـتـأـمـلـ فـيـهـ ، فـإـنـ التـأـمـلـ فـيـ الـمـوـتـ حـكـمـةـ عـلـيـمـةـ . وـكـلـمـاـ فـكـرـتـ فـيـهـ رـغـبـتـ عـنـ

خداع العالم وغوره ، وزهدت في الدنيا ومشتهياتها ، ورغبت في الآخرة ونعمتها .

كن دائماً حذراً وحكيماً فأن الحياة زائلة ، كن كيحاً ماهر كي يجعل سفينته تسير حسناً . يجلس في مؤخرها عند الدفة ويدبرها كيف شاء .
خانظراً أنت أيضاً إلى آخر حياتك ونهايتك لتكون سائر أحوالك مستقيمة ولا تفرقك زوابع العالم ، وإن نسيت ذلك وتغافلت عنه ، فلا تننس أنه سباتي عليك وقت فيه تقف أمام الموت جزعاً ، رضيبيت أو أبىت ، حينئذ تعرف ولا فائدة في المعرفة « لأنه ما هي حياتكم . إنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل » (يع ٤ : ١٤) .

الفصل الثامن والتسعون

١ - الموت خاتمة الاتعاب وبيء الراحة الأبدية ..

٢ - الفرق بين موت التقى وموت الاثيم ..

قال الرسول « لى الحياة هى المسيح والموت هو ريح ، لى اشتئاء ان اطلق واكون مع المسيح ، ذاك افضل جداً » (ف ١ : ٢١ و ٢٢) وقال سمعان ، الشیخ « الان تطلق عبديك يا سید حسب قوله يسلام لأن عینی قد ابصرتا خلاصک » (لو ٢ : ٢٩) وقال المرتل « عزیز فی عینی الرب موت انتیائے » (مز ١١٦ : ١٥) . وقال يوحنا الرسول « وسمعت صوتا من السماء يقول لى اكتب طوبی للأموات . الذين يموتون في الرب منذ الان ، نعم يقول الروح لکی یستريحوا من اتعابهم . وأعمالهم تتبعهم » (رو ١٤ : ١٣) وقال بولس الرسول « فنثقب ونسر بالأولى . ان تتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب » (٢كو ٥ : ٨) .

كان الموت في الأصل عقابا على الخطية ، ولكن مخلصنا حوله وجعله واسطة ومبرأة ومجازا للحياة الأبدية . فهو رقاد لذين تعقبه راحة لا نهاية لها . وبهذه حياة جديدة وخاتمة اتعاب تنتهي ، يتلوها مجد أبدى وميلاد جديد . سرمدى ، وهو وان كان مخيفا مفزعا ، الا ان فى يده مفتاحا ذهبيا للصديقين ، به يفتحون باب السماء ويدخلون الراحة الأبدية . ما أسعد الراحة بعد التعب . وما الذى وأشهى اخذ الأجر والمكافأة بعد العمل والنصب ، ونبيل الأكليل بعد الجهاد والكفاح . ان السفينة ما دامت في البحر فهي معرضة للخطر ولا يزال المسافر خائفا حتى يصل الى الميناء ، فما دمنا في العالم فنحن عرضة لسهام التجارب . وما أكثر الزوابع التي تهب علينا ، والأنواء التي تهاجمنا ، لأننا نجاهد ضد الأهواء . فإن قهرنا الجسد نهض الطمع ، وان تغلبنا على الطمع ناصبنا الغضب والكبر ، وان انتصرنا على الغضب تتعرض لنا الحسد ، وهذا لا نزال نرى أعداءنا يتلو بعضهم بعضا لخايريتنا ولا يكف عننا الآذى ، ما دمنا في الجسد ، ولكن حين يبلی الجسد نبلغ الى الميناء ، فيکف الحرب ويبطل الخوف ويتم الانتصار ، وحينئذ تكون في سلام وامان .

انظر الى الحياة ترها جهادا متواصلا وتعبا وألم وضيقا وحزنا وبوسا . وشقاء ، بكاء وزفرات وآيات ونواحا ونحيبا . وهذه كلها لا تنتهي حتى ينتهي الجسد ..

ان الله قد سمع بادلال بنى اسرائيل وترجمهم زماناً تحت آلام التجارب في مصر كى تزداد كراهيتهم لها . حتى اذا ما دعاهم للخروج منها يهربون لمبارحتها فرحين مسرورين ليدخلوا أرض كنعان . كذلك الحياة لم تمتلك بالاتساع والواسطات والاسقام والاضطرابات والهموم والغموم الا لتعلم أنها ليست مقر الراحة بل ان لنا راحة يجب أن ننتظرها فرحين مستبشرين قائلين مع النبي « قوموا وانهروا لأن هذه ليست هي الراحة » (مى ٢ : ١٠) .

لما خرج بنو اسرائيل من أرض الضيق والعبودية انطلقت السننهم بالترنم والتهليل راتضين وفي أيديهم الصنوج والدفوف ثم جازوا البحر الأحمر وسلكوا البرية ودخلوا كنعان فمن لا يسر حين يرى ذاته قد دخل الميناء بسلام ونجا من مخاطر كثيرة وأتواء شديدة وعواصف هائجه . كيف لا يطفر فرحاً ويفيغى سروراً ذلك التقى المقرب نحو أبواب المنية وهو يرى ذاته مقرباً نحو الفوز . وأصلاً الى ميناء السعادة الحقيقية والحياة الأبدية . حالصاً من خطار الهلاك . ناجيا من سبيول الاثم . حين ينال الخلاص الأبدى الذى كان يرجوه . حين يترك ليل هذه الحياة ويدخل نهار الأبدية . ان من يسكن بيته متهدماً متداعياً الى السقوط لا يأمن على حياته الا بالخروج منه . فكيف بنا ونحن سكان بيوت من طين ، معرضين للأخطار فى كل حين .

لو وعد ملك فقيراً بائساً بأنه بعد زمن يسكنه قصره المشيد المزين بأغلى الآثار والرياش . الا يقضى ذلك المسكين أيامه منتظرًا قرب هذا الأجل لاتمام ذلك الوعد حتى يترك كوجهه الحقير ويقطن القصر البهيج . لقد أعد الله لك فيها الحبيب مكاناً في السماء ومجداً في العلاء . كل أمجاد العالم بالنسبة اليه لا تساوى شيئاً فيجب عليك أن تحن انعطافاً وتثن شوقاً وتنظر ساعة انتهاءك من هذه الحياة للوصول الى دار المجد التي تتمتع فيها بما لا تدركه العقول . ومتى أقبلت الساعة يتحقق قلبك ويصبو عقلك وتميل نفسك الى تلك اللحظة التي تترك فيها عالماً حقيقةً فانياً لتدخل عالماً سعيداً أبداً . فما أسعدها ساعة وما أبهجها لحظة فيها تستعد للاقاء الحبيب . على أحب هذه الساعة لدى محبى الرب . انهم يلاقونها بهتاف وفرح وتهليل حين ينتظرون مجىء مخلصهم بفرح وسرور ، لا باضطراب ولا انزعاج ولا قلق . بل تكون فروسهم مملوءة بتعزيزات سماوية . فرحة يتهليلات الملائكة والأرواح الباردة ، فكيف يعتريهم الجزع وهم ذاهبون لرؤية مشتهاهم ونيل اكليل لا يفني ولا يتدنس ولا يضمحل . ما أهول تلك الساعة وأربعها . ما أرهبها ، وأكثر فزعها لأولئك الأثمة ، حين يلجون جوف الأبدية في ظلام دامس وليل بهيم ، وينزلون القبر بدون رجاء ، ويسيرون نحو العذاب ، ويعقوصون في بحر الاوجاع والاضطراب فالامواج تلامظهم واللنج تقذف بهم الى هاوية لا يحمد لهبيها ولا يبرد سعيرها ، ولا يبرحون هناك أشقياء الى الابد . فان من ينسى الله في زمان حياته

نفساه الله يعدل في ساعة مماته . ما اعظم الفرق بين انتقال الاختيار وموت الاشرار ، فان موت الاشرار شنيع جداً مثل الغنم للهاوية يساقون . الموت ير عاهم وبتهدم المستقيمون ، غداة وصورتهم تبلى . الهاوية مسكن لهم ، (مز ٤٩ : ١٤) .

اتريد الا تخاف الموت ؟ اذا عش بارا تقىا فتموت صالحها سعيداً .
كن ك يوسف العفيف الذى خرج من سجنه بفرح ليرتقى الى كرسى المجد والرفعة ،
ولا تكون كخباز فرعون الذى خرج من الحبس وسيق الى المشنقة . لا تدع نفسك
تعلق بأمور الحياة فلا ترهب الموت حين قドومه . ليكن ضميرك سليماً فلا
تخشى سطوة الموت . حين يؤخذ الخروف الى الذبح لا يصيح ولا يفرز ،
ولكن الخنزير يملأ الفضاء صراخاً وصياحاً . ان الجرم المفضى عليه بالاعدام
يرجف هولاً وفزعاً كلما فتح عليه باب السجن ، لأنه يعلم انه ذاهب الى الموت ،
اما الذى يرىء من تهمته فإنه يتنهج كلما فتح الباب لينطلق من سجنه ويعود لبيته .

ان المسيحى الحقيقي الذى يسلم قلبه للرب ويضع عنده كل مشيئته ،
فإنه يتنهج جداً عند قدوم الموت ، لأنه يعلم أنه منطلق الى الآب ليinal مجدًا
وحياة أبدية . أما المتعلق بالحياة ولذاتها فإنه يرتعب لمجرد ذكر الموت لأن
ضميره يوبخه . ذاك يبتدئ من تلك الساعة بالشعور باللذنة ويتجلى له النور
الباهر ، وأما هذا فإنه يستقبل مرارة العذاب وألم الضمير .

فيقارب ارتضى أن تحفظنى بلا عيب فى غربتى ولا تدعنى اتعلق بما فى الحياة من
الأوهام ، بل افصلنى عن نجاستها حتى تستدعينى من بؤس منفأى كى أرتل دائمًا
متى ينقضى زمان غربتى « عطشت نفسى الى الله الاله الحي . منى احىي ، اتزاءى
قدام الله » (مز ٤٢ : ٢) .

متى تدنسو الساعة لأقولها أنا ذاهب الى الآب . فليجر كما يشاء . لست
آسفًا على رؤية الشمس والقمر والغيابات والبساتين والحقول والزهور والجبال
والوهاد فلم يعد يهمنى جمال الطبيعة ولا كلما فيها حين أسرع لأرى جمال وحسن
جيدعها . وان كانت هذه القيود والأغلال الجسدية تحجزنى وتنبع وصولى
فاني أرغب ان انحل عن الجسد لأن « لي اشتقاء ان انطلق واكون مع المسيح .
ذاك أفضل جداً » (فى ١ : ٢٣) .

الفصل التاسع والتسعون

الأبدية المخيفة العديمة القرار

لا شيء يرحب ويحيف ، ويرهب ويفزع ، أكثر من ذكر الأبدية . فان كان الموت مخيفاً ومفزعاً للأشرار ، فالعبدية أكثر رهبة وفزعًا . وان كان ذكر الموت يجعل الإنسان حكيمًا فإن تصور العبدية يجعله أحكم ، ويظهر له دناءة الأمور الزمنية . « اسمعوا أيها البعيدين ما صنعت ، واعرفوا أيها القرييون بطيئ ، ارتعب في صهيون الخطاة ، أخذت الرعدة المنافقين ، من ما يسكن في نار آكلة . من ما يسكن في قائد أبدية » (اش ٣٢ : ١٣، ١٤) . فان الأشرار « سيعاقبون بهلاك أبدى من وجه رب ومن مجد قوته » (٢تس ١: ٩) ، ويشربون من خمر غضب الله المصوب صرفاً في كأس غضبه ، ويعذبون بنار وكبريت أمام الملائكة القديسين وأمام الخروف ، ويصعد دخان عذابهم إلى أبد الابدين ولا تكون لهم راحة نهاراً وليلًا (رؤ ١٤: ١١و ١٤) .

أبدية هائلة عديمة القرار ، لا طول لها ولا عرض ولا عمق ، غير متناهية فلا حد لها . عد ما استطعت العد من السنين وأحسب ما أمكنك حسابه من الأجيال والدهور ، فلا يمكنك أن تصل إلى مقدار زمن العبدية . العبدية زمن وجودى كائن دائمًا لا أول له ولا آخر ، هي تسل طويل للأشرار لا نهار يعده . أو نهار دائم لابصار لا يعقبه أيل . إن ليلة يصرفها المريض في الحمى تظاهر له طويلاً يشعر فيها بكل درائر الحياة بل يتخيّل أن الشمس وقفت سورتها ، والأفلاك وقفت عن مجراتها ، وشرائع الطبيعة قد انقلب ظامها . فماذا يفعل أولئك الذين تمر عليهم تلك الأدوار في العبدية ويكونون هناك إلى دهر الدهور وأبد الآباء ، فما أربّع العبدية وما أخوّفها . وما أكثراها . وما أطولاها .

مثل في ذهنك أكبر عدد يمكن تصوره ، وضع أمامك أرقاماً كثيرة لا تعد ولا تحصى ، وأضربها في مثليها . فلا يمكن أن تكون نتيجة عملك مقدار زمن العبدية . بل تكون كنقطة لا قيمة لها بالنسبة إلى العبدية العديمة القرار لأنها أبدية دائمة مadam الله موجوداً .

أيتها التصورات المخيفة ! تصورات الديفونة المروعة ! أيتها العبدية الهائلة !! تعالى وارتسمى في ذهني ، ولا تبرحى من مخيلتي وعقلي ، وهددبني

بأهواك المزعجة المفزعـة ، حين يربـد العـالـم أـن يـغـوـيـنـي لـأـتـدـنـسـ بـدـنـسـ الشـرـورـ ،
ويـسـتـمـيلـنـيـ إـلـيـهـ وـتـجـذـبـنـيـ الـخـطـيـةـ إـلـىـ آـلـمـهـاـ ،ـ إـلـاـ فـارـتـسـمـيـ أـيـتـهـاـ الـأـبـدـيـةـ فـيـ
عـقـلـيـ وـلـاـ تـنـكـفـيـ مـنـ أـفـكـارـيـ،ـ وـلـاـ تـزـولـيـ مـنـ ذـاـكـرـتـيـ،ـ وـصـورـيـ فـيـ عـقـلـيـ الـعـدـلـ الـالـهـيـ
كـيـ أـرـهـبـهـ وـأـخـشـاهـ مـدىـ حـيـاتـيـ .

هـنـاكـ فـيـ الـعـذـابـ لـاـ يـوـجـدـ إـلـاـ بـابـ وـاحـدـ يـدـخـلـ فـيـ الـأـثـمـةـ وـلـيـسـ هـنـاكـ بـابـ آـخـرـ
لـلـخـرـوجـ مـنـهـ .ـ لـأـنـ الـعـذـابـ أـبـدـيـ ،ـ وـالـسـجـنـ دـائـمـ ،ـ وـالـسـلـاسـلـ مـتـنـيـةـ مـحـكـمةـ ،ـ
وـكـلـ شـيـءـ هـنـاكـ إـلـىـ دـهـرـ الـدـهـورـ وـأـبـدـ الـأـبـدـيـنـ ،ـ لـيـسـ هـنـاكـ مـفـاتـحـ لـلـنـجـاجـ .ـ
هـنـاكـ مـسـلـكـ لـلـهـرـوـطـ وـلـاـ يـوـجـدـ غـيـرـهـ لـلـصـعـودـ .ـ هـنـاكـ يـنـقـطـعـ الرـجـاءـ وـيـسـدـ
بـابـ الـأـمـلـ ،ـ وـيـنـتـهـيـ زـمـانـ الـرـحـمـةـ ،ـ وـيـاتـيـ اوـانـ الـعـدـلـ .ـهـنـاكـ لـاـ تـفـيدـ التـهـيـدـاتـ وـلـاـ
الـأـنـيـنـ ،ـ وـلـاـ تـنـفـعـ الـحـسـرـاتـ وـالـعـوـيلـ .

فـاذـكـرـ أـيـهـاـ الـحـبـبـ هـذـهـ الـكـلـمـاتـ :ـ «ـ أـبـدـيـةـ »ـ «ـ إـلـىـ الـأـبـدـ »ـ .ـ تـصـورـ
وـرـدـدـ فـيـ ذـهـنـكـ :ـ دـائـمـآـ ،ـ دـائـمـآـ ،ـ سـرـمـدـآـ :ـ سـرـمـدـآـ فـانـ هـذـهـ الـكـلـمـاتـ كـافـيـةـ
لـأـنـ تـرـيـكـ مـقـدـارـ زـمـانـ الـأـبـدـيـةـ وـرـعـبـهـاـ الشـدـيدـ .ـ اـنـ سـأـلـتـ مـتـىـ تـنـتـهـيـ تـلـكـ
الـأـوـجـاعـ ،ـ وـتـسـكـتـ اـصـوـاتـ التـنـهـيـ ،ـ وـيـخـمـدـ لـهـبـ جـمـرـاتـ النـارـ وـيـنـتـهـيـ هـذـاـ
الـعـذـابـ ؟ـ فـالـجـوابـ لـنـ تـنـتـهـيـ أـبـداـ وـلـنـ تـخـمـدـ النـارـ وـلـنـ تـبـرـحـ تـبـقـيـ هـكـذـاـ كـمـاـ كـانـتـ إـلـيـ
أـبـدـ الـأـبـادـ وـدـهـرـ الـدـهـورـ .

الفصل المائة

ملكت السموات والاشتياق الى نهار الأبدية

الفردوس هو المكان الشهى الذى أعده الله لختاريه . فيه ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولم يخطر على بال انسان . فمن ذا الذى يقدر أن يصفه ؟ إلا يمكن للغة البشرية العاجزة أن تعبر عن أفراح وأمجاد سامية لم ترد قط على ذهن انسان . ولا يمكن البتة أن تخطر على بال . هو المكان المحبوب ، هو الحل الاسمى والأمجد والأعظم والأبهى والاثمن والأشهى والاعذب والاشرف ، اذ هو غاية آمال الانسان ومتناط رجائه ومحيط فكره . صف ما استطعت من الوصف وعبر ما أقتدرت على التعبير واستظهر كل كلمات العذوبة والمجد والسرور . فلا يمكنك قط أن تصف ذرة من ذلك المجد الباهر ، ومهما قلت ووصفت فكأنك لم تقل شيئاً ، فلا شيء على الأرض يمكن أن تستعيره للتعبير بما في السماء . فليس هناك مصيبة ولا بلية ولا مرض ولا تعب ولا ملل ولا ضجر ، ليس هناك ألم ولا انفعال ولا هرم ولاشيخوخة ولا فناء ولا موت . ان يتمتع بتلك الأمجاد لحظة واحدة لهو أسمى وأفضل من جميع كرامات العالم وأمجاده بأسرها . هناك يغوص القلب في بحر اللذات الروحية وينجذب إليها بقوة لا نهاية لها .

داود النبي لم يقدر أن يصف مجد السماء ولم يقل سوى « ما أحلى مساكنك يا رب الجنود ، تشقق بل تتقوى نفسي إلى ديار الرب ، قلبي ولحمي يهتفان بالله الحي » (مز ٨٤ : ٢١) وبولس الرسول الذى صعد إلى السماء الثالثة لم يقدر أن يقول سوى أنه « سمع كلمات لا ينطق بها » (٢كو ١٢ : ٤) « ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال انسان ما أعده الله للذين يحبونه » (٢كو ٩ : ٢) .

يكفيك أيها الانسان أن تعرف أنه لا شيء هناك تكرهه ، بل هناك كل ما تحبه وتشتهيه وترغبه وتتوق اليه . هناك الأمجاد العالية ، والأفراح التي لا ندرك ولا توصف والتى سوف تناولها فى السوطن السماوى السعيد حين تدخل طريق راحتنا الأبدية . هناك لا فقر ، ولا مرض ولا شدائـد ، بل هناك نهار أبدى وصحو دائم وربيع متصل ونعم خالد . هناك لا حسد ولا شر بل هناك حب نلى مستمر ، لا تغيير فيه وترنيمات شجية ، هناك لا توجد آلام ولا إسقام ولا خوف ولا ازعاج ولا شقاء ولا تعب ولا عناء ولا نصب وليس هناك مقاومة ولا شکوى ولا معارضه ولا ظلم ولا حزن ولا اكتئاب . لا يوجد هناك موت ولا دموع بين هناك نصرة ابدية وسعادة تامة . هناك الراحة والمجد وكل الحياة الحقيقية ، معناك خيرات لا تخىى فقدانها ، هناك المكافأة والجزاء بالمجد . هناك حل

أثير . هناك الارتسوء من العطش والشبع بالسرور ، هناك النظر الى وجه المخلص ، وفيه كل العزاء وكل السلوان وكل البهاء والمجد الذى لا يفني والسلام الدائم حيث التمتع باش والاتحاد به الى الأبد . هناك تكملة الفضيلة وتتلاً ويشرق البر ويخرج عن الاسرى ويستغنى النcor « هناك يكفى المنافقون عن الشعب وهناك يستريح المتعبون . الاسرى يطمئنون جميعا . لا يسمعون صوت المسرور ، الصغير كما الكبير هناك والعبد حر من سيده » (آى ٢ : ١٧ - ١٠) هناك يشرق الابرار كالنور » والفاهمون يضيرون كحياء الجلد والذين ردوا كثيرين الى البر كالكواكب الى أبد الدهر » (دا ١٢ : ٣) هناك تستحيل خيقتنا الى راحة ، ويبدل نوحتنا بفرح . ونخلع ثوب الحزن . ونكتس لباس البهجة والبهاء . هناك « نقوم في عدم فساد وتلبس صورة سماوية » (كو ١٥) هناك « نعمق من عبودية الفساد الى حرية مجد أولاد الله » (رو ٨ : ٢١) هناك « سيفير الله شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده » (في ٣ : ١١) هناك « نظهر مع المخلص في المجد » (كو ٣ : ٤) « وتراء كما هو » (ايو ٢ : ٢) هناك تنظر مجد الرب بوجه مكشوف وتتغير الى تلك الصورة من مجد الى مجد (كو ٣ : ١٨) هناك « ننال شبع سرور » (رم ١٦ : ١١) هناك « تكون كل حين مع الرب » (اتس ٤ : ١٧) .

فما أجمله منظراً يبهر العيون ويقتن العقول ، متى يأتي ذلك اليوم . متى يأتي النور الدائم والضياء المشرق غير المتناهى ، متى ينتهي الجهاد وتفوز بالنصر الى الأبد ويدوم الخلاص سرمديا . حينئذ تتوطد قواعد السلام والأمان ، ويزول كل غم واكتئاب ويدوم الفرح والسلوان والصحبة للذينة الفاتنة للعقول . طوبى لكم يامن جاهتم الجهاد الحسن وأكملتم الایمان ، فقد ليستم لباس الخلاص ، ووضع لكم أكليل البر الذى لا يفني ولا يت遁س ولا يضمحل . طوبى لكم فانكم الان تفرحون وتتعزون . ما أكثر غبطتكم ! انكم الان تستريحون وتطمئنون ، الان تتعرزون وتتنعمون وتبتاهجون . يانفسى انظرى مهد القديسين النقى . تطلعى بشوق الى الرجاء الموعودين له . تيقظى وتأملى . آه لو كنت تعرفين ما أعد لك فى السماء من المجد اذن لأزدرىتك بكل ما فى العالم واحتسبىته نهاية و شيئاً مزدرى به .

ياله من نهار دائم الضياء والاشراق ، لا يعتريه ظلام ولا يعقبه ليل . نعمتى يارب يشرق ضياء هذا اليوم . متى يأتي ملكوك . انى اشتاق يارب ان احصل من الجسد واكون معك الى الأبد . متى تستدعينى من منفأى ، وتبرد اشواق قلبي وتطقى ظمى نفسى الثانية اليك . متى أنجو واتخلص من آلام هاته الحياة ! متى تنتهي شرر هذا العالم . متى أحصل على الحرية الكاملة واتمتع بالسلام الدائم . متى اتحد بك اتحاداً كاملاً ولا أعود أرى ولا انكر ولا أهتم ولا أفرح بشيء سواك أنت وحدك يارب . « كما يشتاق الأيل الى جداول المياه ، هكذا تشتق نفسي اليك يا الله . عطشت نفسي الى الله ، الى الله

الحي . متى أجيء واترائي قدام الله » (مز ٤٢ : ١و ٢) « أرسل سورك وحقك
هذا يهدىاني ويأتيني بي الى جبل قدسك والى مساكنك فاتى الى مذبح الله
بهجة فرجى وأحمدك بالعود يا الله الهى . لماذا أنت منحنية يانفسى ولماذا تثنين .
ترجى الله لأنى بعد احمدك ، خلاص وجهى والهى » (مز ٤٢ : ٢ - ٥) « ما أحلى
مساكنك يارب الجنود . تشتاق بل تتوق نفسي الى ديار الرب ، أسكن فى هذه
مساكنك يارب الجنود . تشتاق بل تتوق نفسي الى ديار الرب قلبي ولحمي يهتفان
بالله الحي » (مز ٨٤ : ١و ٢) . الى متى يارب ، أسكن فى هذه البرية .
حتى متى اتمشى فى هذا الوادى المفتر « يا الله الهى أنت اليك ابكر .
عطشت اليك نفسي يشتاق اليك جسدى فى أرض ناشفة وبابسة بلا ماء) .
(مز ٦٢ : ١) .

من يستطيع يارب أن يصف مجد ملكوك ! كل الكلام يقصر عن وصفه .
العين لا تشبع من النظر ، والأذن لا تمل من السمع ، فأولمن ايماناً اكيداً بما
وعدد به . عاملنى يارب بما تشاء ، وأدينى كما تريد وتحب لاتم مرضاتك ،
أفعل بي ما تشاء ، ولكن لا تفتقدى محبتك ومجد ملكوك ، لاتمتع برؤياك .
ونجواك ، ليس باستحقاقى ولكن باستحقاقك . المجد مجدك والملوك ملكوك ،
السماء سماوك وكل شيء لك . أما أنا فلا شيء أملكه وأستحقه . فليكن كل شيء
منك وباستحقاقك ومن كرم جودك . فليات ملكوك الى نفسي . مرد نفسي ان
تنتظرك يارب وأيد روحي كى تستند بوعنك . متى يارب تقترب نفسي اليك . از
عواطفى كلها تشن شوقا ، وقلبي قد ذاب حبا الى رؤياك .

يانفسى اجعلى ملكوت الله ومجد القديسين ازاء عينيك وحين تثقل عليك يد
التجارب تطلعى الى الرجاء الموضوع أمامك . « فان كان انسانتنا الخارج يقى
فان الداخل يتجدد يوما فيوما لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فاكثرا ثقل
مجد أبداً » (لكو ٤ : ١٦و ١٧) فلا تخافى فقد اقترب يوم الانتصار وحان
زمان زوال التعب وانحلال هذه الحياة . ان يوم الرب قريب فتاملى فى
تبشير الفرح وانتظرى واصطبرى وتأنى قليلا ، وبعد قليل يأتي ولا يبسطء من
تحببته ، وساعة اتحاده بك قريبة .

« ها أنا آتى سريعا وأجرتى معى لأجازى كل واحد كما يكون عمله
يقول الشاهد بهذا نعم . أنا آتى سريعا . آمين . تعال أيها الرب يسوع ، (رو
٢٣ و ٢٠) .

تعزى يانفسى بهذا القول لأنه بعد قليل يأتي . بعد حين ترىته . بعد برهة من
الزمان تتحدين به ولا تنفصلين عنه الى الأبد .

أيتها السعادة العلوية ! أيتها الأمجاد السماوية ! افتني عقلى وأملكتى
فزادى واشرقى فى أعماق قلبى ليتبدل منى الجبن والكسى ويزول أثينى .

وتنهدى . برد يارب لواجع اشواقى وسكن حركات تنهداتى وزفراتى ، علمتى ان
انتظر تلك الساعة التي فيها تتخلص روحي من ضيقها ومن سجنها كى تطمئن
نفسى المتوقعة استعلان مجدك . وانت أيتها الأمانى الدينونة الباطلة دعينى
وافركينى ، واهجرى قلبي وابتعدى عنى . أخلى كل ما فى باطنى ليسوع ربى
وحده الذى أريد أن يملك هو فؤادى ويتملك وحده قلبي .

نعم يارب هكذا أنت تشاء ، وهكذا أنا أتشوق ، فتعال يارب ول يكن فى
ييدك زمام نفسى . ياعذوبة لا توصى ، يامجدا لا يحد ، يابحرا لا ساحل له ،
يا سعادة لا تنتهى . حل يارب فى قلبي وأملأنى رجاء وایماناً ، ولتحفظنى نعمتك
لآخر مثيتك ورضوانك .

أيتها السعادة الأبدية ! أيها الملوك السعيد ! يا مجدادا عالية ، ونعمات
الذىذة ، ورؤيا مبهجة ، علمتني كيف انتظرك واستعد لأكون مستحفا لك . متى
يارب يتم لي ذلك . متى أراك وجها لوجه . متى يرتفع الغطاء . فاتحد بك
دائما بلا خوف ولا وجع . تعالى أيتها الأمجاد العلوية وأشرقي في قلبي
وأجتنب بيتك وأمسكي بيمنيك وقربيني نحوك حتى أبلغ ما أصبو اليه وأرى
ذاتي مطروحا عند قدمي يسوع مخلصي في السماء ، وادخل ملوكته ، وامتنع
بتور وجهه ، واغوص في بحر حبه الصافي ولا أعود أذكر شيئاً سواه الى
الآبد الآبد .

فهرست

صفحة

- ٦ الفصل الأول : يسوع هو الباب والطريق والحق والحياة
- ٨ الثاني : يسوع لنا كل شيء في كل شيء
- ١٠ الثالث : عذوبة محبة المسيح
- ١٢ الرابع : تطهير القلب واعداده لسكنى يسوع
- ١٤ الخامس : يسوع يشبع النفس
- ١٥ السادس : تهيئة النفس ذاتها لسكنى العريس الالهي
- ١٧ السابع : تكريس القلب ليسوع
- ١٩ الثامن : عدم تعلق القلب بالعالم
- ٢٢ التاسع : عدم محبة العالم للوصول إلى الله
- ٢٢ العاشر : يطلان العالم وكل ما فيه
- ٢٥ الحادى عشر : التأمل في حياة يسوع يعلم احترام العالم
- ٢٦ الثاني عشر : الأتحاد بالله
- ٢٨ الثالث عشر : حاجتنا إلى النعمة وطاعة القلب لفعلها
- ٣٠ الرابع عشر : اغتنام الفرصة واستماع صوت الله
لقبول النعمة
- ٣٢ الخامس عشر : جزاء من لا يسمع صوت رب
- ٣٤ السادس عشر : وجوب توجيه كل الرغبة والثقة في الله وحده
- ٣٦ السابع عشر : عدم طلب السلام من العالم
- ٣٨ الثامن عشر : طلب السلام والراحة في الله وحده
- ٤٠ التاسع عشر : فيما يجلب السلام الحقيقي والراحة الكاملة
- ٤١ العشرون : في تسليم الذات لأرادة الله
- ٤٢ الحادى والعشرون : في اتمام ارادة الله كل الفرح والسرور
- ٤٤ الثاني والعشرون : امثلة على ارادة الله وسماته
- ٤٧ الثالث والعشرون : في الخصوص لارادة الله في زمن الشدة
أكثر من زمن الرخاء
- ٤٩ الرابع والعشرون : شقاء النفس الخالية من الله واستدعاء الله لأنارتنا

- ٥١ الفصل الخامس والعشرون : تجديد القلب وانطباع صورة الله فيه
- ٥٢
- ٥٥ السادس والعشرون : بريسون يجب أن نليسه
- ٥٧
- ٦١ السابعة والعشرون : حضور الله في قلوب قدسيته
- ٦٣ الثامن والعشرون : تصانع لطلب الحكمة
- ٦٩
- ٧١ التاسع والعشرون : مخافة الرب
- ٧٢
- ٧٤ الثلاثون : ابتناء الفضيلة والرغبة فيها
- ٧٦
- ٧٨ الحادى والثلاثون : التقدم والنمو في الفضيلة والثبات عليها
- ٧٩
- ٨١ الثاني والثلاثون : تصانع لتقويم الأعمال في الفضيلة
- ٨٣
- ٨٥ الثالث والثلاثون : النظر إلى سيرة القديسين والاقتداء بهم
- ٨٧
- ٨٩ الرابع والثلاثون : تفتيش الذات وفحص الضمير وحراسته
- ٩٠
- ٩٢ الخامس والثلاثون : العمل وعدم الكسل
- ٩٤
- ٩٦ السادس والثلاثون : اماتة الذات وكبح جماح الشهوات
- ٩٨
- ٩٩ السابع والثلاثون : قهر الذات يرفع النفس إله الروحيات
- ١٠١
- ١٠٣ الثامن والثلاثون : الجسد هو عدونا الألد
- ١٠٤
- ١٠٦ التاسع والثلاثون : عدم الاستسلام للاهواء
- ١٠٧
- ١٠٩ الأربعون : تشخيص نجاسة الخطية وتأثيرها على الطبيعة البشرية
- ١١١
- ١١٣ الحادى والأربعون : مقاومة أهواء الخطية وشهار الحرب عليهما
- ١١٤
- ١١٦ الثاني والأربعون : الحياة حرب وجهاد دائم
- ١١٧
- ١١٩ الثالث والأربعون : الاحتراس من تجارب العدو
- ١١٩
- ١٢١ الرابع والأربعون : تجارب الحياة وفوائدها
- ١٢٣
- ١٢٥ الخامس والأربعون : احتمال المشقات على مثال المسيح والأجله
- ١٢٦
- ١٢٨ السادس والأربعون : الاحتراس من الصغائر وقتها قبل أن تستعصي
- ١٢٩
- ١٣١ السابع والأربعون : الثقة بالله وقت التجربة
- ١٣١
- ١٣٣ الثامن والأربعون : الاطمئنان بالرب والاحتماء فيه
- ١٣٤
- ١٣٦ التاسع والأربعون : استدعاء الرب للنجاة من التجارب
- ١٣٧
- ١٣٩ الخامسون : الاستهانة بضميرات الحياة لأجل الملوك
- ١٣٩
- ١٤١ الحادى والخمسون : الاحتشام والأدب وحسن السيرة
- ١٤١
- ١٤٣ الثاني والخمسون : التواضع
- ١٤٤
- ١٤٦ الثالث والخمسون : تصانع للاتضاع
- ١٤٧
- ١٤٩ الرابع والخمسون : شر الكبر
- ١٤٩
- ١٥١ الخامس والخمسون : المجد الباطل
- ١٥١
- ١٥٣ السادس والخمسون : عدم مدح الانسان ذاته
- ١٥٢
- ١٥٤ السابع والخمسون : عدم التقاضي بشرف الجنس

صفحة

- الفصل الثامن والخمسون : عدم التباهي بالقوة والشدة ١١٤
- التاسع والخمسون : يطلان جمال الجسد ١١٥
- الستون : عدم التأني الزائد بالملابس الفاخرة ١١٧
- الحادي والستون : عدم توخي مرضية الناس ١١٨
- الثاني والستون : عدم الافتراض لأقوال الغير وأنه لا ينبغي ترك عمل الخير لأجل كلام الناس ١١٩
- الثالث والستون لا عدم التهاون بصيغتنا وأعراضنا ١٢٢
- الرابع والستون : وجوب اقتران العلم بالعمل ١٢٥
- الخامس والستون : الرؤساء هم قدوة لغيرهم ١٢٨
- السادس والستون : الحبة ١٣٠
- السابع والستون : تعليم الكتاب عن الحبة ١٢٢
- الثامن والستون : نصائح لحفظ الحبة ١٢٥
- التاسع والستون : الوداعة ١٢٦
- السبعين : الحلم والرفق والدعة على مثال المخلص ١٢٨
- الحادي والسبعين : الوداعة والسامحة وعدم الانتقام من المسيئين ١٣٩
- الثاني والسبعين : كيف تتحذى الأصدقاء ١٤٢
- الثالث والسبعين اجتناب دينونة الآخرين ١٤٨
- الرابع والسبعين : الاغتياب والتغيبة ١٥١
- الخامس والسبعين : طول الروح وعدم الغضب ١٥٢
- السادس والسبعين : الصمت والاحتراس من فضول الكلام ١٥٥
- السابع والسبعين : الصبر ١٥٨
- الثامن والسبعين : التحلّى بالحق والصدق ١٦١
- النinth والسبعين : تجنب المزاح ١٦٣
- الثمانون : البشاشة والفرح بالرب وعدم الحزن ١٦٥
- الحادي والثمانون : رقة القلب وقوتها ١٦٨
- الثاني والثمانون : الغيرة على خلاص القريب ١٦٩
- الثالث والثمانون : اترك الطعام والبخل ومحبة المال وتعلم السخاء والعطاء ١٧١
- الرابع والثمانون : شر الحسد ١٧٤
- الخامس والثمانون : العفة والطهارة ١٧٦
- السادس والثمانون : بساطة القلب وسلامة النية واقتران البساطة بالحكمة ١٧٨
- السابع والثمانون : الصلاة والمداومة عليها ١٨٠
- الثامن والثمانون : كف عن تقديم بخشوش في الصلاة ١٨٤
- التاسع والثمانون : التأمل قبل الصلاة ١٨٦

صفحة

- ١٨٧ الفصل التسعون : الاختلام الروحي
- ١٨٩ ١٩٢ ١٩٥ ١٩٧ ٢٠١ ٢٠٣ ٢٠٧ ٢١٠ ٢١٢ ٢١٥
- الحادى والتسعون : تلاوة الكتاب المقدس وقراءة الكتب الروحية
 - الثاني والتسعون : نصائح وقواعد لدرس الكتاب
 - الثالث والتسعون : عدم فحص ما يتجاوز عقولنا
 - الرابع والتسعون : التوبية
 - الخامس والتسعون : تجنب الاعتدارات والتعلل عن الخطبة
 - السادس والتسعون : شقاء غريتنا على الأرض وسفرنا نحو الأبدية
 - السابع والتسعون : التأمل في الموت
 - الثامن والتسعون : الموت خاتمة الاتعاب وبدء الراحة الأبدية
 - التاسع والتسعون : الأبدية المخيفة العديدة القرار
 - المائة : ملوك السموات والاشتياق إلى نهار الأبدية

للمؤلف أيضاً

أسرار الكنيسة السبعة

عزاء المؤمنين

سلم السماء ودرجات الفضائل

نظرات روحية في الحياة المسيحية

خلاصة الأصول اليمانية ٣ أجزاء

الكنز الأنفس في ملخص الكتاب المقدس

المبادئ المسيحية للمدارس الابتدائية ٤ أجزاء

المبادئ المسيحية للمدارس الثانوية ٤ أجزاء

